

۹۱ پانوشته

باسمه تعالی

فهرستبرگه منابع چاپ سنگی - اداره مخطوطات

شماره ثبت:	۲۷۷۱۴ ج۱ نش۱
رده‌بندی دیویی:	۸۹۲/۷۰۸ ج ۱۲۶ب ۱۳۱۱
سرشناسه:	جاحظ، عمرو بن بحر، ۱۵۰- ۲۵۵ ق.
عنوان قراردادی:	
عنوان:	البیان والتبیین [چاپ سربی]
کاتب:	تاریخ کتابت:
محل نشر: [قاهره]	ناشر: مطبعه علمیه تاریخ نشر: ۱۳۱۱ ق
صفحه شمار: ج۱، ۲۲۳، ۲ص	مصور☐ درسی☐ گراور یا افست☐
زبان: عربی	ابعاد: ۲۴ x ۱۶ نوع خط: -
روش تهیه:	وقفی☐ اهدایی☑ خریداری☐ ارسالی☐
توضیحات: دکتر علی شاملو	تاریخ ثبت: اسفند ۱۳۷۷
یادداشتها:	۱. چاپ سربی. ۲. دارای شرح از حسن افندی مالکهانی در [illegible] صفحات. ۳. مذیل به تعریب.
موضوع(ها):	۱. ادبیات عربی - قرن ۳ ق. - مجموعه‌ها
شناسه(های) افزوده:	الف. مالکهانی، حسن، شارح. ب. شاملو، علی، اهداکننده. ج. عنوان.
فهرستنگار: اسفندیار	تاریخ فهرستنگاری: اردیبهشت ۸۹

نام کتاب: البیان و التبیین

مؤلف: عمرو بن بحر جاحظ

موضوع: سخنرانی - مجموعه ها زبان: عربی

سال چاپ: ١٣١١ ق محل چاپ:

کاتب:

طول: ٢٤ عرض: ١٦ شماره صفحه ها: ٢٢٣ ص

شماره عمومی: ٢٧٧١٤ کتابخانه / بخش:

وقفی / خریداری: شاملو تاریخ:

مصور ☐ درسی ☐ گراوری ☐ افست ☐

ملاحظات:

شرح حسن افندی الفاکهانی

چاپ سربی

﴿ الجزء الاول ﴾

من كتاب البيان والتبيين تأليف الامام أبي
عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن
محبوب الكناني البصري
المتوفى بالبصرة في المحرم
سنة ٢٥٥
هجريه

(قد شرح غريب ألفاظه حضرة الفاضل اللبيب والماجد الفطن)
(الاديب البديعي البياني حسن افندى الفاكهاني حفظه الله)

قال كشف الظنون (البيان والتبيين) لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري المعتزلي المتوفى سنة ٢٥٥ مختصر وفيه فوائد وهو كتاب كبير القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حقوق الطبع محفوظه ﴾

﴿ الطبعة الاولى ﴾
(بالمطبعة العلمية سنة ١٣١١)
﴿ هجريه ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الكريم وسلم عونك اللهم وتيسيرك اللهم انا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف (١) لما لا نحسن كما نعوذ بك من العجب بما نحسن ونعوذ بك من السلاطة (٢) والهذر (٣) كما نعوذ بك من العى (٤) والحصر (٥) وقديما تعوّذوا بالله من شرهما وتضرعوا الى الله فى السلامة منهما وقد قال النمر بن تولب

اعذنى رب من حصر وعىّ * ومن نفس أعالجها علاجا

وقال الهذلى * ولا حصر بخطبة اذا ما عزت الخطب * وقال مكى بن سوادة

حصر مسهب جرىء جبان * خير عىّ الرجال عىّ سكوت

(وقال آخر)

ملىء ببهر والتفات وسعلة * ومسحة عثنون (٦) وفتل الاصابع

ومما ذموا به العى قوله

وما بى من عى ولا أنطق الخنا (٧) * اذا جمع الاقوام فى الخطب (٨) محفل

وقال الراجز وهو يمتح (٩) بدلوه

(١) التجشم أو فعل ما لا يطاق (٢) طول اللسان (٣) سقط الكلام (٤) العجز عن النطق (٥) بالتحريك ضيق الصدر عن النطق (٦) اللحية (٧) الفحش (٨) الشأن والامر صغر أو عظم (٩) ينزع تقول متح الماء أى نزعه

علقت

علقت (١) يا حارث عند الورد (٢) * بجابى (٣) لا رفل (٤) التردى (٥)

* ولا عىّ بابتناء المجد *

وهذا كقول بشار الاعمى

وعى الفعال كعى المقال * وفى الصمت عىّ كعى الكلم

وهذا المذهب شبيه بما ذهب اليه شتيم بن خويلد فى قوله

ولا يشعبون (٦) الصدع (٧) بعد تفاقم (٨) * وفى رفق أيديكم لذى الصدع شاعب

وهذا كقول ريان بن سيار

ولسنا كأقوام أجدوا رياسة * يرى مالها ولا يحس فعالها

يريغون (٩) فى الخصب الامور ونفعهم * قليل اذا الاموال طال هزالها (١٠)

وقلنا بلا عى وسسنا بطاقة * اذا النار نار الحرب طال اشتعالها

لانهم يجعلون العجز والعى من الخرق كانا فى الجوارح أو فى الالسنة وقال ابن أحمر الباهلى

لو كنت ذا علم علمت وكيف لى * بالعلم بعد تدبر الامر

وقالوا فى الصمت كقولهم فى النطق قال أحيحة بن الجلاح

والصمت أحسن بالفتى * ما لم يكن عىّ يشينه (١١)

والقول ذو خطل اذا * ما لم يكن لب يعينه

وقال محرز بن علقمة

لقد وارى المقابر من شريك * كثير تحلم وقليل عاب (١٢)

صموتا فى المجالس غير عى * جديرا حين ينطق بالصواب

وقال مكى بن سوادة

تسلم بالسكوت من العيوب * فكان السكت أجلب للعيوب

ويرتجل الكلام وليس فيه * سوى الهذيان من حشد (١٣) الخطيب

(وقال آخر)

جمعت صنوف العى من كل وجهة * وكنت جريا بالبلاغة من كثب

أبوك معم (١٤) فى الكلام ومخول (١٥)

وخالك وثاب (١٦) الجرائيم (١٧) فى الخطب

وقال حميد بن ثور الهلالى

أتانا ولم يعدله سحبان وائل * بيانا وعلما بالذى هو قائل

(١) أحببت واعتدت (٢) الاشراف على الماء (٣) ساقى الابل الذى يتقدم تبل ورودها بيوم فيجبى لها ماء فى الحوض ثم يوردها (٤) لا جاهل (٥) السقوط فى البئر (٦) يجمعون أو يصلحون (٧) الشق أو ظهور الشئ وتبينه (٨) تعاظم (٩) يطلبون (١٠) ضعفها (١١) يعيبه (١٢) عيب (١٣) جمع (١٤) كريم العم (١٥) كريم الخال (١٦) صيغة مبالغة والفعل وثب أى قفز (١٧) الاصول

فمازال عنه اللقم (١) حتى كانه * من العى لما ان تكلم باقل

سحبان مثل فى البيان و باقل مثل فى العى ولهما أخبار وقال آخر

ماذا رزئنا (٢) منك أم الاسود * من رحب (٣) الصدر وعقل (٤) متلد (٥)

* وهى صناع (٦) باللسان و باليد *

(وقال آخر)

لوصحبت شهر ين دأبا (٧) لم تمل * وجعلت تكثر من قول لا و بل

حبك للباطل قدما قد شغل * كسبك عن عيا الناقلات أجل

* تضجرا منى وعيا بالحيل *

قال وقيل لبزرجمهر بن البختكان الفارسى أى شئ استر للعى قال عقل يجمله قالوا فان لم يكن له عقل قال فمال يستره قالوا فان لم يكن له مال قال فاخوان يعبرون عنه قالوا فان لم يكن له اخوان يعبرون عنه قال فيكون ذاعى وصمت قالوا فان لم يكن ذا صمت قال فموت وحى (٨) خيرله من أن يكون فى دار الحياة وسأل الله موسى صلى الله تعالى عليه وسلم حين بعثه الى فرعون بابلاغ رسالته والابانة عن حجته والافصاح عن أدلته فقال حين ذكر العقدة التى كانت فى لسانه والحبسة التى كانت فى بيانه واحلل عقدة من لسانى يفقهو قولى وأنبأنا الله تبارك وتعالى عن تعلق فرعون بكل سبب واستراحته الى كل شغب (٩) ونبهنا بذلك على مذهب كل جاحد معاند وعلى كل مختال مكايد حين خبرنا بقوله أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين وقال موسى عليه السلام وأخى هرون هو أفصح منى لسانا فارسله معى ردأ (١٠) يصدقنى وقال و يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى رغبة منه فى غاية الافصاح بالحجة والمبالغة فى وضوح الدلالة لتكون الاعناق اليه أميل والعقول عنه أفهم والنفوس اليه أسرع وان كان قد يأتى من وراء الحاجة و يبلغ أفهامهم على بعض المشقة ولله عز وجل أن يمتحن عباده باشياء من التخفيف والتثقيل و يبلوا أخبارهم كيف أحب من المكروه والمحبوب ولكل زمان ضرب من المصلحة ونوع من المحنة (١١) وشكل من العبادة ومن الدليل على ان الله عز وجل حل تلك العقدة وأطلق ذلك التعقيد والحبسة قوله رب اشرح لى صدرى و يسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهو قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى (١٢) وأشركه فى أمرى الى قوله قد أوتيت سؤلك ياموسى فلم تقع الاستجابة على شئ من دعائه دون شئ لعموم الخبر وسنقول فى شان موسى عليه السلام ومسالته فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وذكر الله تعالى جميل بلائه فى تعليم

(١) وسط الطريق وهنا يعنى وسط الكلام (٢) أصبنا (٣) سعة (٤) هنا يعنى الدية (٥) ماولد عندك من مالك (٦) حاذقة أوماهرة فى عمل اليدين (٧) الدأب الاجتهاد فى العمل والاستمرار (٨) الموت المسرع (٩) تهييج الشر (١٠) عونا (١١) الاختبار (١٢) ظهرى

البيان وعظيم نعمته فى تقويم اللسان فقال الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال هذا بيان للناس ومدح القرآن بالبيان والافصاح و بحسن التفصيل والايضاح و بجودة الافهام وحكمة الابلاغ وسماه فرقانا وقال عربى مبين وقال وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وقال وكل شئ فصلناه تفصيلا وذكر الله تعالى لنبيه حال قريش فى بلاغة المنطق ورجاحة الاحلام وصحة العقول وذكر العرب وما فيها من الدهاء (١) والنكراء والمكر ومن بلاغة الالسنة واللدد عند الخصومة فقال اذا ذهب الخوف سلقوكم (٢) بالسنة حداد وقال لتنذر به قوما لدا (٣) وقال ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام وقال آ لهتنا خير أم هو ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ثم ذكر خلابة (٤) ألسنتهم واستمالتهم الاسماع بحسن منطقهم فقال وان يقولوا تسمع لقولهم ثم قال ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا مع قوله واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث (٥) والنسل (٦) وقال الشاعر فى قوم يحسنون فى القول و يسيؤن فى العمل قال أبو حفص أنشدنى الاصمعى للمكعبر الضبى

كسالى اذا لاقيتهم غير منطق * يلهى (٧) به المحروب (٨) وهو عناء

وقيل لذوهمان ما تقول فى خذاعة قال جوع وأحاديث وفى شبيه بهذا المعنى قال أفنون ابن صريم التغلبى

لواننى كنت من عاد ومن ارم * غذى قيل (٩) ولقمان وذى جدن (١٠)

لما وقوا باخيهم من مهوّلة * أخا السكون ولا حادوا عن السنن

أنى جزوا عامرا سوأ بفعلهم * أم كيف يجزوننى السوأى من الحسن

أم كيف ينفع ما تعطى العلوق به * رئمان انف اذا ما ضن باللبن

ورئمان أصله الرقة والرحمة والرؤم أرق من الرؤف فقال رئمان انف كانها تبر ولدها بانفها وتمنعه اللبن ولان العرب تجعل الحديث والبسط والتانيس والتلقى بالبشر من حقوق القرى ومن تمام الاكرام وقالوا اتمام الضيافة الطلاقة (١١) عند أول وهلة واطالة الحديث عند المؤاكلة وقال شاعرهم وهو حاتم الطائى

سلى الجائع الغرثان (١٢) ياأم منذر * اذا ما أتانى بين نارى ومجزرى

هل ابسط وجهى انه أول القرى * وأبذل معروفى له دون منكرى

(وقال الآخر)

(١) الفكر وجودة الرأى والادب (٢) أذوكم (٣) شديدى الخصومة (٤) سلبهم العقول بالسنتهم (٥) المال (٦) الولد بضم الواو (٧) يعلل بتشديد اللام المفتوحة (٨) المسلوب ماله (٩) شرب نصف النهار (١٠) هو علس ابن يشرح بن الحرث بن صيفى بن سبا جد بلقيس وهو أول من غنى باليمن والجدن حسن الصوت (١١) سماحة الوجه (١٢) غرث أى جاع

انك ايابن جعفر خير فتى * وخيرهم لطارق اذا أتى
ورب نضو (١) طرق الحى سرى * صادف زادا وحديثا ما اشتهى
* ان الحديث جانب من القرى *

(وقال آخر)

لحافى لحاف الضيف والبيت بيته * ولم يلهنى عنه غزال مقنع
أحدثه ان الحديث من القرى * وتعلم نفسى أنه سوف يهجع

ولذلك قال عمرو بن الاهتم

فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * فهذا مبيت صالح وصديق

(وقال الآخر)

أضاحك ضيفى قبل انزال رحله * ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن يكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

ثم قال الله تبارك وتعالى فى باب آخر من صفة قريش والعرب أم تأمرهم أحلامهم بهذا وقال فاعتبروا يا أولى الالباب وقال انظر كيف ضربوا لك الامثال وقال وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وعلى هذا المذهب قال وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقد قال الشاعر

يتقارضون (٢) اذا التقوا فى موقف * نظرا يزيل مواقع الاقدام

وقال تبارك وتعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم لان مدار الامر على البيان والتبيين وعلى الافهام والتفهيم وكلما كان اللسان أبين كان أحمد كما انه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان فى الفضل الا أن المفهم أفضل من المتفهم وكذلك المعلم والمتعلم هكذا ظاهر هذه القضية وجمهور هذه الحكومة الا فى الخاص الذى لا يذكر والقليل الذى لا يشهر وضرب الله مثلا لعى اللسان ورداءة البيان حين شبه أهله بالنساء والولدان وقال تعالى أو من ينشؤ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين ولذلك قال النمر بن تولب

وكل خليل عليه الرعاث (٣) * والحبلات (٤) ضعيف ملق

وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة وسقطات الخطل (٥) يوم اطالة الخطبة باعظم مما يحدث عن العى من اختلال الحجة وعن الحصر من فوت درك الحاجة والناس لا يعيرون الخرس ولا يلومون من استولى على بيانه العجز وهم يذمون الحصر ويؤنبون (٦) العى فان تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعاطيا مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم

(١) مهزول (٢) يتساقون فكل ينظر الى الآخر (٣) جمع رعثة وهى القرط (٤) هى عقود اللؤلؤ أو ضرب من الحلى (٥) الكلام الفاسد الكثير (٦) يلومون

وترادف عليهما التأنيب ومماتنة العى الحصر البليغ المصقع (١) فى سبيل مماتنة المنقطع المفحم (٢) للشاعر المفلق (٣) وأحدهما ألوم من صاحبه والالسنة اليه أسرع وليس اللجلاج (٤) والتمتام (٥) والالثغ (٦) والفافاء (٧) وذو الحبسة (٨) والحكلة (٩) والرتة (١٠) وذو اللفف (١١) والعجلة فى سبيل الحصر فى خطبته والعى فى مناضلة (١٢) خصومه كما أن سبيل المفحم عند الشعراء والبكىء عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار (١٣) والخطل (١٤) المكثار ثم اعلم أبقاك الله أن صاحب التشديق (١٥) والتقعير (١٦) والتقعيب (١٧) من الخطباء والبلغاء مع سماجة التكلف وشنعة التزيد اعذر من عى يتكلف الخطابة ومن حصر يتعرض لاهل الاعتياد والدربة ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رأيت بلاغة يخالطها التكلف وبيانا يمازجه التزيد الا أن تعاطى الحصر المنقوص مقام الدرب التام أقبح من تعاطى البليغ الخطيب ومن تشادق الاعرابى القح (١٨) وانتحال المعروف ببعض الغزارة فى المعانى والالفاظ وفى التحبير والارتجال أنه البحر الذى لا ينزح والغمر (١٩) لا يسبر أيسر من انتحال الحصر المنخوب (٢٠) أنه فى مسلاخ (٢١) التام الموفر والجامع المحكك وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال اياى والتشادق وقال أبغضكم الى الثرثارون المتفيهقون وقال من بدا جفا وعاب الفدادين والمتزيدين فى جهارة الصوت وانتحال سعة الاشداق ورحب الغلاصم وهدل (٢٢) الشفاه واعلمنا ان ذلك فى أهل الوبر (٢٣) أكثر وفى أهل المدر (٢٤) أقل فاذا عاب المدرى باكثر مما عاب به الوبرى فما ظنك بالمولد القروى والمتكلف البلدى فالحصر المتكلف والعى المتزيد ألوم من البليغ المتكلف الاكثر مما عنده وهو اعذر لان الشبهة الداخلة عليه أقوى فمن أسوأ حالا أبقاك الله ممن يكون ألوم من المتشادقين ومن الثرثارين المتفيهقين وممن ذكره النبى صلى الله عليه وسلم نصا وجعل النهى عن مذهبه مفسرا وذكر مقته له وبغضه اياه ولما علم واصل بن عطاء أنه ألثغ فاحش اللثغ وان مخرج ذلك منه شنيع وأنه اذ كان داعية مقالة ورئيس نحلة وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النحل وزعماء الملل وأنه لا بد له من مقارعة الابطال ومن الخطب الطوال وأن البيان يحتاج الى تمييز وسياسة والى ترتيب ورياضة والى تمام الآلة واحكام الصنعة والى سهولة المخرج وجهارة المنطق وتكميل الحروف واقامة الوزن وان

(١) عالى الصوت أو الذى لا يرتج عليه فى كلامه ولا يتتعتع (٢) منعه قول الشعر (٣) الآتى بالعجيب (٤) المتردد فى الكلام (٥) هو الذى تسبق كلمته الى حنكه الاعلى فان التمتمة رد الكلام الى التاء والميم (٦) هو الذى يحول لسانه من السين الى الثاء أو من الراء الى الغين أو غير ذلك (٧) مردد الفاء (٨) الذى لا يسمع قوله (٩) الذى لا يسمع صوته. (١٠) العجمة (١١) عى بطىء الكلام اذا تكلم ملا لسانه فمه (١٢) مباراة (١٣) المهذار (١٤) كثير الكلام (١٥) متكلف البلاغه (١٦) التكلم باقصى الفم (١٧) تقصير الكلام (١٨) الخالص من اللؤم (١٩) الماء الكثير (٢٠) الجبان (٢١) صفة (٢٢) ارسالها الى أسفل (٢٣) القفر والبيداء (٢٤) المدن والحضر

حاجة المنطق الى الطلاوة والحلاوة كحاجته الى الجلالة والفخامة وان ذلك من أكبر ما تستمال به القلوب وتنثنى اليه الاعناق وتزين به المعانى وعلم واصل أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة كنحو ما أعطى الله نبيه موسى صلوات الله عليه من التوفيق والتسديد مع لباس التقوى وطابع النبوة ومع المحبة والاتساع فى المعرفة ومع هدى النبيين وسمت المرسلين وما يغشيهم الله به من القبول والمهابة ولذلك قال بعض شعراء النبى صلى الله عليه وسلم

لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بداهته تنبيك بالخبر

ومع ما أعطى الله موسى عليه السلام من الحجة البالغة ومن العلامات الظاهرة والبرهانات الواضحة الى ان حل الله تلك العقدة ورفع تلك الحبسة واسقط تلك المحنة ومن أجل الحاجة الى حسن البيان واعطاء الحروف حقوقها من الفصاحة رام أبو حذيفة اسقاط الراء من كلامه واخراجها من حروف منطقه فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ويناضله ويساجله ويتأتى لستره والراحة من هجنته(١) حتى انتظم له ما حاول واتسق له ما أمل حتى صار لغرابته مثلا ولظرافته معلما ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال لما استجزنا الاقرار به والتأكيد له ولست أعنى خطبه المحفوظة ورسائله المخلدة لان ذلك يحتمل الصنعة وانما عنيت محاجة الخصوم ومناقلة الاكفاء ومفاوضة الاخوان واللثغة فى الراء تكون بالغين والذال والياء والغين أقلها قبحا وأوجدها فى كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين فاذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء وقد ذكر فى ذلك أبو الطروق الضبى فقال

عليم بابدال الحروف وقامع(٢) * لكل خطيب يغلب الحق باطله

وكان واصل بن عطاء قبيح اللثغة شنيعها وكان طويل العنق جدا وفيه قال بشار الاعمى

مالى أشايع غزالا له عنق * كنقنق(٣) الدو(٤) ان ولى وان مثلا

عنق الزرافة ما بالى وبالكم * أتكفرون رجالا أكفروا رجلا

ولما هجا واصلا وصوب رأى ابليس فى تقديم النار على الطين وقال

الارض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار

وكان واصل بن عطاء غزالا وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له وعلى أيضا فانشد

وما شر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

وقال واصل بن عطاء عند ذلك أما لهذا الملحد الاعمى المشنف المكتنى بابى معاذ من يقتله أما

(١) الهجنة من الكلام ما يعيبه (٢) تاهر (٣) كزبرج الظليم أو الخفيف (٤) الفلاة

والله

والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغاليه لبعثت(١) اليه من يبعج بطنه على مضجعه ويقتله فى جوف منزله وفى يوم حفله(٢) ثم كان لا يتولى ذلك الا عقيلى أو سدوسى قال اسمعيل بن محمد الانصارى وعبد الكريم بن روح الغفارى قال أبو حفص عمر بن أبى عثمان الشمرى ألا ترى يان كيف تجنب الراء فى كلامه هذا وأنتما مع ما تريان من سلامته وقلة ظهور التكلف فيه لا تظنان به التكلف مع امتناعه من حرف كثير الدوران فى الكلام ألا ترى يان أنه حين لم يستطع أن يقول بشار وابن برد والمرعث جعل المشنف بدلا من المرعث والملحد بدلا من الكافر وقال ان الغيلة سجية من سجايا الغاليه ولم يذكر المنصورية ولا المغيرية لمكان الراء وقال لبعثت اليه من يبعج بطنه ولم يقل لارسلت اليه وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه وكان اذا أراد أن يذكر البر قال القمح والحنطة والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية هذا وهو يعلم أن لغة من قال بر أفصح من لغة من قال قمح أو حنطة قال المتنخل الهذلى

لا در درى ان أطعمت نازلهم * قرف الحتى(٣) وعندى البر مكنوز

وقال أمية بن أبى الصلت فى مديح عبد الله بن جدعان

له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته(٤) ينادى

الى ردح(٥) من الشيزى عليها * لباب البر يلبك(٦) بالشهاد(٧)

وقال بعض القرشيين يذكر قيس بن معد يكرب ومقدمه مكة فى كلمة له(٨)

قيس أبو الاشعث بطريق اليمن * لا يسأل السائل عنه ابن من

* أشبع آل الله من بر عدن *

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أترون انى لا أعرف رقيق العيش لباب البر بصغار المعزى وسمع الحسن رجلا يعيب الفالوذق فقال لباب البر بلعاب النحل بخالص السمن ما عاب هذا مسلم وقالت عائشة رضى الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه البرة السمراء حتى فارق الدنيا وأهل الامصار انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ولذلك تجد الاختلاف فى ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر حدثنى أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة انما الفصاحة لنا أهل مكة فقال ابن المناذر اما ألفاظنا فاحكى الالفاظ للقرآن وأكثرها له موافقة فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم أنتم تسمون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور وقال الله عز وجل وجفان كالجواب وقدور راسيات وأنتم تسمون البيت اذا كان فوق البيت علية وتجمعون هذا الاسم على

(١) وفى نسخة لدسست (٢) وفى نسخة أو فى حفله (٣) القرف بالكسر القشر والحتى المقل وهو الدوم (٤) هى الدار (٥) ردح بالضم جمع رداح كسحاب الجفان (٦) يخلط (٧) جمع شهد وهو العسل (٨) أى فى أبيات له

علال ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف وقال الله تبارك وتعالى غرف من فوقها غرف مبنية وقال وهم فى الغرفات آمنون وأنتم تسمون الطلع الكافور والاغريض ونحن نسميه الطلع وقال الله عز وجل ونخل طلعها هضيم فعد عشر كلمات لم احفظ انا منها الاهذا ألاترى ان أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس فى قديم الدهر علقوا بالفاظ من ألفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الخربز ويسمون السميط (١) الروذق ويسمون المصوص الممزوز ويسمون الشطرنج الاشترنج فى غير ذلك من الاسماء وكذلك أهل الكوفة فانهم يسمون المسحاة (٢) بال وبال بالفارسية ولو علق ذلك لغة أهل البصرة اذ نزلوا بادنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب كان ذلك أشبه اذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بادنى بلاد النبط وأقصى بلاد العرب ويسمى أهل الكوفة الحوك باذروج والباذروج بالفارسية والحوك (٣) كلمة عربية وأهل البصرة اذا التقت أربع طرق يسمونها مربعة ويسميها أهل الكوفة الجهارسوك والجهارسوك بالفارسية ويسمون السوق أو السويقة وازار والوازار بالفارسية ويسمون القثاء خيارا والخيار فارسية ويسمون المجذوم ويذى بالفارسية وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ألاترى ان الله تبارك وتعالى لم يذكر فى القرآن الجوع الا فى موضع العقاب أو فى موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع فى حال القدرة والسلامة وكذلك ذكر المطر لانك لا تجد القرآن يلفظ به الا فى موضع الانتقام والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث ولفظ القرآن الذى عليه نزل انه اذا ذكر الابصار لم يقل الاسماع واذا ذكر سبع سموات لم يقل الارضين ألاتراه لا يجمع الارض أرضين ولا السمع اسماعا والجارى على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الالفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال وقد زعم بعض القراء انه لم يجد ذكر لفظ النكاح فى القرآن الا فى موضع التزويج والعامة ربما استخفت أقل اللغتين واضعفهما وتستعمل ما هو أقل فى أصل اللغة استعمالا وتدع ما هو أظهر وأكثر ولذلك صرنا نجد البيت من الشعر قد سار ولم يسر ما هو أجود منه وكذلك المثل السائر وقد يبلغ الفارس والجواد الغاية فى الشهرة ولا يرزق ذلك الذكر والتنويه بعض من هو أولى بذلك منه ألاترى أن ابن القرية عند العامة أشهر عندها فى الخطابة من سحبان وائل وعبيد الله بن الحر أذكر عندهم فى الفروسية من زهير بن ذؤيب وكذلك مذهبهم فى عنترة بن شداد وعتيبة بن الحرث بن شهاب وهم يضربون المثل بعمرو بن معديكرب ولا يعرفون بسطام بن قيس وفى القرآن معان لا تكاد تفترق مثل الصلاة والزكاة والجوع والخوف والجنة والنار والرغبة والرهبة والمهاجرين والانصار والجن والانس قال قطرب أنشدنى ضرار بن عمر وقول الشاعر فى واصل

(١) المنتوف صوفه بالماء (٢) آلة للقش أو الجرف (٣) الباذروج والبقلة الحمقاء

ويجعل

ويجعل البر قمحا فى تصرفه * وجانب (١) الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يعجله * فعاد بالغيث اشفاقا من المطر

قال وسألت عثمان البرى كيف كان واصل يصنع فى العدد وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين وأربعين وكيف كان يصنع بالقمر والبدر ويوم الاربعاء وشهر رمضان وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب فقال مالى فيه قول الا ما قال صفوان

ملقن (٢) ملهم فيما يحاوله * جم (٣) خواطره جوّاب (٤) آفاق

وأنشدنى ديسم قال أنشدنى أبو محمد اليزيدى

وخلة (٥) اللفظ فى اليا آت ان فقدت * كخلة اللفظ فى اللامات والالف
وخصلة الراء فيها غير خافية * فاعرف مواقعها فى القول والصحف

يزعم أن هذه الحروف أكثر ترددا من غيرها والحاجة اليها أشد واعتبر ذلك بان تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم فانك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت ان هذه الحروف الحاجة اليها أشد

﴿ذكر ما جاء فى تلقيب واصل بالغزال ومن نفى ذلك عنه﴾

قال أبو عثمان فمن ذلك ما أخبرنا به الاصمعى قال أنشدنى المعتمر بن سليمان لاسحق بن سويد العدوى

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وابن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب
ولكنى أحب بكل قلبى * واعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصديق حبا * به أرجو غدا حسن المآب

وفى ذلك قال بشار

مالى أشايع غزالا له عنق * كنقنق الدو ان ولى وان مثلا

ومن ذلك قول معدان الشميطى

يوم تشفى النفوس من يعصر اللؤ * م ويشفى بسآمة (٦) الرحال
وعدى وتيمها وثقيف * وأمى وتغلب وهلال
لا حروراولا النوائب تنجو * لا ولا صحب واصل الغزال

وكان بشار كثير المديح لواصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة (٧) ويكفر جميع الامة وكان قد قال فى تفضيله على خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند

(١) تنحى (٢) ملقى فى روعه (٣) كثيرة خواطره (٤) صفة مبالغة والفعل جاب أى قطع (٥) أخصلة (٦) الملل
(٧) أى يؤمن بالرجوع الى الدنيا بعد الموت

عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والى العراق

أباحذيفة قد أوتيت معجبة * من خطبة بدهت (١) من غير تقدير

وان قولا بروق (٢) الخالدين معا * لمسكت مخرس عن كل تحبير (٣)

لانه كان مع ارتجاله الخطبة التى نزع منها الراء كانت مع ذلك أطول من خطبهم وقال بشار

تكلف القول والاقوام قد حفلوا * وحبر واخطبا ناهيك من خطب

فقام مرتجلا (٤) تغلى بداهته * كمرجل القين (٥) لما حف باللهب

وجانب الراء لم يشعر به أحد * قبل التصفح والاغراق فى الطلب

وقال فى كلمة له يعنى تلك الخطبة

فهذا بديه لا كتحبير قائل * اذا ما أراد القول زوده شهرا

فلما انقلب عليهم بشار ومقاتله لهم بادية هجوه ونفوه فما زال غائبا حتى مات عمرو بن عبيد وقال صفوان الانصارى

متى كان غزال له يا ابن حوشب * غلام كعمرو أو كعيسى بن حاضر

اما كان عثمان الطويل بن خالد * أو القرم حفص نهية (٦) للمخاطر

له خلف شعب الصين فى كل ثغرة * الى سوسها (٧) الاقصى وخلف البرابر

رجال دعاة لا يفل (٨) عزيمهم * تهكم جبار ولا كيد ماكر

اذا قال مر وا فى الشتاء تطاوعوا * وان كان صيفا لم يخف شهر ناجر (٩)

بهجرة أوطان وبذل وكلفة * وشدة اخطار وكد المسافر

فانجح مسعاهم واثقب زندهم * وأورى (١٠) بفلج (١١) للمخاصم قاهر

وأوتاد أرض الله فى كل بلدة * وموضع فتياها وعلم التشاجر

وما كان سحبان يشق غبارهم * ولا الشدق من حى هلال بن عامر

ولا الناطق النخار (١٢) والشيخ دغفل * اذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر

ولا القالة الاعلون رهط مكحل * اذا نطقوا فى الصلح بين العشائر

بجمع من الجفين راض وساخط * وقد زحفت بر أوهم للمحاضر

الجفان بكر وتميم والروقان بكر وتغلب والفاران الازد وتميم قيل ذلك لكل عمارة من الناس وهى جمع والعمائر أيضا غار والجف أيضا قشر الطلعة

تلقب بالغزال واحد عصره * فمن لليتامى والقبيل المكاثر

ومن لحرورى وآخر رافض * وآخر مرجى (١٣) وآخر حائر

(١) جاءت فجاءة أى بغير استحضار (٢) يعجب (٣) تحسين (٤) مبتدئا من غير تهيئة قبل ذلك (٥) الحداد (٦) جمع نهى وهو العقل (٧) بلد بالمغرب (٨) يكسر (٩) كل شهر من شهور الصيف (١٠) أى أضاء (١١) الظفر والفوز (١٢) النخار بن أوس أنسب العرب (١٣) من فرقة المرجئة

وأمر بمعروف وانكار منكر * وتحصين دين الله من كل كافر

يصيبون فصل القول فى كل منطق * كما طبعت فى العظم مدية (١) جازر

تراهم كان الطير فوق رؤسهم * على عمة (٢) معروفة فى المعاشر

وسيماهم معروفة فى وجوههم * وفى المشى حجاجا وفوق الاباعر (٣)

وفى ركعة تاتى على الليل كله * وظاهر قول فى مثال الضمائر

وفى قص هداب (٤) واحفاء (٥) شارب * وكور (٦) على شيب يضىء لناظر

وعنفقة (٧) مصلومة (٨) ولنعله

قبالان (٩) فى درن (١٠) رحيب الخواطر

فتلك علامات تحيط بوصفهم * وليس جهول القوم فى جرم خابر

وفى واصل يقول صفوان

فما مس دينارا ولا صر درهما * ولا عرف الثوب الذى هو قاطعه

وفيه يقول اسباط بن واصل الشيبانى

وأشهد أن الله سماك واصلا * وانك ميمون النقيبة (١١) والشيم (١٢)

ولما قام بشار يعذر ابليس فى أن النار خير من الارض وذكر واصلا بما ذكره قال صفوان

زعمت بان النار أكرم عنصرا * وفى الارض تحى بالحجارة والزند

ويخلق فى أرحامها وأرومها (١٣) * أعاجيب لا تحصى بخط ولا عقد

وفى القعر من لج البحار منافع * من اللؤلؤ المكنون والعنبر الورد

كذلك سر الارض فى البحر كله * وفى الغيضة (١٤) الغناء والجبل الصلد

ولابد من أرض لكل مطهر * وكل سبوح (١٥) فى الغمائر من جد

كذلك وما ينساح فى الارض ماشيا * على بطنه مشى المجانب للقصد

ويسرى على جلد يقيم حزوزه * تعمج (١٦) ماء السيل فى صبب (١٧) حرد

وفى قلل الاجبال خلف مقطم * زبرجد أملاك الورى ساعة الحشد

وفى الحرة (١٨) الرجلاء (١٩) تلقى معادنا * لهن مغارات تبجس بالنقد

من الذهب الابريز والفضة التى * تروق وتصبى (٢٠) ذا القناعة والزهد

وكل فلز من نحاس وآنك (٢١) * ومن زئبق حى ونوشادر يسدى

(١) سكين (٢) الاعتمام (٣) جمع بعير (٤) جمع هدب وهو شعر اشفار العينين (٥) الاستقصاء فى أخذه (٦) زيادة (٧) شعيرات بين الشفة السفلى والذقن (٨) مقطوعة (٩) الزمام الذى يكون بين الاصبع الوسطى والتى تليها (١٠) وسخ (١١) مبارك النفس (١٢) الاخلاق (١٣) حجارة (١٤) اجمة (١٥) عوام (١٦) أسرع فى السير (١٧) منحدر فى الارض (١٨) أرض ذات حجارة سود كانها أحرقت بالنار (١٩) كثيرة الحجارة (٢٠) يميل اليها (٢١) الاسرب

وفيها زرانيخ ومكر (١) ومرتك

ومن مرقشيشا غير كاب (٢) ولا مكدى (٣)

وفيها ضروب القار (٤) والشب والنهى (٥)

وأصناف كبريت مطاولة الوقد

ترى العرف منها فى المقاطع لائحا * كما قرت الحسناء حاشية البرد

ومن اثمد (٦) جون (٧) وكلس (٨) وفضة

ومن توتياء فى معادنه هندى

وفى كل أغوار البلاد معادن * وفى ظاهر البيداء من مستوى نجد

وكل يواقيت الانام وحليها * من الارض والاحجار فاخرة المجد

وفيها مقام الحل والركن والصفا * ومستلم الحجاج من جنة الخلد

وفى صخرة الخضر التى عند حوتها * وفى الحجر المهى (٩) لموسى على عمد

وفى الصخرة الصماء تصدع آية * لام فصيل ذى رغاء وذى وجد

مفاخر للطين الذى كان أصلنا * ونحن بنوه غير شك ولا جحد

فذلك تدبير ونفع وحكمة * وأوضح برهان على الواحد الفرد

أتجعل عمرا والنطاسى (١٠) واصلا * كاتباع ديصان وهم قش المد

وتفخر بالميلاد والعلج (١١) عاصم * وتضحك من جيد الرئيس أبى جعد

وتحكى لدى الاقوام شنعة رأيه * لتصرف أهواء النفوس الى الرد

وسميته الغزال فى الشعر مطنبا * ومولاك عند الظلم قصة (١٢) مردى (١٣)

يقول ان مولاك ملاح لان الملاحين اذا تظلموا رفعوا المرادى

فيا ابن حليف الطين (١٤) واللؤم والعمى * وأبعد خلق الله من طرق الرشد

أتهجو أبا بكر وتخلع بعده * عليا وتعزو (١٥) كل ذاك الى برد

كانك غضبان على الدين كله * وطالب زحل لا يبيت على حقد (١٦)

رجعت الى الامصار من بعد واصل * وكنت شريدا (١٧) فى التهايم والنجد

أتجعل ليلى الناعطية نحلة * وكل عريق فى التناسخ (١٨) والرد

عليك بدعد والصدوف وفرتنا * وحاضنتى كسف وزاملتى هند

(١) الطين الاحمر (٢) تقول كابى الرماد أى عظيمه (٣) صلب (٤) الزفت (٥) الزجاج (٦) حجر الكحل (٧) أسود (٨) النورة وأخلاطها (٩) يقال أمهى الحديدة أى أحدها ولعلها هنا بمعنى الحجر المنحوت (١٠) الطبيب (١١) الكافر (١٢) القصة القطعة ترفع فيها الظلامة (١٣) والمردى عود يدفع به الملاح السفينة والمرادى المقاذف (١٤) انما قال له ابن حليف الطين لان أباه كان فخارا يصنع الجرار (١٥) تنسب (١٦) ثار العداوة (١٧) طريدا (١٨) التناسخ عند من يقول به انتقال الروح من جسم لآخر

تواثب أقمارا وأنت مشوه * وأقرب خلق الله من شبه القرد

ولذلك قال فيه حماد عجرد بعد ذلك * وأقبح من قرد اذا ما عمى القرد *

ويقال انه لم يجزع من شئ قط جزعه من هذا البيت وذكره الشاعر وذكر أخويه لامه فقال لقد ولدت أم الاكيمة أعرجا * وآخر مقطوع القفا ناقص القصد

وكانوا ثلاثة مختلفى الآباء والام واحدة وكلهم ولد زمنا ولذلك قال بعض من يهجوه

اذا دعاه الخال اقعى (١) ونكص (٢) * وهجنة الاقراف (٣) فيه بالخصص

﴿وقال الشاعر﴾

لا تشهدن بخارجى مطرف (٤) * حتى ترى من نجله افراسا

وقال صفوان الانصارى فى بشار وأخويه وكان يخاطب أمهم

ولدت خلدا وذيخا فى تشتمه * وبعده خززا يشتد فى العضد

والخلد ضرب من الجرذان يولد أعمى والذيخ ذكر الضباع وهو أعرج والخزز ذكر الارانب وهو قصير اليدين لا يلحقه الكلب فى الصيد

ثلاثة من ثلاث فرقوا فرقا * فاعرف بذلك عرق الخال من ولد

وقال بعد ذلك سليمان الاعمى أخو مسلم بن الوليد الانصارى الشاعر فى اعتذار بشار لابليس وهو يخبر عن كرم خصال الارض

لا بد للارض ان طابت وان خبثت * من أن تحيل اليها كل مغروس

وتربة الارض ان جيدت وان قحطت * فحملها أبدا فى اثر منفوس

وبطنها بفلز الارض ذو خبر * بكل جوهرة فى الارض مرموس

الفلز جوهر الارض من الذهب والفضة والنحاس والآنك وغير ذلك

وكل آنية عمت مرافقها * وكل منتقد فيها وملبوس

وكل ماعونها كالملح مرفقة * وكلها مضحك من قول ابليس

وقال بعض خلفاء بغداد

عجبت من ابليس فى كبره * وخبث ما أبداه من نيته

تاه على آدم فى سجدة * وصار قواد الذريته

وذكره بهذا المعنى سليمان أخو مسلم الانصارى فقال

يأبى السجود له من فرط نخوته * وقد تحول فى مسلاخ قواد

وقال صفوان فى شان واصل وبشار وفى شان النار والطين فى كلمة له

وفى جوفها للعبد أستر منزل * وفى ظهرها يقضى فرائضه العبد

(١) جلس على استه مفترشا رجليه (٢) احجم (٣) المداناة يقال أقرف له أى داناه (٤) الكريم الاطراف من الآباء والامهات

تمج(١) لفاظ(٢) الملح مجاو تصطفى * سبائك لا تصدى وان قدم العهد
وليس بمحص كنـه مافى بطونها * حساب ولا خط وان بلغ الجهـد
فسائل بعبـد الله فى يوم حفله * وذاك مقام لا يشاهـده وغـد
أقام شبيبا وابن صـفوان قبله * بقول خطيب لا يجانبه القصـد
وقام ابن عيسى ثم قفاه(٣) واصل * فابدع قـولا ماله فى الورى ند
فانقصته الراء اذ كان قادرا * على تركها واللفظ مطرد سرد
ففضل عبد الله خطبة واصـل * وضوعف فى قسم الصلات له الشكد(٤)
فاقنع كل القوم شكر حبائهـم * وقلل ذاك الضعف فى عينه الزهد

قد كتبنا احتجاج من زعم أن واصل بن عطاء كان غزالا واحتجاج من دفع ذلك عنـه ويزعم هؤلاء أن قول الناس واصـل الغزال كما يقال خالد الحـذاء وكما يقولون هشام الدسـتوائى وانمـا قيل ذلك لان الاباضية كانت تبعث اليه من صدقاتها بثياب دستوانية فكان يكسوها الاعراب الذين يكونون بالجباب فاجابوه الى قول الاباضـيه وكانوا قبـل ذلك لا يزوجون الهجناء فاجابوه الى التسوية وزوجوا الهجينا فقال الهجين فى ذلك

اناوجـدنا دستواندينا * الصائمـين المتعبـدينا
أفضل منكم حسباودينا * أخزى الا له المتكبرينا
* أفيكم من ينكح الهجينا *

وانمـا قيل ذلك لواصل لكثرة جلوسه فى سوق الغزالين الى أبى عبـد الله مولى قطن الهلالى وكذلك كانت حال خالد الحذاء الفقيه وكما قالوا أبو مسـعود البدرى لانه كان نازلا على ذلك المـاء وكما قالوا أبو مالك السدى لانه كان يبيـع الخمر فى سـدة المسجد وهذا الباب مسـتقصى فى كتاب الاسمـاء والكنى وقد ذكرنا جـلة منـه فى أبناء السرارى (٥) والمهيرات (٦)

﴿ذكر الحروف التى تدخلها اللثغة﴾

قال أبو عثمان ومايحضرنى منها وهى أربعة أحرف القاف والسـين واللام والراء فاما التى هى على الشـين المعجمة فذلك شئ لا يصوره الخط لانه ليس من الحـروف المعروفـة وانمـا هو مخرج من المخارج والمخـارج لا تحصى ولا يوقف عليهـا وكذلك القول فى حروف كثيرة من حروف لغات العجم وليس ذلك فى شئ أكثر منها فى لغـة الخوز وفى سواحل البحر من أسياف فارس ناس كثير كلامهم شبيه بالصفير فمن يسـتطيـع أن يصور كثيرا من حروف الزمزمة(٧) والحروف التى تظهر من فم المجوسى اذا ترك الافصاح عن معانيـه وأخذ فى باب الكناية وهو على الطعام فاللثغة التى تعرض للسـين تكون ثاء كقوله لابى يكسوم

(١) ترمى (٢) الشئ المرمى (٣) تبعه (٤) الشكر (٥) جمع سرية وهى الامة التى بوأتها بيتا (٦) جمع مهيرة وهى الحرة (٧) كلام المجوس عند أكلهم

أبى يكثوم وكما يقولون بثرة اذا أرادوا بسرة وبثم الله اذا أرادوا بسم الله والثانيـة اللثغـة التى تعـرض للقاف فان صاحبها يجعـل القاف طاء فاذا أراد أن يقول قلت له قال طلت له واذا أراد أن يقول قال لى قال طال لى وأما اللثغة التى تقع فى اللام فان من أهلها من يجعـل اللام ياء فيقول بدل قوله اعتللت اعتييت وبدل جمـل جمى وآخرون يجعلون اللام كافا كالذى عرض لعمر أخى هلال فانه كان اذا أراد أن يقول ما العلة فى هذا قال ما الكعكة فى هـذا فاما اللثغـة التى تقع فى الراء فان عددها يضـعف على عـدد لثغة اللام لان الذى يعرض لها أربعـة أحرف فمنهـم من اذا أراد أن يقول عمر وقال عمى فيجعل الراء ياء ومنهـم من اذا أراد أن يقول عمرو قال عمغ فيجعل الراء غينا ومنهم من اذا أراد أن يقول عمر وقال عمذ فيجعل الراء ذالا واذا أنشد قول الشاعر

واستبدت مرة واحدة * انمـا العاجز من لا يستبد

قال

واستبدت مذة واحدة * انمـا العاجز من لا يستبد

فمن هؤلاء على بن جنيد بن فريدى ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمة فيقول اذا أنشـد هـذا البيت

واستبدت مرة واحدة * انمـا العاجز من لا يستبد

قال

واستبدت مظة واحدة * انمـا العاجز من لا يستبد

ومنهم من يجعل الراء غينا معجمة فاذا أراد أن ينشد هذا البيت

واستبدت مرة واحدة * انمـا العاجز من لا يستبد

قال

واستبدت مغة واحدة * انمـا العاجز من لا يستبد

كما أن الذى لثغته بالياء اذا أراد أن يقول واستبدت مرة واحدة قال واستبدت مية واحـدة وأما اللثغة الخامسة التى كانت تعرض لواصل بن عطاء وسليمـان بن يزيد العـدوى الشاعر فليس الى تصويرها سبيل وكذلك اللثغة التى تعرض فى الشين كنحو ما كان لمحمد بن الحجاج كاتب داود بن محمد كاتب أم جعفر فان تلك أيضا ليس لها صورة فى الخط ترى بالعين وانمـا يصورها اللسان وتتأدى الى السمع وربمـا اجتمعت فى الواحـد لثغتان فى حرفين كنحو لثغة شوشى صاحب عبـد الله بن خالد الاموى فانه كان يجعل اللام ياء والراء ياء قال مرة موياى ويى أبى بريد مولاى وولى الرى واللثغة فى الراء اذا كانت بالياء فهـى أحقرهن وأوضـعهن لذى المروءة ثم التى على الظاء ثم التى على الذال فاما التى على الغـين فهـى أيسرهن ويقال ان صاحبها لو جهد نفسه جهده وأخـذ لسانه وتـكلف مخرج الراء على حقها والافصاح بها لم يكن بعيدا من أن تجيبه الطبيعة ويؤثر فيها ذلك التعهد أثرا حسنا وقد كانت لثغة محمـد ابن شبيب المتـكلم بالغين وكان اذا شاء أن يقول عمرو ولعمرى وما أشـبه ذلك على الصحة قاله ولـكنه كان يستثقل التـكلف والتهيؤ لذلك فقلت له اذا لم يكن المـانع الا هذا العذر فلست

أشك انك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهرا واحدا ان لسانك كان يستقيم اما من يعتريه اللثغ فى الضاد بما اعتراه أيضا فى الصاد والراء حتى اذا أراد أن يقول مضر قال مضى فهذا وأشباهه لاحقون بشوشى وزعم ناس من العوام أن موسى صلوات الله وسلامه عليه كان ألثغ ولم يقفوا من الحروف التى كانت تعرض له فى شئ بعينه فمنهم من جعل ذلك خلقة ومنهم من زعم أنه انما اعتراه حين قالت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون لفرعون لا تقتل طفلا لا يفرق الجمر من التمر فلما دعا له فرعون بهما جميعا تناول جمرة فاهوى بها الى فيه فاعتراه من ذلك ما اعتراه وأما اللثغة فى الراء فتكون بالياء والذال والغين وهى أقلها قبحا وأوجدها فى ذوى الشرف وكبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم وكانت لثغة محمد بن شبيب المتكلم بالغين فاذا حمل على نفسه وقوم لسانه أخرج الراء على الصحة فتأتى له ذلك وكان يدع ذلك استثقالا أنا سمعت ذلك منه قال وكان الواقدى يروى عن بعض رجاله أن لسان موسى عليه السلام كانت عليه شامة فيها شعرات وليس يدل القرآن على شئ مما قالوا لانه ليس فى قوله واحلل عقدة من لسانى دليل شئ على شئ دون شئ قال الاصمعى اذا تتعتع اللسان فى التاء فهو تمتام واذا تعتتع فى الفاء فهو فأفاء وأنشد لرؤبة بن العجاج

يا حمدذات المنطق التمتام * كان وسواسك فى اللمام

* حديث شيطان بنى همام *

وبعضهم ينشد * يا حمدذات المنطق التمتام * وليس ذلك بشئ وانما ذلك كما قال أبو الزحف

لست بفأفاء ولا تمتام * ولا كثير الهجر (١) فى المنام

وأنشد أيضا للخولانى فى كلمة له

ان السياط تركن لاستك منطقا * كمقالة التمتام ليس بمعرب

فجعل الخولانى التمتام غير معرب عن معناه ولا مفصح بحاجته وقال أبو عبيدة اذا أدخل الرجل بعض كلامه فى بعض فهو ألف وقيل بلسانه لفف وأنشدنى لابى الزحف الراجز

كأن فيه لففا اذا نطق * من طول تحبيس وهم وأرق

كانه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلمه وطال عليه ذلك أصابه لفف فى لسانه وكان يزيد بن جابر قاضى الازارقه بعد المقعطل يقال له الصموت لانه لما طال صمته ثقل عليه الكلام فكان لسانه يلتوى ولا يكاد يبين وأخبرنى محمد بن الجهم أن مثل هذا اعتراه أيام محاربة الزط من طول التفكر ولزوم الصمت وأنشدنى الاصمعى

حديث بنى زط اذا ما لقيتهم * كنزو (٢) الدبى (٣) فى الصرفج (٤) المتقارب

قال ذلك حين كان فى كلامهم عجلة وقال سلمة بن عياش

كأن بنى رالان اذ جاء جمعهم * فراريج يلقى بينهن سويق

(١) الهذيان (٢) وثوب (٣) صغار النمل (٤) شجر ينبت فى السهل

فقال ذلك لرقة أصواتهم وعجلة كلامهم وقال اللاهى فى العلاج

ليس خطيب القوم بالعلاج * ولا الذى يزحل (١) كالهلباج (٢)

ورب بيداء وليل داج * هتكته (٣) بالنص (٤) والادلاج (٥)

وقال محمد بن سلام الجمحى كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اذا رأى الرجل يتلجلج فى كلامه قال خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد ويقال فى لسانه حبسة اذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغ حد الفأفاء والتمتام ويقال فى لسانه لكنة اذا أدخل بعض حروف العجم فى حروف العرب وجذبت لسانه العادة الاولى الى المخرج الاول فاذا قالوا فى لسانه حكلة فانما يذهبون الى نقصان آلة المنطق وعجز اداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه الا بالاستدلال وقال رؤبة بن العجاج

لو اننى أوتيت علم الحكل * علم سليمان كلام النمل

وقال محمد ذؤيب فى مديح عبد الملك بن صالح

ويفهم قول الحكل لو ان ذرة * تساود (٦) أخرى لم يفته سوادها

وقال التيمى فى هجائه لبنى تغلب

ولكن حكلا لا تبين ودينها * عبادة اعلاج عليها البرانس (٧)

قال سهيم بن حفص فى الخطيب الذى يعرض له النحنحة والسعلة وذلك اذا انتفخ سحره (٨) وكازنده (٩) ونباحده (١٠) فقال

نعوذ بالله من الاهمال * ومن كلال (١١) الغرب فى المقال * ومن خطيب دائم السعال

وأنشدنى الاعرابى ان زياد اليس بالبكى * ولا بهياب (١٢) كثير العى

وأنشدنى بعض أصحابنا

ناديت هيذان والابواب مغلقة * ومثل هيذان سنى (١٣) فتحة الباب

كالهندوانى لم تفلل (١٤) مضاربه * وجه جميل وقلب غير وجاب (١٥)

(وقال الآخر) * اذا الله سنى عقد شئ تيسرا * وقال بشر بن معمر فى مثل ذلك

ومن الكبائر مقول متعتع * جم التنحنح متعب مبهود

وذلك انه شهد ريسان أبا بجير بن ريسان يخطب وقد شهدت انا هذه الخطبة ولم أر جبانا قط أجرأ منه ولا جريا قط أجبن منه وقال الاشل الازرقى من بعض اخوال عمران بن حطان الصفر القعدى فى زيد بن جندب الايادى خطيب الازارقه واجتمعا فى بعض المحافل فقال بعد ذلك الاشل البكرى

(١) يتنحى أو يتباعد (٢) الاحمق (٣) قطعته الى آخره (٤) السير الشديد (٥) السير من أول الليل (٦) لعله تسارر وهكذا لم يفته سرارها أى يفهم مادق حتى مساررة الذرة (٧) جمع برنس وهو قلنسوة طويلة (٨) رئته (٩) لم تخرج ناره (١٠) كل (١١) أعياء (١٢) جبان متهيب (١٣) سهل بتشديد الهاء (١٤) تثلم (١٥) جبان

نخخ زيد وسعل * لما رأى وقع الاسل(١)

ويل امه(٢) اذا ارتجل * ثم أطال واحتفل

وقد ذكر الشاعر زيد بن جندب الايادى الخطيب الازرقى فى مرثيته لابى داود بن جرير الايادى حيث ذكره بالخطابة وضرب المثل بخطباء اياد فقال

كقس ايادا ولقيط بن معبد * وعذرة والمنطيق زيد بن جندب

وزيد بن جندب هو الذى يقول فى الاختلاف الذى وقع بين الازارقة

قل للمحلين(٣) قد قرت عيونكم * بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا اناسا على دين ففرقنا * فرع الكلام وخلط الجد باللعب

ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الخطب

انى لاهونكم فى الارض مضطربا * مالى سوى فرسى والرمح من نشب(٤)

وأما عذرة المذكور فى البيت الاول فهو عذرة بن حجرة الخطيب الايادى ويدل على قدره فيهم وعلى قدره فى اللسن والخطب قول شاعرهم

وأى فتى صبر(٥) على الاين(٦) والظما

اذا اعتصروا (٧) للوح(٨) ماء فظاظها(٩)

اذا ضرجوها (١٠) ساعة بدمائها

وحل عن الكوماء(١١) عقد شظاظها (١٢)

فانك ضحاك الى كل صاحب * وأنطق من قس غداة عكاظها

اذا شعب المولى مشاعب معشر * فعذرة فيها آخذ بكظاظها(١٣)

فلم يضرب هذا الشاعر الايادى المثل لهذا الخطيب الايادى الا برجل من خطباء اياد وهو قس بن ساعدة ولم يضرب صاحب مرثية أبى داود بن جرير الايادى المثل الا بخطباء اياد فقط ولم يفتقر الى غيرهم حيث قال فى عذرة بن حجرة

كقس ايادا ولقيط بن معبد * وعذرة والمنطيق(١٤) زيد بن جندب

وأول هذه المرثية قوله

نعى ابن جرير جاهل بمصابه * فعم نزارا بالبكا والتحوب (١٥)

نعاه لنا كالليث يحمى عرينه(١٦) * وكالبدر يغشى(١٧) ضوءه كل كوكب

واصبر من عود واهدى اذا سرى * من النجم فى داج(١٨) من الليل غيهب

(١) شولة الشجر الطويل أو الرمح (٢) ويل لامه (٣) النازلين المقيمين (٤) المال والعقار (٥) لعله يعنى صبور (٦) التعب (٧) استخرجوا (٨) بضم اللام وهو العطش (٩) غلظها (١٠) صبغوها (١١) الناقة العظيمة السنام (١٢) العود الذى يدخل فى عروة الجوالق (١٣) الشدة طول الملازمة (١٤) البليغ (١٥) التوجع (١٦) مأواه (١٧) يغطى (١٨) مظلم

واضرب

واضرب من حد السنان لسانه * وامضى من السيف الحسام المشطب

زعيم نزار كلها وخطيبها * اذا قال طاطا رأسه كل مشغب

سليل (١) قروم (٢) سادة ثم قالة * يبزون(٣) يوم الجمع أهل المحصب(٤)

كقس ايادا ولقيط بن معبد * وعذرة والمنطيق زيد بن جندب

فى كلمة له طويلة واياهم عنى الشاعر بقوله

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ خيفة الرقباء

قال أخبرنى محمد بن عباد بن كاسب كاتب زهير ومولى بجيلة بن سبى دابق وكان شاعرا راوية وطلابة للعلم علامة قال سمعت أبا داود بن جرير يقول وقد جرى شئ من ذكر الخطب وتحبير الكلام واقتضابه (٥) وصعوبة ذلك المقام وأهواله فقال تلخيص المعانى رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق من غير أهل البادية بغض والنظر فى عيون الناس عى ومس اللحية هلك والخروج مما بنى عليه أول الكلام اسهاب قال وسمعته يقول رأس الخطابة الطبع(٦) وعمودها الدربة (٧) وجناحاها رواية الكلام وحليها الاعراب(٨) وبهاؤها تخير(٩) اللفظ والمحبة مقرونة بقلة الاستكراه وأنشدنى بيتا له فى صفة خطباء اياد وهو قوله

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى(١٠) الملاحظ خيفة الرقباء

فذكر المبسوط(١١) فى موضعه والمحذوف فى موضعه والموجز والكناية والوحى باللحظ ودلالة الاشارة وأنشدنى له الثقة فى كلمة له معروفة

الجود أخشن مسا يا بنى مطر * من أن تبزكموه كف مستلب

ما أعلم الناس أن الجود مدفعة * للذم لكنه يأتى على النشب

قال ثم لم يحفل (١٢) بها فادعاها مسلم بن الوليد الانصارى أو ادعيت له وكان أحد من يجيد(١٣) قريض الشعر وتحبير الكلام وفى الخطباء من يكون شاعرا ويكون اذا تحدث أو وصف أو احتج بليغا مفوها بينا وربما كان خطيبا فقط وشاعرا فقط وبين اللسان فقط ومن الشعراء الخطباء الابيناء (١٤) الحكماء قس بن ساعدة الايادى والخطباء كثير والشعراء أكثر منهم ومن يجمع الخطابة والشعر قليل ومنهم عمرو بن الاهتم المنقرى وهو المكحل قالوا كان شعره فى مجالس الملوك حلل منشرة قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قيل للاوسية أى منظر أحسن قالت قصور بيض فى حدائق خضر فانشد عند ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بيت عدى بن زيد العبادى

كدمى(١٥) العاج فى المحاريب(١٦) أو كا * لبيض فى الروض زهره مستنير

(١) ولد (٢) فحول (٣) يسكبون (٤) الشعب الذى مخرجه الى الابطح ساعة من الليل (٥) ارتجاله (٦) السجية (٧) الاعتياد (٨) الافصاح (٩) انتقاء (١٠) الاشارة بالكلام الخفى (١١) المنشور (١٢) لم يبال (١٣) يحسن (١٤) جمع بين وهو الفصيح (١٥) الصورة المنقشة (١٦) المساجد

قال فقال قسامة بن زهير كلام عمرو بن الاهتم آنق (١) وشعره أحسن هذا وقسامة أحد ابيناء العرب ومن الخطباء الشعراء البعيث المجاشعي واسمه خداش بن بشر بن لبيد ومن الخطباء الشعراء الكميت بن زيد الاسدي وكنيته أبو المستهل ومن الخطباء الشعراء الطرماح بن حكيم الطائي وكنيته أبو نفر قال القاسم بن معن قال محمد بن سهل راوية الكميت انشدت الكميت قول الطرماح

اذا قبضت نفس الطرماح اخلقت (٢) * عرى المجد واسترخى عنان القصائد

قال فقال الكميت اى والله وعنان الخطابة والرواية قال أبو عثمان الحافظ ولم ير الناس أعجب حالا من الكميت والطرماح وكان الكميت عدنانيا عصبيا (٣) وكان الطرماح قحطانيا عصبيا وكان الكميت شيعيا من الغالية وكان الطرماح خارجيا من الصفرية وكان الكميت يتعصب لاهل الكوفة وكان الطرماح لاهل الشام وبينهما مع ذلك من الخاصة والمخالطة ما لم يكن بين نفسين قط ثم لم يجر بينهما صرم (٤) ولا جفوة ولا اعراض ولا شئ مما تدعو هذه الخصال اليه ولم ير الناس مثلهما الا ماذكروا من حال عبد الله بن زيد الاباضي وهشام بن الحكم الرافضي فانهما صارا الى المشاركة بعد الخلطة والمصاحبة وقد كانت الحال بين خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة الحال التى تدعو الى المفارقة بعد المناقشة والمحاسدة للذى اجتمعا فيهما من اتفاق الصناعة والقرابة والمجاورة فكان يقال لولا انهما احلم تميم لتباينا تباين (٥) النمر والاسد وكذلك كانت حال هشام بن حكم الرافضي وعبد الله بن زيد الاباضي الا انهما فضلا على سائر المتضادين بما صارا اليه من الشركة فى جميع تجارتهما وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة فقال ليس له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية فلم يعارضه شبيب وتدل كلمة خالد هذه على انه يحسن أن يسب سب الاشراف ومن الخطباء الشعراء عمران بن حطان وكنيته أبو شهاب أحد بنى عمرو بن شيبان اخوة سدوس فى بنى عمرو بن شيبان مع قلتهم من العلماء والخطباء والشعراء عمران بن حطان رئيس القعدة (٦) من الصفرية وصاحب فتياهم ومفزعهم عند اختلافهم * ومنهم دغفل بن حنظلة النسابه الخطيب العلامة ومنهم القعقاع بن شور وسنذكرشانهم اذا انتهينا الى موضع ذكرهم ان شاء الله تعالى ومن الخطباء الشعراء نصر بن سيار أحد بنى ليث بن بكر صاحب خراسان وهو يعد فى أصحاب الولايات وفى الحروب وفى التدبير وفى العقل وشدة الرأى ومن الخطباء الشعراء زيد بن جندب الايادى وقد ذكرنا شانه ومن الخطباء الشعراء عجلان بن سحبان الباهلى وسحبان هذا هو سحبان وائل وهو خطيب العرب ومن الخطباء الشعراء العلماء وممن قد تنافر (٧) اليه الاشراف أعشى همدان ومن الشعراء الخطباء

(١) احسن (٢) بليت (٣) نسبة الى عصبة وهم أبو الرجل وابنه وعمه وخاله (٤) مصدر صرم أى قطع (٥) تهاجر (٦) الخوارج (٧) تذهب

عمران بن عصام العنزى وهو الذى أشار على عبد الملك بخلع (١) أخيه عبد العزيز والبيعة للوليد بن عبد الملك فى خطبته المشهورة وقصيدته المذكورة وهو الذى لما بلغ عبد الملك ابن مروان قتل الحجاج له قال ولم قتله ويله هلا رعى له قوله فيه

وبعثت من ولد الاغر معتب (٢) * صقرا يلوذ (٣) حمامه بالعرفج (٤)
فاذا طبخت بناره أنضجتها * واذا طبخت بغيرها لم ينضج
وهو الهزبر اذا أراد فريسة * لم ينجها منه صياح الهجهج (٥)

ومن خطباء الامصار وشعرائهم والمولدين منهم بشار الاعمى وهو بشار بن برد وكنيته أبو معاذ كان من أحد موالى بنى عقيل فان كان مولى أم ظباء على ما يقول بنو سدوس وما ذكره حماد عجرد فهو من موالى بنى سدوس ويقال انه من أهل خراسان نازلا فى بنى عقيل وله مديح كثير فى فرسان أهل خراسان ورجالاتهم وهو الذى يقول

من خراسان (٦) وبيتى فى الذرا * ومن لدا المسعاة فرعى قد سبق
وانى لمن قوم خراسان دارهم * كرام وفرعى فيهم ناضر بسق (٧)

وكان شاعرا راجزا سجاعا خطيبا صاحب منثور ومزدوج وله رسائل معروفة وأنشد عقبة ابن رؤبة عقبة بن سلم رجزا يمتدحه فيه وبشار حاضر فاظهر بشار استحسان الارجوزة فقال عقبة بن رؤبة هذا طراز (٨) يا أبا معاذ لا تحسنه فقال بشار ألمثلى يقال هذا الكلام أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك ثم غدا على عقبة بن سلم بارجوزته التى أولها

يا طلل الحى بذات الصمد (٩) * بالله خبر كيف كنت بعدى

(وهى التى يقول فيها)

أسلم وحييت أبا الملد * لله أيامك فى معد

(وفيها يقول)

الحر يلحى (١٠) والعصا للعبد * وليس للملحف (١١) مثل الرد

(ويقول فيها)

وصاحب كالدمل الممد * حملته فى رقعة من جلدى

(وما وراء رغبتى من زهدى)

أى لم أره زهدا فيه ولا رغبة ذهب الى قول الشاعر

لقد كنت فى قوم عليك أشحة (١٢) * بنفسك لولا ان من طاح (١٣) طائح (١٤)
يودون لو خاطوا عليك جلودهم * ولا تدفع الموت النفوس الشحائح

(١) بعزل (٢) اسم رجل (٣) يلجأ (٤) شجر ينبت فى السهل (٥) لعله صوت السكر دعند القتال أو غير ذلك (٦) لعله أنا من (٧) طال (٨) الهيئة والنمط (٩) المكان المرتفع الغليظ (١٠) يشتم بضم الياء وفتح الحاء (١١) ملح بتشديد الحاء (١٢) بخلاء (١٣) سقط (١٤) هالك

والمطبوعون على الشعر من المولدين بشار العقيلى والسيد الحميرى وأبو العتاهية وابن أبى عيينة وقد ذكر الناس فى هذا الباب يحيى بن نوفل وسلما الخاسر وخلف بن خليفة وأبان بن عبد الحميد اللاحقى أولى بالطبع من هؤلاء وبشار أطبعهم كلهم ومن الخطباء الشعراء ومن يؤلف الكلام الجيد ويصنع المناقلات الحسان ويؤلف الشعر والقصائد الشريفة مع بيان عجيب ورواية كثيرة وحسن دل (١) واشارة عيسى بن يزيد بن دأب أحد بنى ليث بن بكر وكنيته أبو الوليد ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن كلثوم بن عمرو العتابى وكنيته أبو عمرو وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين كنحو منصور النمرى ومسلم بن الوليد الانصارى وأشباههما وكان العتابى يحتذى (٢) حذو بشار فى البديع ولم يكن فى المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة والعتابى من ولد عمرو بن كلثوم ولذلك قال

انى امرؤ هدم الاقتار (٣) مأثرتى * واجتاح (٤) ما بنت الايام من خطرى
أيام عمرو بن كلثوم يسوّده (٥) * حيار بيعة والافناء من مضر
أرومة عطلتنى من مكارمها * كالقوس عطلها الرامى من الوتر

ودل فى هذه القصيدة على انه كان قصيرا قوله

نهى ظراف الغوانى عن مواصلتى * ما يفجأ العين من شيبى ومن قصرى

ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المجلدة والسير الحسان المولدة والاخبار المدونة سهل بن هرون بن راهيونى الكاتب صاحب كتاب ثعلة وعفرة فى معارضة كتاب كليلة ودمنة وكتاب الاخوان وكتاب المسائل وكتاب المخزومى والهذلية وغير ذلك من الكتب ومن الخطباء الشعراء على بن ابراهيم ابن جبلة بن مخرمة ولا أعلمه يكنى الا أبا الحسن وسنذكر كلام قس بن ساعدة وشان لقيط بن معبد وهند بنت الحسن وجمعة بنت حابس وخطباء اياد اذا صرنا الى ذكر خطباء القبائل ان شاء الله ولاياد وتميم فى الخطب خصلة ليست لأحد من العرب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى روى كلام قس بن ساعدة وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته وهو رواه لقريش والعرب وهو الذى عجب من حسنه وأظهر من تصويبه وهذا اسناد تعجز عنه الامانى وتنقطع دونه الآمال وانما وفق الله ذلك الكلام لقس بن ساعدة لاحتجاجه للتوحيد ولاظهاره معنى الاخلاص وايمانه بالبعث ولذلك كان خطيب العرب قاطبة وكذلك ليس لأحد فى ذلك مثل الذى لبنى تميم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سأل عمرو بن الاهتم عن الزبرقان بن بدر قال مانع لحوزته (٦) مطاع فى أذينه (٧) فقال الزبرقان اما انه قد علم أكثر مما قال لكنه حسدنى شرفى فقال عمرو اما لئن قال ما قال فوالله ما علمته

(١) شكل (٢) يقتدى (٣) الاقتار (٤) أهلك (٥) [illegible] (٦) [illegible] (٧) علمه

الاضيق الصدر زمر (١) المروءة لئيم الخال حديث الغنى فلما رأى انه خالف قوله الآخر قوله الاول ورأى الانكار فى عين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت وما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الآخرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان من البيان لسحرا فهاتان الخصلتان خصت بهما اياد وتميم دون سائر القبائل ودخل الاحنف بن قيس على معاوية بن أبى سفيان فاشار له الى الوساد (٢) فقال له اجلس فجلس على الارض فقال معاوية ما منعك يا احنف من الجلوس على الوساد فقال يا أمير المؤمنين ان فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقرى ولده ان قال لا تغش (٣) السلطان حتى يملك (٤) ولا تقطعه حتى ينساك ولا تجلس له على فراش ولا وساد واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين فانه عسى ان ياتى من هو أولى بذلك المجلس منك فتقام له فيكون قيامك زيادة له ونقصا عليك حسبى بهذا المجلس يا أمير المؤمنين لعله أن يأتى من هو أولى بذلك المجلس منى فقال معاوية لقد أوتيت تميم الحكمة مع رقة حواشى الكلام وأنشا يقول

يا أيها السائل عما مضى * وعلم هذا الزمن العائب
ان كنت تبغى العلم أو أهله * أو شاهدا يخبر عن غائب
فاعتبر الارض بسكانها * واعتبر الصاحب بالصاحب

وذهب الشاعر فى مرثية أبى داود فى قوله

وأصبر من عود وأهدى اذا سرى * من النجم فى داج من الليل غيهب (٥)

هذا شبيه بقول جبار بن سلمان بن مالك بن جعفر بن كلاب حين وقف على قبر عامر بن الطفيل فقال كان والله لا يضل حتى يضل النجم ولا يعطش حتى يعطش البعير ولا يهاب حتى يهاب السيل وكان والله خير ما يكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا وكان زيد بن جندب أشغى (٦) أفلح (٧) ولولا ذلك لكان اخطب العرب قاطبة وقال عبيدة بن هلال اليشكرى فى هجائه له

أشغى عقنباة (٨) وناب ذو عصل (٩) * وقلح بادوسن قد نصل (١٠)

وقال عبيدة أيضا فيه

ولفوك أشنع حين تنطق فاغرا (١١) * من فى قريح (١٢) قد أصاب بريرا (١٣)

(وقال الكميت)

تشبه بالهام آثارها * مشافر قرحا أكان البريرا

وقال أخو النمر بن تولب فى شنعة أشداق الجمل

(١) قليل (٢) المخدة (٣) تجىء (٤) يسأمك (٥) شديد السواد (٦) ذو سنة زائدة تخالف نبتتها نبتة غيرها من الاسنان (٧) اصفر الاسنان (٨) ذو مخالب حداد (٩) عوج شديد (١٠) خرج من موضعه (١١) فاتحا (١٢) متألم من جراح (١٣) ثمر الاراك

كم ضربة لك تحكى فا(١) قراسية * من المصاعب فى اشداقه شنع

وفى الخطباء من كان أشغى ومن كان أروق ومن أشدق ومن كان أضخم ومن كان أفقم القراسية بغير أضخم والضخم اعوجاج فى الفم والفقم مثله والروق ركوب السن الشفة وفى كل ذلك رويناالشاهد والمثل وروى الهيثم بن عدى عن أبى يعقوب الثقفى عن عبد الملك ابن عمير قال قدم علينا الاحنف الكوفة مع مصعب بن الزبير فما رأيت خصلة تذم فى رجل الاوقد رأيتها فيه كان صعل (٢) الرأس أجن (٣) الأنف اغضف (٤) الاذن متراكب الاسنان أشدق مائل الذقن ناتئ (٥) الوجنة باخق (٦) العين خفيف العارضين (٧) أحنف (٨) الرجلين ولكنه اذا تكلم جلى عن نفسه ولو استطاع الهيثم أن يمنعه البيان أيضا لمنعه ولولا انه لم يجد بدا من أن يجعل له شيأ على حال لما أقر بانه اذا تكلم جلى عن نفسه وقولنا فى كلمته هذه كقول هند بنت عتبة حين أتاها نعى يزيد بن أبى سفيان وقال لها بعض المعزين (٩) انا لنرجو أن يكون فى معاوية خلف من يزيد فقالت هند ومثل معاوية لا يكون خلفا من أحد فوالله لو جمعت العرب من أقطارها ثم رمى به فيها لخرج من أى اعراضها شاء ولكنا نقول لمثل الاحنف يقال الا انه اذا تكلم جلى عن نفسه ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول فيما يعترى (١٠) اللسان من ضروب الآفات قال ابن الاعرابى طلق أبو رمادة امرأته حين وجدها لثغاء وخاف أن تجيئه بولد ألثغ فقال

لثغاء تاتى بحيفس ألثغ * تميس فى الموشى (١١) والمصبغ

الحيفس الولد القصير الصغير وأنشد ابن الاعرابى كلمة جامعة لكثير من هذه المعانى وهو قول الشاعر

اسكت ولا تنطق فانت حبجاب * كلك ذو عيب وأنت عياب (١٢)
ان صدق القوم فانت كذاب * أونطق القوم فانت هياب
أوصدق القوم فانت قبقاب (١٣) * أواقدموا يوما فانت وجاب

وأنشدنى

ولست بزميجة فى الفراش * وجابة يحتمى أن يجيبا
ولاذى قلازم عند الحياض
اذا ما الشريب (١٤) أراب (١٥) الشريبا

الزميجة الثقيل عن الحركة والقلازم كثرة الصياح وأنشدنى

رب غريب ناصح الجيب (١٦) * وابن أب متهم الغيب

(١) أى فم ضخم شديد من الابل (٢) صغير (٣) معوج (٤) فى أذنه استرخاء (٥) وارم (٦) معور (٧) يراد بهذا خفة شعر عارضيه (٨) معوج (٩) الذين عظم عليهم ما أصابه (١٠) يغشى ويلحق (١١) لعله كثير الالوان (١٢) كثير العيوب (١٣) كثير الكلام (١٤) هو من يستقى أويشاربك (١٥) يعنى أخاف ولعل المعنى انى لست بصياح عند اخافة الرجل أخاه اذا طلب السقيا (١٦) نقى القلب

ورب عياب له منظر * مشتمل الثوب على العيب

وأنشد

واجرأ من رأيت بظهر غيب * على عيب الرجال ذووالعيوب

وقال سهل بن هرون لوعرف الزنجى فرط حاجته الى ثناياه فى اقامة الحروف وتكميل جميل البيان لما نزع (١) ثناياه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سهيل بن عمرو الخطيب يارسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع (٢) لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا وانما قال ذلك لان سهيلا كان أعلم (٣) من شفته السفلى وقال خلاد بن يزيد الارقط خطب الجمحى خطبة نكاح أصاب فيها معانى الكلام وكان فى كلامه صفير يخرج من موضع ثناياه المنزوعة فاجابه زيد بن على بن الحسين بكلام فى جودة كلامه الا انه فضله بحسن المخرج والسلامة من الصفير فذكر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر سلامة لفظ زيد بسلامة اسنانه فقال فى كلمة له

قلت قوادحها (٤) وتم عديدها * فله بذاك مزية لا تنكر

ويروى * صحت مخارجها وتم حروفها * المزية الفضيلة وزعم يحيى بن نجيم بن معاوية بن زمعة أحد رواة أهل البصرة قال قال يونس بن حبيب فى تاويل قول الاحنف بن قيس

أنا ابن الزافرية أرضعتنى * بثدى لا أجد (٥) ولا وخيم (٦)
اتمتنى فلم تنقص عظامى * ولا صوتى اذا اصطك (٧) الخصوم

قال انما عنى بقوله عظامى اسنانه التى فى فمه وهى التى اذا تمت تمت الحروف وقال يونس وكيف يقول مثله اتمتنى فلم تنقص عظامى وهو يريد بالعظام عظام اليدين والرجلين وهو أحنف من رجليه جميعا مع قول الحتات له والله لانك ضئيل (٨) وان أمك لورهاء (٩) وكان أعرف بمواقع العيوب وابصر بدقيقها وجليلها وكيف يقول ذلك وهو نصب عيون الاعداء والشعراء والاكفاء وهو أنف مضر الذى تعطس عنه وأبين العرب والعجم قاطبة قالوا ولم يتكلم معاوية على منبر جماعة منذ سقطت ثناياه فى الطست قال أبو الحسن وغيره لما شق على معاوية سقوط مقادم فمه قال له يزيد بن معن السلمى والله ما بلغ أحد سنك الا أبغض بعضه بعضا ففوك أهون علينا من سمعك وبصرك فطابت نفسه وقال أبو الحسن المدائنى لما شد عبد الملك أسنانه بالذهب قال لولا المنابر والنساء ما باليت متى سقطت قال وسالت مباركا الزنجى الفاشكار ولا أعلم زنجيا بلغ فى الفشكرة مبلغه فقلت له لم ينزع الزنجى ثناياه ولم يحدد ناس منهم أسنانهم فقال اما أصحاب التحديد فللقتال والنهش ولانهم ياكلون لحوم الناس ومتى حارب ملك ملكا فاخذه قتيلا أوأسيرا أكله وكذلك اذا حارب بعضهم بعضا أكل الغالب منهم المغلوب وأما أصحاب القلع فانهم قالوا اذا نظرنا الى مقادم أفواه الغنم

(١) قلع (٢) يخرج (٣) مشقوق الشفة (٤) لعله جمع قدح وهو أكال يقع فى الاسنان (٥) صلب (٦) ثقيل (٧) تضارب (٨) الحقير (٩) حمقاء

فكرهنا أن تشبه مقادم أفواهنا مقادم أفواه الغنم فكم تطنهم حفظك الله فقدوا من المنافع العظام بفقد تلك الثنايا وفى هذا كلام يقع فى كتاب الحيوان وقال أبو الهندى فى اللثغ

سقيت أبا المطرح اذ تأنى * وذو ازغتات منتصب يصيح
شرابا يهرب الذبان عنه * ويلثغ حين يشربه الفصيح

وقال محمد بن عمر والرومى مولى أمير المؤمنين قد صحت التجربة وقامت العبرة على ان سقوط جميع الاسنان أصلح فى الابانة عن الحروف منه اذا سقط أكثرها وخالف أحد شطريها الشطر الآخر وقد رأينا تصديق ذلك فى أفواه قوم شاهدهم الناس بعد أن سقط جميع أسنانهم وبعد ان بقى منها الثلث أو الربع فمن سقط جميع أسنانه وكان معنى كلامه مفهوما الوليد بن هشام القحذمى صاحب الاخبار ومنهم أبو سفيان والعلاء بن لبيد التغلبى وكان ذا بيان ولسن (١) وكان عبيد الله بن أبى غسان ظريفا يصرف لسانه كيف أحب وكان الالحاح على القيس قد برد أسنانه حتى كان لا يرى أحد منها شيأ الا ان تطلع فى لحم اللثة وفى أصول منابت الاسنان وكان سفيان بن الابرد الكلبى كثيرا ما يجمع بين القار (٢) والحار فتساقطت أسنانه جميعا وكان مع ذلك خطيبا بينا وقال أهل التجربة اذا كان فى اللحم الذى فيه مغارز الاسنان تشمير (٣) وقصر سمك ذهبت الحروف وفسد البيان واذا وجد اللسان من جميع جهاته شيأ يقرعه ويصكه (٤) ولم يمر فى هواء واسع المجال وكان لسانه يملأ جوبة (٥) فمه لم يضره سقوط أسنانه الا بالمقدار المغتفر والجزء المحتمل ويؤكد ذلك قول صاحب المنطق فانه زعم فى كتاب الحيوان أن الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين وأحكى لما يلقن ولما يسمع كنحو الببغاء والغداف وغراب البين وما أشبه ذلك وكالذى يتهيأ من أفواه السنانير اذا تجاوبت من الحروف المقطعة المشاركة لمخارج حروف الناس فاما الغنم فليس يمكنها ان تقول الا ما والميم والباء أول ما يتهيأ فى أفواه الاطفال كقولهم ماما وبابا لانهما خارجان من عمل اللسان وانهما يظهران بالتقاء الشفتين وليس شئ من الحروف أدخل فى باب النقص والعجز من فم الاهتم من الفاء والسين اذا كانا فى وسط الكلمة فاما الضاد فليس تخرج الا من الشدق الايمن الا أن يكون المتكلم اعسر يسر (٦) مثل عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يخرج الضاد من أى شدقيه شاء فاما الايمن (٧) والاعسر (٨) والاضبط (٩) فليس يمكنهم ذلك الا بالاستكراه الشديد وكذلك الانفاس مقسومة على المنخرين فحالا يكون فى الاستروح ودفع البخار من الجوف من الشق الايمن وحالا يكون من الشق الايسر ولا يجتمعان على ذلك فى وقت الا ان يستكره

(١) بفتحتين فصاحة (٢) البارد (٣) رفع (٤) يضرب به (٥) الحفرة أو المكان الوطى، (٦) يقال للرجل أعسر يسر وهو الذى يعمل بكلتا يديه جميعا أوما شاكل ذلك (٧) من يصنع بيمناه (٨) من يعمل بيسراه (٩) هو الذى يعمل بكلتى يديه

ذلك مستكره أو يتكلفه متكلف فاما اذا ترك أنفاسه على سجيتها لم يكن الا كما قالوا وقالوا الدليل على أن من سقط جميع اسنانه ان عظم اللسان نافع له قول كعب بن جعيل ليزيد بن معاوية حين أمره بهجاء الانصار فقال أرادّى أنت الى الكفر بعد الايمان لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه ولكنى سادلك على غلام فى الحى كافر كأن لسانه لسان ثور يعنى الاخطل وجاء فى الحديث ان الله تبارك وتعالى يبغض الرجل الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل الباقرة (١) الخلا (٢) بلسانها قالوا ويدل على ذلك قول حسان بن ثابت حين قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما بقى من لسانك فاخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته (٣) ثم قال والله انى لو وضعته على صخر لفلقه أو على شعر لحلقه وما يسرنى به مقول من معد وأبو الصمت مروان بن أبى الجنوب بن مروان بن أبى حفصة وأبوه وابنه فى نسق واحد يقرعون باطراف ألسنتهم أطراف أنفهم وتقول الهند لولا أن الفيل مقلوب اللسان لكان أنطق من كل طائر يتهيأ فى لسانه كثير من الحروف المقطعة المعروفة وقد ضرب الذين يزعمون ان ذهاب جميع الاسنان أصلح فى الابانة عن الحروف من ذهاب الشطر أو الثلثين فى ذلك مثلا فقالوا الحمام المقصوص جناحاه جميعا أجدر أن يطير من الذى يكون أحدهما وافرا والآخر مقصوصا قالوا وعلة ذلك التعديل والاستواء واذا لم يكن كذلك ارتفع أحد شقيه وانخفض الآخر فلم يجدف ولم يطر والقطا من الطير قد يتهيأ من أفواهها ان تقول قطا قطا وبذلك سميت ويتهيأ من أفواه الكلاب العينات والفاآت والواوات كنحو قولها وو ووو كنحو قولها عف عف قال الهيثم بن عدى قيل لصبى من أبوك قال وو وولان أباه كان يسمى كلبا ولكل لغة حروف تدور فى أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين واستعمال الجرامقة للعين قال الاصمعى ليس للروم ضاد ولا للفرس ثاء ولا للسريانى دال ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وان كانت مجموعة فى بيت شعر لم يستطع المنشد انشادها الا ببعض استكراه فمن ذلك قول الشاعر

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

ولما رأى من لا علم له ان أحدا لا يستطيع ان ينشد هذين البيتين ثلاث مرات فى نسق واحد فلا يتتعتع ولا يتلجلج وقيل لهم ان ذلك انما اعتراه اذا كان من أشعار الجن صدقوا بذلك ومن ذلك قول ابن بشير فى أحمد بن يوسف حين استبطأه (٤)

هل معين على البكا والعويل * أم معز على المصاب الجليل
ميت مات وهو فى ورق (٥) العيـ * ـش مقيم به وظل ظليل
فى عداد الموت وفى غامر الدنيا * أبو جعفر أخى وخليلى

(١) واحدة البقر (٢) الحشيش يعنى يكره الرجل الذى يشبه البقر فى كونها تستعمل جمع الحشيش بلسانها كما ان ذلك الرجل يتكلم بكل لسانه (٣) طرف الانف (٤) لعله رثاه (٥) حديث السن

لم يمت ميتة الوفاة ولكن * مات من كل صالح وجميل

لا أزيل الآمال بعدك انى * بعدها بالآمال حق بخيل

كم لها موقفا بباب صديق * رجعت من نداه بالتعطيل

ثم قال لم يضرها والحمد لله شئ * وانثنت نحو عرف نفس زهول

فتفقد النصف الاخير من هذا البيت فانك ستجد بعض ألفاظه تتبرأ من بعض وأنشدنى أبو العاصى قال أنشدنى خلف الاحمر فى هذا المعنى

وبعض قريض القوم أولاد علة * يكد لسان الناطق المتحفظ

وقال أبو العاصى أنشدنى فى ذلك أبو البيداء الرياحى

وشعر كبعر الكبش فرق بينه * لسان دعى فى القريض دخيل

أما قول خلف وبعض قريض القوم أولاد علة فانه يقول اذ كان الشعر مستكرها وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب أختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند انشاد ذلك الشعر مؤنة وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج فيعلم بذلك انه أفرغ افراغا واحدا وسبك سبكا واحدا فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدهان وأما قوله كبعر الكبش فانما ذهب الى أن بعر الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور وكذلك حروف الكلام وأجزاء الشعر من البيت تراها متفقة ملسا ولينة المعاطف سهلة وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده والاخرى تراها سهلة لينة ورطبة متواتية سلسة النظام خفيفة على اللسان حتى كان البيت باسره كلمة واحدة وحتى كأن الكلمة باسرها حرف واحد قال سحيم بن حفص قالت بنت الحطيئة للحطيئة تركت قوما كراما ونزلت فى بنى كليب بعر الكبش فعاتبهم بتفرق بيوتهم فقيل لهم فانشدونا بعض ما لا تتنافر أجزاؤه ولا تتباين ألفاظه فقالوا قال الثقفى

من كان ذا عضد يدرك ظلامته * ان الذليل الذى ليست له عضد

تنبو يداه اذا ما قل ناصره * ويانف(١) الضيم ان أثرى(٢) له عدد

وأنشدوا رمتنى وستر الله بينى وبينها * عشية آرام الكناس(٣) رميم

رميم التى قالت لجارات بيتها * ضمنت لكم أن لا يزال يهيم

الا رب يوم لو رمتنى رميتها * ولكن عهدى بالنضال قديم

وأنشدوا ولست بزميجة فى الفراش * وجابة يحتمى ان يجيبا

ولا ذى قلازم عند الحياض * اذا ما الشريب أراب الشريبا

(١) يستنكف (٢) كثر (٣) موضع الظبى فى الشجر يكتن فيه

قال

قال نوفل بن سالم لرؤبة بن العجاج يا أبا الجحاف مت متى شئت قال وكيف ذلك قال رأيت عقبة بن رؤبة ينشد رجزا أعجبنى قال انه يقول لو كان لقوله قران وقال الشاعر

مهازبة(١) مناجبة(٢) قران(٣) * منادبة كأنهم الاسود

وأنشدنى ابن الاعرابى وبات يدرس شعر الاقران له * قد كان ثقفه حولا فما زاد

وقال الآخر بشار فهذا بديه كتحبير قائل * اذا ما أراد القول زوره شهرا

فهذا فى افتراق الالفاظ فاما افتراق الحروف فان الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين بتقديم ولا تاخير والزاى لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تاخير وهذا باب كثير وقد يكتفى بذكر القليل حتى يستدل به على الغاية التى اليها يجرى وقد يتكلم المغلاق الذى نشأ فى سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظه متخيرا فاخرا ومعناه شريفا كريما ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه انه نبطى وكذلك اذا تكلم الخراسانى على هذه الصفة فانك تعرف مع اعرابه وتخير ألفاظه فى مخرج كلامه أنه خراسانى وكذلك ان كان من كتاب الاهواز ومع هذا انا نجد الحاكية من الناس يحكى ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يغادر من ذلك شيأ وكذلك تكون حكايته للخراسانى والاهوازى والزنجى والسندى والاجناس وغير ذلك نعم حتى تجده كانه أطبع منه فاما اذا حكى كلام الفأفاء فكانما قد جمعت كل طرفة فى كل فأفاء فى الارض فى لسان واحد كما أنك تجده يحكى الاعمى بصور ينشئها لوجهه وعينه وأعضائه لا تكاد تجد من ألف أعمى واحدا يجمع ذلك كله فكانه قد جمع جميع طرق حركات العميان فى أعمى واحد ولقد كان أبو دبوبة الزنجى مولى آل زياد يقف بباب الكرخ لحضرة المكارين(٤) فينهق فلا يبقى حمار مريض ولا هرم حسير(٥) ولا متعب بهير(٦) الا نهق وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منها متحرك حتى كان أبو دبوبة يحركه وكانه قد جمع جميع الصور التى تجمع نهيق الحمار فجعلها فى نهيق واحد وكذلك كان فى نباح الكلاب ولذلك زعمت الاوائل أن الانسان انما قيل له العالم الصغير سليل العالم الكبير لانه يصور بيده كل صورة ويحكى بفمه كل حكاية ولانه يأكل النبات كما تأكل البهائم ويأكل الحيوان كما تأكل السباع وأن فيه من أخلاق جميع أجناس الحيوان أشكالا وانما تهيأ وأمكن الحاكية بجميع مخارج الامم لما أعطى الله الانسان من الاستطاعة والتمكن وحين فضله على جميع الحيوان بالمنطق والعقل والاستطاعة فبطول استعمال التكلف ذلت لذلك جوارحه ومتى ترك شمائله ولسانه على سجيتها كان مقصورا بعادة المنشا على الشكل الذى لم يزل فيه وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الالفاظ وصور

(١) سراع بكسر السين (٢) نجباء (٣) اسياد القوم (٤) هم المعروفين بالحمارين (٥) معيى (٦) منقطع النفس بفتح الفاء من الاعياء

الحركات والسكون فاما حروف الكلام فان حكمها اذا تمكنت فى الالسنة خلاف هذا الحكم ألا ترى أن السندى اذا جلب كبيرا فانه لا يستطيع الا أن يجعل الجيم زايا ولو أقام فى علياء تميم وسفلى قيس و بين عجز هوازن خمسين عاما وكذلك النبطى القح (١) خلاف المغلاق الذى نشا فى بلاد النبط لان النبطى القح يجعل الزاى سينا فاذا أراد ان يقول زورق قال سورق ويجعل العين همزة فاذا أراد ان يقول مشمعل قال مشمئل والنخاس يمتحن لسان الجارية اذا ظن انها رومية وأهلها يزعمون انها مولدة بان تقول ناعمة وتقول شمس ثلاث مرات متواليات والذى يعترى اللسان مما يمنع من البيان أمور منها اللثغة التى تعترى الصبيان الى ان ينشؤا وهو خلاف الشيخ الهرم الماج (٢) المسترخى الحنك المرتفع اللثة وخلاف ما يعترى أصحاب اللكن من العجم ومن نشا من العرب مع العجم فمن اللكن ممن كان خطيبا أو شاعرا أو كاتبا داهيا زياد بن سلمى أبو امامة وهو زياد الاعجم قال أبو عبيدة كان ينشد قوله

فتى زاده السلطان فى الود رفعة * اذا غير السلطان (٣) كل خليل

قال كان يجعل السين شينا والطاء تاء فيقول * فتى زاده الثلتان فى الود رفعة * ومنهم سحيم عبد بنى الحسحاس قال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأنشده قصيدته التى أولها

عميرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

لو كان شعرك كله مثل هذا لاجزتك هكذا وقع فى جميع نسخ الكتاب والحكاية مروية عن عمر رضى الله تعالى عنه فى غير هذا الموضع كما وقعت داخل الكتاب لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك قال ماسعرت يريد ما شعرت فجعل الشين المعجمة سينا غير معجمة ومنهم عبيد الله بن زياد والى العراق قال لهانئ بن قبيصة أهرورى سائر اليوم يريد أحرورى ومنهم صهيب بن سنان النمرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول انك لهاين يريد انك لحائن وصهيب بن سنان يرتضخ لكنة رومية وعبيد الله بن زياد يرتضخ لكنة فارسية وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء وازدا يقاذار لكنته لكنة نبطية وكان مثلهما فى جعل الحاء هاء وبعضهم يروى انه أملى على كاتب له فقال اكتب الهاصل ألف كر فكتبها الكاتب بالهاء كما لفظ بها فاعاد عليه الكلام فاعاد عليه الكاتب فلما فطن لاجتماعهما على الجهل قال انت لا تهسن ان تكتب وأنا لا أهسن ان أملى فاكتب الجاصل ألف كر فكتبها بالجيم معجمة ومنهم أبو مسلم صاحب الدعوة كان جيد الالفاظ جيد المعانى وكان اذا أراد ان يقول قلت له قال كلت له فشاركه فى تحويل القاف كافا عبيد الله بن زياد وكذلك خبرنا أبو عبيدة وانما أتى عبيدة بن زياد فى ذلك انه نشا فى الاساورة عند شيرويه الاسوارى زوج أمه مرجانة وقد كان فى آل زياد غير واحد يسمى شيرويه قال وفى دار شيرويه عاد على بن أبى طالب كرم الله وجهه زيادا من علة كانت به فهذا ما حضرنا من لكنة البلغاء والشعراء والرؤساء فاما

(١) الخالص (٢) الاحمق (٣) قدرة الملك

لكنة العامة ومن لم يكن له حظ فى المنطق فمثل فيل مولى زياد فانه مرة قال لزياد اهدوا الينا همار وهش يريد حمار وحش قال زياد وأى شئ تقول ويلك قال اهدوا الينا أيرا يريد عيرا فقال زياد الاول أهون وقالت أم ولد لجرير بن الخطفى لبعض ولدها وقع الجرذان فى عجان أمكم أبدلت الذال دالا من الجرذان وضمت الجيم والعين عجانا قال بعض الشعراء فى أم ولد له يذكر لكنتها

أكثر ما أسمع منها فى السحر (١) * تذكيرها الانثى وتأنيث الذكر

* والسوأة السوآء (٢) فى ذكر القمر *

لانها كانت اذا أرادت ان تقول القمر قالت الكمر وقال ابن عباد ركبت عجوز سندية جملا فلما مشى تحتها متخلعا اعتراها كهيئة حركة الجماع فقالت هذا الذمل يذكرنا بالسر تريدان يذكرها بالوطء فجعلت الشين سينا والجيم ذالا وهذا كثير وباب آخر من اللكنة كما قيل للنبطى لم ابتعت هذه الاتان قال اركبها وتلدلى فقد جاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ولا زاد فيها ولا نقص ولكنه فتح المكسور حين قال تلدلى ولم يقل تلدلى والصقلى يجعل الذال المعجمة دالا فى الحروف

﴿باب البيان﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وآله قال بعض جهابذة الالفاظ ونقاد المعانى (المعانى) القائمة فى صدور العباد المتصورة فى أذهانهم والمتحلجة (٣) فى نفوسهم والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فكرهم مستورة خفية وبعيدة وحشية ومحجوبة مكنونة وموجودة فى معنى معدومة لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه وخليطه ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه الا بغيره وانما تحيا تلك المعانى فى ذكرهم لها واخبارهم عنها واستعمالهم اياها وهذه الخصال هى التى تقربها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفى منها ظاهرا والغائب شاهدا والبعيد قريبا وهى التى تلخص الملتبس وتحل المنعقد وتجعل المهمل مقيدا والمقيد مطلقا والمجهول معروفا والوحشى مألوفا والغفل (٤) موسوما والموسوم معلوما وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون اظهار المعنى وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الاشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجع والدلالة الظاهرة على المعنى الخفى هو البيان الذى سمعت الله تبارك وتعالى يمدحه ويدعو اليه ويحث عليه وبذلك نطق القرآن وبذلك تفاخرت العرب وتفاضلت أصناف الاعجام والبيان اسم جامع لكل شئ كشف لك قناع المعنى وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضى السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا

(١) لعله فى السمر (٢) القبيحة (٣) بالحاء المهملة الداخلة (٤) مالا علامة فيه

ما كان بذلك البيان ومن أى جنس كان ذلك الدليل لان مدار الامر والغاية التى اليها يجرى القائل والسامع انما هو الفهم والافهام فباى شئ بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع ثم اعلم حفظك الله ان حكم المعانى خلاف حكم الالفاظ لان المعانى مبسوطة الى غير غاية وممتدة الى غير نهاية وأسماء المعانى مقصورة معدودة ومحصلة محدودة وجميع أصناف الدلالات على المعانى من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد أولها اللفظ ثم الاشارة ثم العقد ثم الخط ثم الحال تسمى نصبة والنصبة هى الحال الدالة التى تقوم مقام تلك الاصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها وحلية مخالفة لحلية اختها وهى التى تكشف لك عن أعيان المعانى فى الجملة ثم عن حقائقها فى التفسير وعن أجناسها واقدارها وعن خاصها وعامها وعن طبقاتها فى السار والضار وعما يكون منها لغوا (١) بهرجا (٢) وساقطا مطرحا وقال أبو عثمان وكان فى الحق ان يكون هذا الباب فى أول هذا الكتاب ولكنا أخرناه لبعض التدبير وقالوا البيان بصر والعى عمى كما ان العلم بصر والجهل عمى والبيان من نتاج العلم والعى من نتاج الجهل وقال سهل بن هرون العقل رائد الروح والعلم رائد العقل والبيان ترجمان العلم وقال صاحب المنطق حد الانسان الحى الناطق المبين وقالوا حياة المروءة الصدق وحياة الروح العفاف وحياة الحلم العلم وحياة العلم البيان وقال يونس بن حبيب ليس لعى مروءة ولا لمنقوص البيان بهاء ولو حك بيافوخه عنان السماء وقالوا شعر الرجل قطعة من كلامه وظنه قطعة من علمه واختياره قطعة من عقله وقال ابن التوأم الروح عماد البدن والعلم عماد الروح والبيان عماد العلم قد قلنا فى الدلالة باللفظ (فاما الاشارة) فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب اذا تباعد الشخصان وبالثوب وبالسيف وقد يتهدد رافع السوط والسيف فيكون ذلك زاجرا رادعا ويكون وعيدا وتحذيرا والاشارة واللفظ شريكان ونعم العون هى له ونعم الترجمان هى عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغنى عن الخط وبعد فهل تعد والاشارة ان تكون ذات صورة معروفة وحلية موصوفة على اختلاف فى طبقاتها ودلالاتها وفى الاشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة فى أمور يسترها الناس من بعض ويخفونها من الجليس وغير الجليس ولولا الاشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب ألبتة ولولا ان تفسير هذه الكلمة يدخل فى باب صناعة الكلام لفسرتها لكم وقد قال الشاعر فى دلالات الاشارة

أشارت بطرف العين خيفة أهلها * اشارة مذعور (٣) ولم تتكلم
فايقنت ان الطرف قد قال مرحبا * وأهلا وسهلا بالحبيب المتيم

(وقال الآخر)

(١) مالا يعتد به (٢) رديئا (٣) مفزوع

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه * وفى الناس من الناس مقاييس وأشباه
وفى العين غنى للمرء ان تنطق أفواه

(وقال الآخر)

ومعشر صيد (١) ذوى أهله * ترى عليهم للندى أدله

(وقال الآخر)

ترى عينها عينى فتعرف وحيها * وتعرف عينى ما به الوحى يرجع

(وقال الآخر)

وعين الفتى تبدى الذى فى ضميره * وتعرف بالنجوى (٢) الحديث المغمسا (٣)

وقال الآخر

العين تبدى الذى فى نفس صاحبها * من المحبة أو بغض اذا كانا
والعين تنطق والافواه صامتة * حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

هذا ومبلغ الاشارة أبعد من مبلغ الصوت فهذا أيضا باب تتقدم فيه الاشارة الصوت والصوت هو آلة اللفظ وهو الجوهر الذى يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا الا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما الا بالتقطيع والتأليف وحسن الاشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان مع الذى يكون مع الاشارة من الدل والشكل (٤) والتفتل والتثنى واستدعاء الشهوة وغير ذلك من الامور قد قلنا فى الدلالة بالاشارة فاما الخط فما ذكر الله تبارك وتعالى فى كتابه من فضيلة الخط والانعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم واقسم به فى كتابه المنزل على نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم حيث قال ن والقلم وما يسطرون ولذلك قالوا القلم أحد اللسانين كما قالوا قلة العيال أحد اليسارين وقالوا القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا وقال عبد الرحمن بن كيسان استعمال القلم أجدر ان يحض (٥) الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام وقالوا اللسان مقصور على القريب الحاضر والقلم مطلق فى الشاهد والغائب وهو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن والكتاب يقرأ بكل مكان ويدرس فى كل زمان واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه الى غيره (وأما القول فى العقد) وهو الحساب دون اللفظ والخط فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قول الله عز وجل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وقال جل وتقدس الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان وقال تبارك وتعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقال تبارك وتعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب فى الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل ذكره

(١) جمع اصيد وهو الذى لا يلتفت من زهوه يمينا وشمالا (٢) السر (٣) المعظما (٤) الدل (٥) يحث

معنى الحساب فى الآخرة وفى عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جل النعم وفقدان جهور المنافع واختلال كل ما جعله الله عز وجل لنا قواما ومصلحة ونظاما (وأما النصبة) فهى الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر فى خلق السموات والارض وفى كل صامت وناطق وجامد ونام ومقيم وظاعن وزائد وناقص فالدلالة التى فى الموات الجامد كالدلالة التى فى الحيوان الناطق فالصامت ناطق من جهة الدلالة والعجماء معربة من جهة البرهان ولذلك قال الاول سل الارض فقل من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقال بعض الخطباء أشهد ان السموات والارض آيات وآلات وشواهد قائمات كل يؤدى عنك الحجة ويعرب عنك بالربوبية موسومة بآثار قدرتك ومعالم تدبيرك التى تجليت بها لخلقك فاوصلت الى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر ورجم الظنون فهى على اعترافها لك وذلها اليك شاهدة بانك لا تحيط بك الصفات ولا تحدك الاوهام وان حظ المفكر فيك الاعتراف لك وقال خطيب من الخطباء حين قام على سرير الاسكندر وهو ميت الاسكندر كان أمس انطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس ومتى دل الشئ على معنى فقد أخبر عنه وان كان صامتا وأشار اليه وان كان ساكتا وهذا القول شائع فى جميع اللغات ومتفق عليه مع افراط الاختلافات وأنشد أبو الردينى العكلى فى تنسم الذئب الريح واستنشاقه واسترواحه

يستخبر الريح اذا لم يسمع * بمثل مقراع الصفى الموقع

المقراع الفاس التى يكسر بها الصخر والموقع المحدد يقال وقعت الحديدة اذا حددتها وقال عنترة بن شداد العبسى وجعل نعيب الغراب خبرا للزاجر

حرق الجناح كان لحيى رأسه * جلمان بالاخبار هش مولع

الحرق الاسود شبه لحييه بالجلمين لان الغراب يخبر بالفرقة والغربة ويقطع كما يقطع الجلمان وقال الراعى

ان السماء والريح شاهدة (١) * والارض تشهد والايام والبلد
لقد جزيت بنى بدر ببغيهم * يوم الهباءة يوما ماله قود (٢)

وقال نصيب فى هذا المعنى يمدح سليمان بن عبد الملك

أقول لركب صادرين لقيتهم * قفا ذات أوشال (٣) ومولاك لاغب
قفوا خبرونا عن سليمان اننى * لمعروفه من آل ودان طالب
فعاجوا (٤) فاثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

وهذا كثير جدا بسم الله الرحمن الرحيم قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه قيمة كل انسان ما يحسن فلو لم نقف من هذا الكتاب الا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ومجزية

(١) كذا بالاصل (٢) قصاص (٣) يتبع بعضكم بعضا (٤) وقف ورجع

مغنية

مغنية بل لوجدناها فاضلة على الكفاية وغير مقصرة عن الغاية وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ومعناه فى ظاهر لفظه وكان الله عز وجل قد ألبسه من الجلالة وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه وتقوى قائله فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع بعيدا من الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع فى القلب صنيع الغيث فى التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ونفذت من قائلها على هذه الصفة أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التاييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة وقد قال عامر بن عبد القيس اذا خرجت من القلب وقعت فى القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان وقال الحسن رضى الله تعالى عنه وسمع متكلما يعظ فلم تقع موعظته بموضع من قلبه ولم يرق عندها فقال له يا هذا ان لقلبك لشرا أو بقلبى وقال على بن الحسين بن على رضى الله عنهما لو كان الناس يعرفون جملة الحال فى فضل الاستبانة وجملة الحال فى صواب التبيين لاعربوا عن كل ما تختلج فى صدورهم ولوجدوا من برد اليقين ما يغنيهم عن المنازعة الى كل حال سوى حالهم وعلى أن درك ذلك كان يعدمهم فى الايام القليلة العده والفكرة القصيرة المده ولكنهم من بين مغمور بالجهل ومفتون بالعجب ومعدول بالهواء عن باب التثبت ومصروف بسوء العادة عن تفضيل التعلم وقد جمع محمد بن على بن الحسين صلاح شان الدنيا بحذافيرها فى الكلمتين فقال صلاح شان جميع التعايش والتعاشر ملء مكيال ثلثاه فطنة وثلثه تغافل فلم يجعل لغير الفطنة نصيبا من الخير ولا حظا فى الصلاح لان الانسان لا يتغافل الا عن شئ قد فطن له وعرفه وذكر هذه الثلاثة الاخبار ابراهيم بن داحة عن محمد بن عمير وذكرها صالح ابن على الافقم عن محمد بن عمير وهؤلاء جميعا من مشايخ الشيع وكان ابن عمير أغلاهم وأخبرنى ابراهيم بن السندى عن على بن صالح الحاجب عن العباس بن محمد قال قيل لعبد الله بن عباس أنى لك هذا العلم قال قلب عقول ولسان سؤول وقد رواهذا الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة وعبد الله أولى به منه والدليل على ذلك قول الحسن ان أول من عرف بالبصرة ابن عباس صعد المنبر فقرأ سورة البقرة ففسرها حرفا حرفا وكان مثجا يسيل غربا المثج السايل الكثير وهو من الثجاج والغرب ههنا الدوام أخبرنا هشام بن حسان وغيره قال قيل للحسن يا أبا سعيد ان قوما زعموا انك تذم ابن عباس قالوا فبكى حتى اخضلت (١) لحيته ثم قال ان ابن عباس كان من الاسلام بمكان ان ابن عباس كان من العلم بمكان وكان والله له لسان سؤول وقلب عقول وكان والله مثجا يسيل غربا قالوا وقال على بن عبد الله بن عباس من لم يجد مس نقص الجهل فى عقله وذل المعصية فى قلبه ولم يستبن موضع الخلة فى لسانه عند كلال حده عن حد خصمه فليس ممن يفزع عن ريبة ولا يرغب عن حال معجزة ولا يكترث لفصل ما بين حجة

(١) ابتلت

وشبهة قالوا وذكر محمد بن على بن عبد الله بن عباس بلاغة بعض أهله فقال انى لا كره أن يكون مقدار لسانه فاضلا عن مقدار علمه كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله وهذا الكلام شريف نافع فاحفظوا لفظه وتدبروا معناه ثم اعلموا أن المعنى الحقير الفاسد والدنىء الساقط يعشش فى القلب ثم يبيض ثم يفرخ فاذا ضرب بجرانه ومكن لعروقه استفحل الفساد وبزل وتمكن الجهل وفرخ فعند ذلك يقوى داؤه ويمتنع دواؤه ولان اللفظ الهجين الردىء والمستكره الغبى أعلق باللسان وآلف للسمع وأشد التحاما بالقلب من اللفظ النبيه الشريف والمعنى الرفيع الكريم ولو جالست الجهال والنوكى (١) والسخفاء والحمقى شهرا فقط لم تنق من أوضار (٢) كلامهم وخبال معانيهم بمجالسة أهل البيان والعقل دهرا لان الفساد أسرع الى الناس وأشد التحاما بالطبائع والانسان بالتعلم والتكلف وبطول الاختلاف الى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجود لفظه ويحسن أدبه وهو لا يحتاج فى الجهل الى أكثر من ترك التعلم وفى فساد البيان الى أكثر من ترك التخير ومما يؤكد قول محمد بن على بن عبد الله بن عباس قول بعض الحكماء حين قيل له متى يكون الادب شرا من عدمه قال اذا كثر الادب ونقصت القريحة وقد قال بعض الاولين من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه فى أغلب خصال الخير عليه وهذا كله قريب بعضه من بعض وذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال كان والله أفضل من أن يخدع واعقل من أن يخدع وقال محمد بن على بن عبد الله بن عباس كفاك من علم الدين ان تعلم مالا يسع جهله وكفاك من علم الادب ان تروى الشاهد والمثل وكان عبد الرحمن بن اسحق القاضى يروى عن جده ابراهيم بن سلمة قال سمعت أبا مسلم يقول سمعت الامام ابراهيم بن محمد يقول يكفى من حظ البلاغة ان لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع قال أبو عثمان وأما أنا فاستحسن هذا القول جدا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على سيدنا محمد خاصة وعلى الانبياء عامة أخبرنى أبو الزبير كاتب محمد بن حسان وحدثنى محمد بن أبان ولا أدرى كاتب من كان قالا قيل للفارسى ما البلاغة قال معرفة الفصل من الوصل وقيل لليونانى ما البلاغة قال تصحيح الاقسام واختيار الكلام وقيل للرومى ما البلاغة قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة وقيل للهندى ما البلاغة قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة وقال بعض أهل الهند جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ثم قال ومن البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة ان تدع الافصاح بها الى الكناية عنها اذا كان الافصاح أوعر طريقة وربما كان الاضراب عنها صفحا أبلغ فى الدرك وأحق بالظفر قال وقال مرة جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الخرق بما التبس من المعانى

(١) جمع أنوك أى أحمق (٢) أوساخ

أو غمض وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر ثم قال وزين ذلك كله وبهاؤه وحلاوته وسناؤه ان تكون الشمائل موزونة والالفاظ معدلة واللهجة نقية فان جامع ذلك السن والسمت (١) والجمال وطول الصمت فقد تم كل التمام وكمل كل الكمال وخالف عليه سهل ابن هرون وكان سهل فى نفسه عتيق الوجه وحسن الاشارة بعيدا من الفدامة معتدل القامة مقبول الصورة يقضى له بالحكمة قبل الخبرة وبرقة الذهن قبل المخاطبة وبدقة المذهب قبل الامتحان وبالنبل قبل التكشف فلم يمنعه ذلك ان يقول ماهو الحق عنده وان ادخل ذلك على حاله النقص قال سهل بن هرون لو أن رجلين خطبا أو تحدثا أو احتجا أو وصفا وكان أحدهما جميلا جليلا بهيا ولباسا نبيلا وذا حسب شريفا وكان الآخر قليلا قميئا (٢) وباذ (٣) الهيئة دميما وخامل الذكر مجهولا ثم كان كلامهما فى مقدار واحد من البلاغة وفى وزن واحد من الصواب لتصدع (٤) عنهما الجمع وعامتهم تقضى للقليل الدميم على النبيل الجسيم وللباذ الهيئة على ذى الهيئة ولشغلهم التعجب منه على مساواة صاحبه ولصار التعجب منه سببا للعجب به ولكان الاكثار فى شأنه علة للاكثار فى مدحه لان النفوس كانت له احقر ومن بيانه أيأس ومن حسده أبعد فاذا هجموا منه على مالم يحتسبوه وظهر منه خلاف على ما قدروه تضاعف حسن كلامه فى صدورهم وكبر فى عيونهم لان الشىء من غير معدنه اغرب وكلما كان اغرب كان أبعد فى الوهم وكلما كان أبعد فى الوهم كان أطرف وكلما كان أطرف كان أعجب وكلما كان أعجب كان أبدع وانما ذلك كنوادر كلام الصبيان وملح المجانين فان ضحك السامعين من ذلك أشد وتعجبهم به أكثر والناس موكلون بتعظيم الغريب واستطراف البديع وليس لهم فى الموجود الراهن المقيم وفيما تحت قدرتهم من الرأى والهوى مثل الذى معهم فى الغريب القليل وفى النادر الشاذ وكل ما كان فى ملك غيرهم وعلى ذلك زهد الجيران فى عالمهم والاصحاب فى الفائدة من صاحبهم وعلى هذه السبيل يستطرفون القادم عليهم ويرحلون الى النازح عنهم ويتركون من هو أعم نفعا وأكثر فى وجوه العلم تصرفا وأخف مؤنة وأكثر فائدة ولذلك قدم بعض الناس الخارجى على العريق والطارف على التليد وكانوا يقولون اذا كان الخليفة بليغا والسيد خطيبا فانك تجد جمهور الناس وأكثر الخاصة فيهما على أمرين اما رجلا يعطى كلامهما من التعظيم والتفضيل والاكبار والتبجيل على قدر حالهما فى نفسه وموقعهما من قلبه واما رجلا تعرض له التهمة لنفسه فيهما والخوف من أن يكون تعظيمه لهما يوهمه من صواب قولهما وبلاغة كلامهما ما ليس عندهما حتى يفرط فى الاشفاق ويسرف فى التهمة فالاول يزيد فى حقه للذى له فى نفسه والآخر ينقصه من حقه لتهمته لنفسه ولاشفاقه من أن يكون مخدوعا فى أمره فاذا كان الحب يعمى عن المساوى فالبغض يعمى عن المحاسن وليس يعرف

(١) هيئة أهل الخير (٢) صغيرا ذليلا (٣) شيء رث (٤) تفرق

حقائق مقادير المعانى ومحصول حدود لطائف الامور الا عالم حكيم أو معتدل الاخلاط (١) عليم والا القوى المنة (٢) الوثيق العقدة والذى لا يميل مع ما يستميل الجمهور الاعظم والسواد الاكثر وكان سهل بن هرون شديد الاطناب فى وصف المامون فى البلاغة والجهارة وبالحلاوة والفخامة وجودة اللهجة (٣) والطلاوة واذا صرنا الى ذكر ما يحضرنا من تسمية خطباء بنى هاشم وبلغاء رجال القبائل قلنا فى وصفهما على حسب حالهما والفرق الذى بينهما ولا تناعسى أن نذكر جملة أسماء خطباء الجاهلين والاسلاميين والبدويين والحضريين وبعض ما يحضرنا من صفاتهم واقدارهم ومقاماتهم وبالله التوفيق ثم رجع بنا القول الى ذكر الاشارة وروى أبو شمر عن معمر أبى الاشعث خلاف القول الاول فى الاشارة والحركة عند الخطبة وعند منازعة الرجال ومناقلة الاكفاء وكان أبو شمر اذا نازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ولم يقلب عينيه ولم يحرك رأسه حتى كان كلامه انما يخرج من صدع صخرة وكان يقضى على صاحب الاشارة بالافتقار الى ذلك وبالعجز عن بلوغ ارادته وكان يقول ليس من المنطق ان تستعين عليه بغيره حتى كلمه ابراهيم بن سيار النظام عند أيوب بن جعفر فاضطره بالحجة وبالزيادة فى المسئلة حتى حرك يديه وحل حبوته (٤) وحبا اليه حتى أخذ بيديه ففى ذلك اليوم انتقل أيوب من قول أبى شمر الى قول ابراهيم وكان الذى غر أبا شمر وموه له هذا الرأى ان أصحابه كانوا يستمعون منه ويسلمون له ويميلون اليه ويقبلون كل ما يورده عليهم ويثبته عندهم فلما طال عليه توقيرهم له وترك مجاذبتهم اياه وخفت مؤنة الكلام عليه نسى حال منازعة الاكفاء ومجاذبة الخصوم وكان شيخا وقورا وزميتا (٥) ركينا (٦) وكان ذا تصرف فى العلم ومذكورا بالفهم والحلم قال معمر ابو الاشعث قلت لبهلة الهندى أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند مثل منكة وبازيكر وقلبرقل وسندباز وفلان وفلان ما البلاغة عند أهل الهند قال بهلة عندنا فى ذلك صحيفة مكتوبة لا أحسن ترجمتها لك ولم أعالج هذه الصناعة فاثق من نفسى بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها قال أبو الاشعث فلقيت بتلك الصحيفة التراجمة فاذا فيها أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك ان يكون الخطيب رابط الجاش (٧) ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الملوك بكلام السوقة ويكون فى قواه فضل للتصرف فى كل طبقة ولا يدقق المعانى كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما أو فيلسوفا عليما ومن قد تعود حذف فضول الكلام واسقاط مشتركات الالفاظ قد نظر فى صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة لا على جهة الاعتراض والتصفح وعلى جهة الاستطراف والتظرف وقال من علم حق المعنى

(١) الامزجة الاربعة (٢) القوة (٣) اللسان (٤) بالحاء المهملة مشيته على يديه ورجليه (٥) وقورا (٦) زميتا (٧) شجاعا شديد القلب

ان

ان يكون الاسم له طبقا وتلك الحال له وفقا ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا ولا مقصرا ولا مشتركا ولا مضمنا ويكون مع ذلك ذاكرا لما عقد عليه أول كلامه ويكون تصفحه لمصادره فى وزن تصفحه لموارده ويكون لفظه مونقا ولهول تلك المقامات معاودا ومدار الامر على افهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على اقدار منازلهم وان تواتيه آلته وتتصرف معه آداته ويكون فى التهمة لنفسه معتدلا وفى حسن الظن بها مقتصدا فانه ان تجاوز مقدار الحق فى التهمة لنفسه ظلمها فاودعها ذلة المظلومين وان تجاوز الحق فى مقدار حسن الظن بها أمنها فاودعها تهاون الآمنين ولكل ذلك مقدار من الشغل ولكل شغل مقدار من الوهن ولكل وهن مقدار من الجهل وقال ابراهيم بن هانئ وكان ماجنا خليعا كثير العبث متمردا ولولا أن كلامه هذا الذى اراد به الهزل يدخل فى باب الجد لما جعلته صلة الكلام الماضى وليس فى الارض لفظ يسقط ألبتة ولا معنى يبور حتى لا يصلح لمكان من الاماكن فقال ابراهيم بن هانئ من تمام آلة القصص أن يكون القاص أعمى ويكون شيخا بعيد مدى الصوت ومن تمام آلة الزمر أن تكون الزامرة سوداء ومن تمام آلة المغنى أن يكون فاره (١) البرذون براق الثنايا عظيم الكبر سيئ الخلق ومن تمام آلة الخمار أن يكون ذميا ويكون اسمه آذين أو ماز يار أو ازدانقاذار أو ميشا أو شلوما ويكون ارقط الثياب (٢) مختوم العنق ومن تمام آلة الشعر أن يكون الشاعر اعرابيا ويكون الداعى الى الله صوفيا ومن تمام آلة السودد أن يكون السيد ثقيل السمع عظيم الرأس ولذلك قال ابن سنان الجديدى لراشد بن سلمة الهذلى ما أنت بعظيم الرأس ولا ثقيل السمع فتكون سيدا ولا بارسح (٣) فتكون فارسا وقال شبيب بن شبة الخطيب لبعض فتيان بنى منقر والله ما مطلت مطل الفرسان ولا فتقت فتق السادة قال الشاعر

تقلب رأسا لم يكن رأس سيد * وكفا ككف الضب أو هى أحقر

فعاب صغر رأسه وصغر كفه كما عاب الشاعر كف عبد الله بن مطيع العدوى حين وجدها غليظة جافية فقال

دعا ابن مطيع للبياع فجئته * الى بيعة قلبى لها غير آلف
فناولنى خشناء لما لمستها * بكفى ليست من أكف الخلائف

وهذا باب يقع فى كتاب الجوارح مع ذكر البرص والعرج والعسر والادر والفلج والحدب والقرع وغير ذلك من علل الجوارح وهو وارد عليكم بعد هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقال ابراهيم بن هانئ ومن تمام آلة الشيعى أن يكون وافر الجمة صاحب بازبكند ومن تمام آلة الحرس أن يكون زميتا قطوبا (٤) أبيض اللحية أقنى أجنى وصاحب تكلم بالفارسية وأخبرنى ابراهيم بن السندى قال دخل العمانى الراجز على الرشيد لينشده شعرا

(١) حاذق (٢) تشوب سواد ثيابه نقط سوداء (٣) قليل لحم العجز والفخذين (٤) عبوسا

وعليه قلنسوة طويلة وخف ساذج (١) فقال اياك أن تنشدنى الا وعليك عمامة عظيمة الكور (٢) وخفان دمالقان قال ابراهيم قال أبو نصر فبكر عليه من الغد وقد تزيا بزى الاعراب فانشده ثم دنا منه فقبل يده وقال يا أمير المؤمنين قد والله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت يزيد بن الوليد وابراهيم بن الوليد ورأيت وجوههما وقبلت أيديهما وأخذت جوائزهما وأنشدت السفاح ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت المنصور ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت المهدى ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته وأنشدت الهادى ورأيت وجهه وقبلت يده وأخذت جائزته هذا الى كثير من أشباه الخلفاء وكبار الامراء والسادة الرؤساء ولا والله ما رأيت فيهم أبهى منظرا ولا أحسن وجها ولا أنعم كفا ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين ووالله لو ألقى فى روعى انى أتحدث عنك ما قلت لك ما قلت فاعظم له الجائزة على شعره وأضعف له على كلامه وأقبل عليه فبسطه حتى تمنى والله جميع من حضر انهم قاموا ذلك المقام ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول قال ابن الاعرابى قال معاوية بن أبى سفيان لصحار ابن عياش العبدى ما هذه البلاغة التى فيكم قال شئ تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا فقال له رجل من عرض (٣) القوم يا أمير المؤمنين هؤلاء بالبسر (٤) والرطب أبصر منهم بالخطب فقال له صحار أجل والله انا لنعلم ان الريح لتنفحه وان البرد ليعقده وان القمر ليصبغه وان الحر لينضجه فقال معاوية ما تعدون البلاغة فيكم قال الايجاز قال له معاوية وما الايجاز قال له صحار أن تجيب فلا تبطئ وان تقول فلا تخطئ فقال معاوية أو كذلك تقول قال صحار أقلنى يا أمير المؤمنين لا تبطئ ولا تخطئ وشان عبد القيس عجب وذلك انهم بعد محاربة اياد تفرقوا فرقتين ففرقة وقعت بعمان وشق عمان وفيهم خطباء العرب وفرقة وقعت الى البحرين وشق البحرين وهم من أشعر قبيلة فى العرب ولم يكونوا كذلك حين كانوا فى سرة البادية وفى معدن الفصاحة وهذا عجب ومن خطبائهم المشهورين صعصعة بن صوحان وزيد بن صوحان وسيحان بن صوحان ومنهم صحار بن عياش وصحار من شيعة عثمان وصوحان من شيعة على ومنهم مصقلة بن رقبة ورقبة بن مصقلة وكرب بن رقبة واذا صرنا الى ذكر الخطباء والنسابين ذكرنا من كلام كل واحد منهم بقدر ما يحضرنا وبالله التوفيق قال لى ابن الاعرابى قال لى المفضل بن محمد الضبى قلت لاعرابى منا ما البلاغة قال الايجاز فى غير عجز والاطناب فى غير خطل قال ابن الاعرابى فقلت للمفضل ما الايجاز عندك قال حذف الفضول وتقريب البعيد قال ابن الاعرابى قيل لعبد الله بن عمر لو دعوت الله لنا بدعوات فقال اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا فقال له رجل لو زدتنا يا أبا عبد الرحمن فقال نعوذ بالله من الاسهاب

(١) سادة (٢) عظيمة الى أو الطى أو العصب (٣) عامة (٤) الماء البارد أو التمر قبل ارطابه

(باب

﴿باب ذكر ناس من البلغاء والخطباء والابيناء والفقهاء والامراء ممن لا يكاد يسكت مع قلة الخطا والزلل﴾

منهم زيد بن صوحان ومنهم أبو واثلة اياس بن معاوية المزنى القاضى القائف وصاحب الزكن والمعروف بجودة الفراسة ولكثرة كلامه قال له عبد الله بن شبرمة أنا وانت لا نتفق أنت لا تشتهى ان تسكت وأنا لا أشتهى أن أسمع وانى حلقة من حلق قريش فى مسجد دمشق فاستولى على المجلس ورأوه أحمر دميما باذ الهيئة قشفا فاستهانوا به فلما عرفوه اعتذروا اليه وقالوا الذنب مقسوم بيننا وبينك أتيتنا فى زى مسكين تكلمنا بكلام الملوك ورأيت ناسا يستحسنون جواب اياس حين قيل له ما فيك عيب غير انك معجب بقولك قال أفأعجبكم قولى قالوا نعم قال فانا أحق بان أعجب بما أقول وبما يكون منى منكم والناس حفظك الله لم يضعوا ذكر العجب فى هذا الموضع والمعيب عند الناس ليس هو الذى يعرف ما يكون منه من الحسن والمعرفة لا تدخل فى باب التسمية بالعجب والعجب مذموم وقد جاء فى الحديث ان المؤمن من ساءته سيئته وسرته حسنته وقيل لعمر فلان لا يعرف الشر قال ذلك أجدر أن يقع فيه وانما العجب اسراف الرجل فى السرور بما يكون منه والافراط فى استحسانه حتى يظهر ذلك منه فى لفظه وفى شمائله وهو كالذى وصف به صعصعة بن صوحان المنذر بن الجارود عند على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال أما والله انه مع ذلك لنظار فى عطفيه تفال (١) فى شراكيه (٢) تعجبه حمرة برديه قال أبو الحسن قيل لاياس ما فيك عيب الا كثرة الكلام قال فتسمعون صوابا أم خطأ قالوا بل صوابا قال فالزيادة من الخير خير وليس كما قال للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا الى الاستثقال والملال فذلك الفاضل هو الهذر وهو الخطل وهو الاسهاب الذى سمعت الحكماء يعيبونه وذكر الاصمعى ان عمر بن هبيرة لما أراده على القضاء قال انى لا أصلح له قال وكيف ذاك قال لانى عى ولانى دميم ولانى حديد قال ابن هبيرة أما الحدة فان السوط يقومك وأما الدمامة فانى لا أريد ان أحاسن بك أحدا وأما العى فقد عبرت عما تريد فان كان اياس عند نفسه عييا فذاك أجدر ان يهجر الاكثار وبعد هذا فما نعلم أحدا رمى اياسا بالعى وانما عابوه بالاكثار وذكر صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث قال ما رأيت عقول الناس الا قريبا بعضها من بعض الا ما كان من عقل الحجاج بن يوسف واياس ابن معاوية فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس كثيرا وقال قائل لاياس لم تعجل بالقضاء فقال له اياس كم لكفك من أصبع قال خمس قال عجلت قال لم يعجل من قال بعد ما قتل الشئ علما ويقينا قال اياس فهذا هو جوابى لك وكان كثيرا ما ينشد قول النابغة الجعدى

أبى لى البلاء وأنى امرؤ * اذا ما تبينت لم أرتب

(١) كثير البصق (٢) طريقيه وأظهرما اليمين واليسار فى هذه الحالة

قال ومدح سلمة بن عياش سوار بن عبد الله بمثل ما وصف به اياس نفسه حين قال

وأوقف عند الامر ما لم يبن له * وأمضى اذا ما شك ما كان ماضيا

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى الى عدى بن ارطاة ان قبلك رجلين من مزينة فول أحدهما قضاء البصرة يعنى بكر بن عبد الله المزنى واياس بن معاوية فقال بكر والله ما احسن القضاء فان كنت صادقا فما يحل لك أن تولينى وان كنت كاذبا انها لاحراهما وكانوا اذا ذكروا البصرة فقالوا اشيخها الحسن وفتاها بكر وقال اياس بن معاوية لست بخب والخب(١) لا يخدعنى ولا يخدع ابن سيرين وهو يخدع أبى ويخدع الحسن ودخل الشام وهو غلام فتقدم خصما له وكان الخصم شيخا كبيرا الى بعض قضاة عبد الملك بن مروان فقال له القاضى أتقدم شيخا كبيرا قال الحق أكبر منه قال اسكت قال فمن ينطق بحجتى قال لا اظنك تقول حقا حتى تقوم قال قال لا اله الا الله أحقا هذا أم باطلا فقام القاضى فدخل على عبد الملك من ساعته فخبره بالخبر فقال عبد الملك اقض حاجته الساعة وأخرجه من الشام لا يفسد على الناس فاذا كان اياس وهو غلام يخاف على جماعة أهل الشام فما ظنك به وقد كبرت سنه وعض ناجذه واياس هو الذى قال لست بخب والخب لا يخدعنى ولا يخدع ابن سيرين وهو يخدع أبى ويخدع الحسن وجملة القول فى اياس انه كان من مفاخر مضر ومن مقدمى القضاة وكان فقيه البدن رقيق المسلك فى الفطن وكان صادق الحس نقابا وعجيب الفراسة ملهما وكان عفيف الطعم كريم المدخل والشيم وجيها عند الخلفاء مقدما عند الاكفاء وفى مزينة خير كثير ثم رجعنا الى القول الاول * ومنهم ربيعة الرأى وكان لا يكاد يسكت قالوا وتكلم يوما فاكثر واعجب بالذى كان منه فالتفت الى اعرابى كان عنده فقال يا اعرابى ما تعدون العى فيكم قال ما كنت فيه منذ اليوم وكان يقول الساكت بين النائم والاخرس ومنهم عبيد الله بن محمد بن حفص التيمى ومحمد بن حفص هو ابن عائشة ثم قيل لعبيد الله بن أبى عائشة وكان كثير العلم والسماع متصرفا فى الخبر والاثر وكان من أجود قريش وكان لما يكاد يسكت وهو فى ذلك كثير الفوائد وكان أبوه محمد بن حفص عظيم الشأن كثير العلم بعث اليه مخاب خليفته فى بعض الامر فاتاه فى حلقة فى المسجد فقال له فى بعض كلامه أبو من أصلحك الله فقال له هلا عرفت هذا قبل مجيئك وان كان لا بد لك من هذا فاعترض من شئت فاسئله فقال له انى أريد أن تخلينى قال أفى حاجة لك أم فى حاجة لى قال بل فى حاجة لى قال فالقنى فى المنزل فان الحاجة لك قال ما دون اخوانى ستر ومنهم محمد بن مسعر العقيلى وكان كريما كريم المجالسة يذهب مذهب النساك وكان جوادا مرصديق له من بنى هاشم بقصر له وبستان نفيس فبلغه انه استحسنه فوهبه له ومنهم أحمد بن المعذل بن غيلان كان يذهب مذهب مالك وكان ذا بيان وتبحر فى المعانى وتصرف فى الالفاظ وممن كان يكثر الكلام جدا الفضل بن

(١) الخداع بتشديد الخاء المعجمة

سهل ثم الحسن بن سهل فى أيامه وحدثنى محمد بن الجهم ودواد بن أبى دواد قالا جلس الحسن ابن سهل فى مصلى الجماعة لنعيم بن حازم فاقبل نعيم حافيا(١) حاسرا(٢) وهو يقول ذنبى أعظم من السماء ذنبى أعظم من الهواء ذنبى أعظم من الماء قالا فقال الحسن بن سهل على رسلك تقدمت منك طاعة وكان آخر أمرك الى توبة وليس للذنب بينهما مكان وليس ذنبك فى الذنوب باعظم من عفو أمير المؤمنين فى العفو ومن هؤلاء على بن هشام وكان لا يسكت ولا أدرى كيف كان كلامه قال وحدثنى مهدى بن ميمون قال حدثنا غيلان بن جرير قال كان مطرف بن عبد الله يقول لا تطعم طعامك من لا يشتهيه يقول لا تقبل بحديثك على من لا يقبل عليك بوجهه وقال عبد الله بن مسعود حدث الناس ما حدجوك باسماعهم ولحظوك بابصارهم فاذا رأيت منهم فترة فامسك قال وجعل ابن السماك يوما يتكلم وجارية له حيث تسمع كلامه فلما انصرف اليها قال لها كيف سمعت كلامى قالت ما أحسنه لولا انك تكثر ترداده فقال ارده حتى يفهمه من لم يفهمه قالت الى أن يفهمه من لم يفهمه قد مله من فهمه قال عباد بن عوام عن شعبة عن قتادة قال مكتوب فى التوراة لا يعاد الحديث مرتين وسفيان بن عيينة عن الزهرى قال اعادة الحديث أشد من نقل الصخر وقال بعض الحكماء من لم ينشط لحديثك فارفع عنه مؤنة الاستماع منك وجملة القول فى الترداد انه ليس فيه حد ينتهى اليه ولا يؤتى الى وصفه وانما ذلك على قدر المستمعين له ومن يحضره من العوام والخواص وقد رأينا الله عز وجل ردد ذكر قصة موسى وهود وهرون وشعيب وابراهيم ولوط وعاد وثمود وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة لانه خاطب جميع الامم من العرب وأصناف العجم وأكثرهم غبى غافل أو معاند مشغول الفكر ساهى القلب وأما حديث القصص والرقة فانى لم أر أحدا يعيب ذلك وما سمعنا باحد من الخطباء كان يرى اعادة بعض الالفاظ وترداد المعانى عيا الا ما كان من النخار بن أوس العذرى فانه كان اذا تكلم فى الحمالات وفى الصفح والاحتمال وصلاح ذات البين وتخويف الفريقين من التفانى والبوار كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف وربما حمى(٣) فنخر(٤) قال ثمامة بن اشرس كان جعفر بن يحيى انطق الناس قد جمع الهدو والتمهل والجزالة والحلاوة وافهاما يغنيه عن الاعادة ولو كان فى الارض ناطق يستغنى بمنطقه عن الاشارة لاستغنى جعفر عن الاشارة كما استغنى عن الاعادة وقال مرة ما رأيت أحدا كان لا يتحبس(٥) ولا يتوقف ولا يتلجلج ولا يتنحنح ولا يرتقب لفظا قد استدعاه من بعد ولا يلتمس التخلص الى معنى قد تعصى عليه طلبه أشد اقتدارا ولا أقل تكلفا من جعفر بن يحيى وقال ثمامة قلت لجعفر بن يحيى ما البيان قال أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلى عن مغزاك(٦)

(١) لا خف برجليه (٢) من لا جنة له بضم الجيم المعجمة (٣) أنف (٤) مد الصوت فى خياشيمه (٥) ع‍بس نفسه
(٦) مقصدك

وتخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة والذى لابد منه أن يكون سليما من التكلف بعيدا من الصنعة بريئا من التعقيد غنيا عن التاويل وهذا هو تاويل قول الاصمعى البليغ من طبق المفصل (١) وأغناك عن المفسر وخبرنى جعفر بن سعيد رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه قال ذكرت لعمرو بن مسعدة توقيعات جعفر بن يحيى قال قد قرأت لام جعفر توقيعات فى حواشى الكتب وأسافلها فوجدتها أجود اختصارا وأجمع للمعانى قال ووصف اعرابى اعرابيا بالايجاز والاصابة فقال كان والله يضع الهناء (٢) مواضع النقب يظنون انه نقل قول دريد بن الصمة فى الخنساء بنت عمرو بن الشريد الى ذلك الموضع وكان دريد قال فيها

ما ان رأيت ولا سمعت به * فى الناس (٣) طالى أنيق جرب (٤)
متبذلا (٥) تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

ويقولون فى اصابة عين المعنى بالكلام الموجز فلان يفل (٦) المحز (٧) ويصيب المفصل (٨) وأخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق فجعلوه مثلا للمصيب الموجز وأنشدنى أبو قطن الغنوى وهو الذى يقال له شهيد الكرم وكان أبين من رأيته من أهل البدو والحضر

فلو كنت مولى قيس عيلان لم تجد * على لمخلوق من الناس درهما
ولكننى مولى قضاعة كلها * فلست أبالى ان أدين وتغرما
أولئك قوم بارك الله فيهم * على كل حال ما أعف وأكرما
جفاة المحز لا يصيبون مفصلا * ولا ياكلون اللحم الا تخذما (٩)

يقول هم ملوك وأشباه الملوك ولهم كفاة فهم لا يحسنون اصابة المفصل وأنشد أبو عبيدة فى مثل ذلك

وصلع الرؤس عظام البطون * جفاة المحز غلاظ القصر

وكذلك

ليس براعى ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم (١٠)

وقال الآخر وهو ابن الزبعرى

وفتيان صدق حسان الوجوه * لا يجدون لشئ ألم
من آل المغيرة لا يشهدون * عند المجاز لحم الوضم

وقال الراعى فى المعنى الاول

فطبقن (١١) عرض القف (١٢) حتى لقينه * كما طبقت فى العظم مدية جازر

وأنشد الاصمعى

وكف فتى لم يعرف السلخ قبلها * تجور يداه فى الاديم (١٣) وتجرح

(١) المفصل بكسر الميم اللسان (٢) القطران (٣) يداوى الجرب (٤) جمع جرب (٥) هو من يعمل عمل نفسه (٦) يفل اى يثلم (٧) المحز بكسر الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الزاى لفظ القاموس هو الرجل الغليظ الكلام ولعله هنا بمعنى الكلام الغليظ فقط (٨) المفصل بفتح الميم والصاد الحق من القول (٩) تقطيعا يقال تخذم الشئ أى قطعه (١٠) محركة ما دق به اللحم عن الارض من خشب وحصير ويقال تركهم لحما على وضم أى أوقعهم فذللهم (١١) قطعن بلا ميل (١٢) ما ارتفع فى متن الارض (١٣) الاديم هو الجلد

وأنشد الاصمعى

لا يمسك العرف الا ريث يرسله * ولا يلاطم عند اللحم فى السوق

وقد فسر ذلك لبيد بن ربيعة وبينه وضرب المثل به حيث قال فى الحكم بن عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة

يا هرم ابن الاكرمين منصبا * انك قد أوتيت حكما معجبا * فطبق المفصل واغنم طيبا

يقول أحكم ابن عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة بكلمة فصل وبامر قاطع فتفصل بها بين الحق والباطل كما يفصل الجزار الحاذق مفصل العظمين وقد قال الشاعر فى هرم

قضى هرم يوم المريرة بينهم * قضاء امرئ بالاوليــة عالم
قضى ثم ولى الحكم من كان أهله * وليس ذنابى الريش مثل القوادم

ويقال فى الفحل اذا لم يحسن الضراب جمل عياياء وجمل طباقاء وقالت امرأة فى الجاهلية تشكو زوجها زوجى عياياء طباقاء وكل داء له داء حتى جعلوا ذلك مثلا للعى الفدم (١) الذى لا يتجه للحجة وقال الشاعر

طباقاء لم يشهد خصوما ولم يقد * ركابا الى أكوارها حين تعكف

وذكر زهير بن أبى سلمى الخطل فعابه فقال

وذى خطل فى القول يحسب انه * مصيب فما يلمم به فهو قائله
عبأت له حلما وأكرمت غيره * وأعرضت عنه وهو باد مقاتله

وقال الشاعر

شمس اذا خطل الحديث أوانس * يرقبن كل مجذر تنبال

الشمس ماخوذ من الخيل وهى الخيل المرحة الضاربة باذنابها من النشاط والمجذر القصير والتنبال القصير الدنىء وقال أبو الاسود الدؤلى واسم أبى الاسود ظالم بن عمرو وكان من المقدمين فى العلم

وشاعر سوء يهضب (٢) القول ظالما * كما اقتم (٣) أعشى مظلم الليل حاطب

وأنشد

أعوذ بالله الاعز الاكرم * من قولى الشئ الذى لم أعلم
* تخبط الاعمى الضرير الابهم *

وقال ابراهيم بن هرمة فى تطبيق المفصل وتلحق هذه بمعانى اخواتها قبل

وعميمة قد سقت فيها عاثرا * غفلا وفيها عاثر موسوم
طبقت مفصلها بغير حديدة * فرأى العدو غناى حيث أقوم

وهذه الصفات التى ذكرها ثمامة بن اشرس فوصف بها جعفر بن يحيى كان ثمامة بن اشرس قد انتظمها لنفسه واستولى عليها دون جميع أهل عصره وما علمت انه كان فى زمانه قروى ولا بلدى كان بلغ من حسن الافهام مع قلة عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع

(١) الفدم بفتح الفاء وسكون الدال المهملة هو العيى عن الكلام فى ثقل ورخاوة وقلة فهم أو الغليظ الاحمق الجافى (٢) يطيل (٣) اسود بتشديد الدال

السلامة من التكلف ما كان بالغه وكان لفظه فى وزن اشارته ومعناه فى طبقة لفظه ولم يكن لفظه الى سمعك باسرع من معناه الى قلبك قال بعض الكتاب معانى ثمامة الظاهرة فى ألفاظه الواضحة فى مخارج كلامه كما وصف الخريمى شعر نفسه فى مديح أبى دلف حيث يقول

له كلم فيك معقولة * ازاء القلوب كركب وقوف

وأول هذه القصيدة أبا دلف دلفت (١) حاجتى * اليك وما خلتها بالدلوف

ويظنون أن الخريمى انما احتذى فى هذا البيت على أيوب بن القرية حين قال له بعض السلاطين ما أعددت لهذا الموقف قال ثلاثة حروف كانهن ركب وقوف دنيا وآخرة ومعروف وحدثنى صالح بن خاقان قال قال شبيب بن شبة الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه وأنا موكل بتفضيل جودة القطع وبمدح صاحبه وحظ جودة القافية وان كانت كلمة واحدة ارفع من حظ سائر البيت ثم قال شبيب فان ابتليت بمقام لابد لك فيه من الاطالة فقدم احكام البلوغ فى طلب السلامة من الخطل قبل التقدم فى احكام البلوغ فى شرف التحبير وبدوا اياك أن تعدل بالسلامة شيأ فان قليلا كافيا خير من كثير غير شاف ويقال انهم لم يروا قط خطيبا بلديا الا وهو فى أول تكلفه لتلك المقامات كان مستثقلا مستصلفا (٢) أيام رياضته كلها الى أن يتوقع وتستجيب له المعانى ويتمكن من الالفاظ الا شبيب بن شبة فانه ابتدأ بحلاوة ورشاقة وسهولة وعذوبة فلم يزل يزداد منها حتى صار فى كل موقف يبلغ بقليل الكلام ما لا يبلغه الخطباء المصاقع بكثيره قالوا ولما مات شبيب بن شبة أتاهم صالح المرى أو بعض من أتاهم للتعزية فقال رحمة الله على أديب الملوك وجليس الفقراء وأخى المساكين وقال الراجز

اذا غدت سعد على شبيبها * على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس الى مغيبها * عجبت من كثرتها وطيبها

حدثنى صديق لى قال قلت للعتابى ما البلاغة قال كل من أفهمك حاجته من غير اعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ فاذا أردت اللسان الذى يروق الالسنة ويفوق كل خطيب باظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل فى صورة الحق قال فقلت له قد عرفت الاعادة والحبسة فما الاستعانة قال أما تراه اذا تحدث قال عند مقاطع كلامه ياهناه وياهذا وياهيه واسمع منى واستمع الى وافهم عنى أولست تفهم أولست تعقل فهذا كله وما أشبهه عى وفساد قال عبد الكريم بن روح الغفارى حدثنى عمر الشمرى قال قيل لعمر بن عبيد ما البلاغة قال ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار وما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيك قال السائل ليس هذا أريد قال من لم يحسن ان يسكت لم يحسن أن يستمع ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول قال ليس هذا أريد قال قال النبى صلى الله عليه وسلم انا معشر

(١) دلفت أى مشت (٢) الصلف بالتحريك التمدح بما ليس عندك

الانبياء بكاء أى قليلوا الكلام ومنه قيل رجل بكى ء وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله قال السائل ليس هذا أريد قال كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ما لا يخافون من فتنة السكوت ومن سقطات الصمت قال قال السائل ليس هذا أريد قال عمرو فكانك انما تريد تخير اللفظ فى حسن الافهام قال نعم قال انك ان أردت تقرير حجة الله فى عقول المتكلمين وتخفيف المؤنة على المستمعين وتزيين تلك المعانى فى قلوب المريدين بالالفاظ المستحسنة فى الآذان المقبولة عند الاذهان رغبة فى سرعة استجابتهم ونفى الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب قلت لعبد الكريم من هذا الذى صبر له عمرو هذا الصبر قال قد سالت عن ذلك أبا حفص فقال ومن كان يجترئ عليه هذه الجراءة الا حفص بن سالم قال عمر الشمرى كان عمرو بن عبيد لا يكاد يتكلم فان تكلم لم يكد يطيل وكان يقول لا خير فى المتكلم اذا كان كلامه لمن شهده دون نفسه واذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف ولا خير فى شئ يأتيك به التكلف وقال بعضهم وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك وكان موسى بن عمران يقول لم أر أنطق من أيوب بن جعفر بن يحيى بن خالد وكان ثمامة يقول لم أر أنطق من جعفر ابن يحيى بن خالد وكان سهل بن هرون يقول لم أر انطق من المامون أمير المؤمنين وقال ثمامة سمعت جعفر بن يحيى يقول لكتابه ان استطعتم أن يكون كلامكم كله مثل التوقيع فافعلوا وسمعت أبا العتاهية يقول لو شئت أن يكون حديثى كله شعرا موزونا لكان وقال اسحق بن حسان بن قوهة لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط سئل ما البلاغة قال البلاغة اسم جامع لمعان تجرى فى وجوه كثيرة فمنها ما يكون فى السكوت ومنها ما يكون فى الاستماع ومنها ما يكون فى الاشارة ومنها ما يكون فى الحديث ومنها ما يكون فى الاحتجاج ومنها ما يكون جوابا ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا وخطبا ومنها ما يكون رسائل فعامة ما يكون من هذه الابواب الوحى فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة فاما الخطب بين السماطين (١) وفى اصلاح ذات البين فالاكثار فى غير خطل والاطالة فى غير املال وليكن فى صدر كلامك دليل على حاجتك كما ان خير أبيات الشعر البيت الذى اذا سمعت صدره عرفت قافيته كأنه يقول فرق بين صدر خطبة النكاح وبين صدر خطبة العيد وخطبة الصلح وخطبة المواهب حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل على عجزه فانه لا خير فى كلام لا يدل على معناك ولا يشير الى مغزاك والى العمود الذى اليه قصدت والغرض الذى اليه نزعت قال فقيل له فان مل المستمع الاطالة

(١) أى الصفين

التى ذكرت انها احق ذلك الموقف قال اذا اعطيت كل مقام حقه وقمت بالذى يجب من سياسة ذلك المقام وارضيت من يعرف حقوق الكلام فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو فانه لا يرضيهما شئ واما الجاهل فلست منه وليس منك ورضا جميع الناس شئ لا تناله وقد كان يقال * رضاء الناس شئ لا ينال * قال والسنة فى خطبة النكاح ان يطيل الخاطب ويقصر المجيب ألا ترى الى قيس بن خارجة بن سنان لما ضرب بصفحة سيفه مؤخرة راحلتى الحاملين فى شان حمالة (١) داحس والغبراء وقال مالى فيها أيها العشمتان (٢) قالا بل ماعندك قال عندى قرى كل نازل ورضا كل ساخط وخطبة من لدن تطلع الشمس الى ان تغرب آمر فيها بالتواصل وانهى فيها عن التقاطع قالوا فخطب يوما الى الليل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى فقيل لابى يعقوب هلا اكتفى بالامر بالتواصل عن النهى عن التقاطع أوليس الامر بالصلة هو النهى عن القطيعة قال أوما علمت ان الكناية والتعريض لا يعملان فى العقول عمل الافصاح والكشف قال وسئل ابن المقفع عن قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما يتصعدنى كلام كما تصعدنى خطبة النكاح قال ما اعرفه الا أن يكون أراد قرب الوجوه من الوجوه ونظر الحداق من قرب فى أجواف الحداق ولانه اذا كان جالسا معهم كانوا كانهم نظراء واكفاء واذا علا المنبر صاروا سوقة ورعية وقد ذهب ذاهبون الى ان تاويل قول عمر يرجع الى ان الخطيب لا يجد بدا من تزكية (٣) الخاطب فلعله كره ان يمدحه بما ليس فيه فيكون قد قال زورا وغر القوم من صاحبه ولعمرى ان هذا التاويل ليجوز اذا كان الخطيب موقوفا على الخطابة فاما عمر بن الخطاب رضى الله عنه واشباهه من الائمة الراشدين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فلم يكونوا ليتكلفوا ذلك الافيمن يستحق المدح وروى أبو مخنف عن الحرث الاعور قال والله لقد رأيت عليا وانه ليخطب قاعدا كقائم ومحاربا كمسالم يريد بقوله قاعدا خطبة النكاح وقال الهيثم بن عدى لم تكن الخطباء تخطب قعودا الا فى خطبة النكاح وكانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل وفى الكلام يوم الجمع آى من القرآن فان ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع قال الهيثم قال عمران بن حطان ان أول خطبة خطبتها عند زياد أو قال عند ابن زياد فاعجب بها زياد وشهدها عمى وأبى ثم انى مررت ببعض المجالس فسمعت رجلا يقول لبعضهم هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شئ من القرآن واكثر الخطباء لا يتمثلون فى خطبهم الطوال بشئ من الشعر ولا يكرهونه فى الرسائل الا ان تكون الى الخلفاء وسمعت مؤمل بن خاقان وذكر فى خطبته تميم بن مر فقال ان تميما له الشرف القديم السودد والعز الاقعس (٤)

(١) كسحابة الدية : ملها قوم من قوم (٢) العشمة محركة كشجرة هو اليابس هزالا والشيخ الفانى للذكر والانثى أو المتقارب الخطى المنحنى الظهر (٣) مدح يقال زكى نفسه تزكية مدحها (٤) الثابت من العز

والعدد

والعدد الهيضل (١) وهى فى الجاهلية القدام والازوة والسنام وقد قال الشاعر

فقلت له وانكر بعض شانى * ألم تعرف رقاب بنى تميم

وكان المؤمل وأهله يخالفون جمهور بنى سعد فى المقالة فلشدة تحدبه (٢) على سعد وشفقته عليهم كان يناضل عند السلطان كل من سعى على اهل مقالتهم وان كان قوله خلاف قولهم حدبا عليهم وكان صالح المرى القاص العابد البليغ كثيرا ما ينشد فى قصصه وفى مواعظه هذا البيت

فبات يروى أصول الفسيل * فعاش الفسيل ومات الرجل

وأنشد الحسن فى مجالسه وفى قصصه وفى مواعظه

ليس من مات فاستراح بميت * انما الميت ميت الاحياء

وأنشد عبد الصمد بن الفضل بن عيسى بن ابان الرقاشى الخطيب القاص الشجاع امافى قصصه واما فى خطبة من خطبه رحمه الله سبحانه وتعالى

أرض تخيرها لطيب مقيلها * كعب بن مامة وابن أم دواد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكانهم كانوا على ميعاد
فارى النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

وقال أبو الحسن خطب عبد الله بن الحسن على منبر البصرة فى العيد فانشد فى خطبته

أين الملوك التى عن حظها غفلت * حتى سقاها بكاس الموت ساقيها
تلك المدائن بالآفاق خالية * امست خلاء وذاق الموت بانيها

قال وكان مالك بن دينار يقول فى قصصه ما أشد فطام الكبير وهو كما قال القائل

وتروض عرسك بعد ما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم

ومثله أيضا قول صالح بن عبد القدوس

والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى فى ثرى رمسه
اذا ارعوى (٣) عاد الى جهله * كذى الضنى عاد الى نكسه

قال كلثوم بن عمرو العتابى

وكنت امرأ لو شئت ان تبلغ المدى * بلغت بادنى نعمة تستديمها
ولكن فطام النفس أثقل محملا * من الصخرة الصماء حين ترومها

وكانوا يمدحون الجهير (٤) الصوت ويذمون الضئيل (٥) الصوت ولذلك تشادقوا فى الكلام ومدحوا سعة الفم وذموا صغر الفم قال وحدثنى محمد بن بشير الشاعر قيل لاعرابى ما الجمال قال طول القامة وضخم الهامه ورحب الشدق وبعد الصوت وسال جعفر بن سليمان أبا المخشن عن ابنه المخشن وكان جزع عليه جزعا شديدا فقال صف لى المخشن فقال

(١) الكثير (٢) تعطفه (٣) الارعواء النزوع عن الجهل وحسن الرجوع عنه (٤) العالى (٥) الضعيف أو الدقيق

كان أشدق خرطمانيا (١) سائلا لعابه كانما ينظر من قلمين كان ترقوته (٢) بوان (٣) أوخالفة (٤) كأن منكبه (٥) كركرة (٦) جمل ثقال فقأ الله عيني ان كنت رأيت قبله أو بعده مثله قال وقلت لاعرابي ما الجمال قال غؤور (٧) العينين واشراف (٨) الحاجبين ورحب الشدقين قال دغفل بن حنظلة النسابة والخطيب العلامة حين ساله معاوية عن قبائل قريش فلما انتهى الى بني مخزوم قال معزى مطيرة عليها اقشعريرة الا بني المغيرة فان فيهم تشادق الكلام ومصاهرة الكرام وقال الشاعر في عمرو بن سعيد الاشدق

تشادق حتى مال بالقول شدقه * وكل خطيب لا أبا لك اشدق

وأنشد أبو عبيدة وصلع الرؤس عظام البطون * رحاب الشداق طوال القصر

قال وتكلم يوما عند معاوية الخطباء فاحسنوا فقال والله لارمينهم بالخطيب الاشدق قم يا يزيد فتكلم وهذا القول وغيره من الاخبار والاشعار حجة لمن زعم لم يسم الاشدق للفقم (٩) ولا للفوه (١٠) وقال يحيى بن نوفل في خالد بن عبد الله القسري

بل السراويل من خوف ومن وهل (١١) * واستطعم الماء لما جد في الهرب

والحن الناس كل الناس قاطبة * وكان يولع بالتشديق في الخطب

ويدل على تفضيلهم سعة الاشداق وهجائهم ضيق الافواه قول الشاعر

لحا الله افواه الدبى (١٢) من قبيلة * اذا ذكرت في النائبات أمورها

(وقال الآخر) وأفواه الدبى حاموا قليلا * وليس أخو الحماية (١٣) كالضجور (١٤)

وانما شبه أفواههم بافواه الدبى لصغر افواههم وضيقها وعلى ذلك المعنى هجا عبدة بن الطيب حي بن هزال وابنيه فقال

تدعو بنيك عبادا وحزيمة * فافأرة شجها في الجحر محفار

وقد كان العباس بن عبد المطلب جهيرا (١٥) جهير الصوت (١٦) وقد مدح بذلك وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حنين حين ذهب الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى العباس يا اصحاب سورة البقرة هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتراجع القوم وانزل الله عز وجل النصرة واتى بالفتح أخبرني ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال

---

(١) الخرطمان بالضم الطويل (٢) مقدم الحلق في أعلى الصدر حيثما يترقى فيه النفس (٣) البوان بالضم والكسر هو العمود (٤) العمود أيضا (٥) المنكب هو مجتمع رأس الكتف والعضد (٦) الكركرة بكسر الكافين وسكون الراء بين هي رحى زور البعير أو صدر كل ذي خف (٧) غؤور أي دخول (٨) ارتفاع (٩) الفقم محركة كالفرح هو الامتلاء وتقدم الثنايا العليا فلا تقع على السفلى (١٠) الفوه محركة كالفرح سعة الفم أو أن تخرج الاسنان من الشفتين مع طولها تقول هو أفوه وهي فوهاء (١١) الوهل كالفزع وزنا ومعنى (١٢) الدبى أصغر الجراد والنمل (١٣) حمى الشئ حماية بالكسر منعه (١٤) الضجور كنصوح هو القلق بكسر اللام (١٥) الجهير هو الجميل والخليق للمعروف (١٦) عالي الصوت

كان قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف يمكو حول البيت فيسمع ذلك من حرى قال الله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فالتصدية التصفيق والمكاء التصفير أو شبيه بالصفير ولذلك قال عنترة

وحليل (١) غانية تركت مجدلا (٢) * تمكو فريصته كشدق الاعلم

وقال البجير السلولي في شدة الصوت

ومنهن قرعي كل باب كانما * به القوم يرجون الاذين (٣) نشورا

فجئت وخصمي يصرفون نيوبهم * كما قصبت (٤) بين الشفار (٥) جزور (٦)

لدى كل موثوق به عند مثلها * له قدم في الناطقين خطير

جهير وممتد العناق مناقل (٧) * بصير بعورات الكلام خبير

فظل رداء العصب (٨) ملقى كأنه * سلى (٩) فرس تحت الرجال عقير

لو أن الصخور الصم يسمعن صلقنا * لرحن وفي اعراضهن فطور

الصلق شدة الصوت وفطور شقوق وقال مهلهل

ولولا الريح اسمع أهل نجد * صليل البيض تقرع بالذكور

والصريف صوت احتكاك الانياب والصليل صوت الحديد ههنا وفي شدة الصوت يقول الاعشى في وصفه الخطيب بذلك

فيهم الخصب والسماحة والنجدة جمعا والخاطب الصلاق

وقال بشار بن برد في ذلك ويهجو بعض الخطباء

ومن عجب الايام أن قمت ناطقا * وأنت ضئيل الصوت منتفخ السحر

ووقع بين فتى من النصارى وبين ابن فهريز كلام فقال له الفتى ما ينبغي ان يكون في الارض رجل واحد أجهل منك وكان ابن فهريز في نفسه اكثر الناس علما وأدبا وكان حريصا على الجثلقة فقال للفتى وكيف حلت عندك هذا المحل قال لانك تعلم انا لا نتخذ الجاثليق (١٠) الا مديد القامة وأنت قصير القامة ولا نتخذه الا جهير الصوت جيد الخلق وانت دقيق الصوت رديء الخلق ولا نتخذه الا وهو وافر اللحية عظيمها وأنت خفيف اللحية صغيرها وأنت تعلم انا لا نختار للجثلقة الا رجلا زاهدا في الرياسة وانت أشد الناس عليها كلبا وأظهرهم لها طلبا فكيف لا تكون أجهل الناس وخصالك هذه كلها تمنع من الجثلقة

---

(١) زوج تقول أنا حليلها أي زوجها وهي حليلتي أي امرأتي (٢) صريعا (٣) النداء (٤) قطعت (٥) جمع شفرة وهي السكين العظيم (٦) كل شئ مباح الذبح (٧) كثير نقل القوائم كناية عن نشاطه (٨) ضرب من البرود وهي الثياب المخططة (٩) السلى جلدة فيها الولد من الناس والمواشي (١٠) الجاثليق بفتح الثاء المثلثة رئيس للنصارى في بلاد الاسلام بمدينة السلام ويكون تحت يده بطريق انطاكية ثم المطران تحت يده ثم الاسقف بتشديد الفاء يكون في كل بلد من تحت المطران ثم القسيس ثم الشماس

وأنت قد شغلت فى طلبها بالك وأسهرت فيها ليلك وقال أبو الجناء فى شدة الصوت

انى اذا ماز بب الاشداق * والتج (١) حولى النقع (٢) واللقلاق

* ثبت الجنان مرجم وداق *

المرجم الحاذق بالمراجمة بالحجارة والوداق الذى يسيل الحجارة كالودق من المطر وجاء فى الحديث من وقى شر لقلقه وقبقبه وذبذبه وقى الشر يعنى لسانه وبطنه وفرجه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بواكى خالد بن الوليد بن المغيرة وما عليهن ان يرقن من دموعهن على أبى سليمان مالم يكن نقع أو لقلقة وجاء فى الاثر ليس منا من حلق أو صلق أو سلق أو شق ومما مدح به العمانى هرون الرشيد بالقصيد دون الرجز قوله

جهير العطاس شديد النياط * جهير الرواء جهير النغم

و يخطو على الاين خطو الظليم * ويعلو الرجال بجسم عمم

النياط معاليق القلب الاين الاعياء الظليم ذكر النعام عمم حسن ومنه قيل نبت عميم أى حسن كثير ويقال ان جسمه لعمم وانه لعمم الجسم اذا كان تاما وكان الرشيد اذا طاف بالبيت جعل لازاره ذنبين عن يمين وشمال ثم طاف باوسع من خطو الظليم وأسرع من رجع يد الارنب وقد أخبرنى ابراهيم بن السندى بمحصول ذرع ذلك الخطو الا انى أحسبه فراسخ فيما رأيته يذهب اليه قال ابراهيم ونظر اليه اعرابى فى تلك الحال والهيئة فقال

* خطو الظليم ريع ممسى فانشمر * ريع فزع ممسى حين المساء انشمر جد فى الهرب وحدثنى ابراهيم السندى قال لما أتى عبد الملك بن صالح وفد الروم وهو فى البلاد أقام على رأسه رجالا فى السماطين لهم قصر وهام ومناكب وأجسام وشوارب وشعور فبيناهم قيام يكلمونه ومنهم رجل وجهه فى قفا البطريق اذ عطس عطسة ضئيلة (٣) فلحظه عبد الملك فلم يدر أى شئ انكر منه فلما مضى الوفد قال له ويلك هلا اذ كنت ضيق المنخر كز (٤) الخيشوم اتبعتها بصيحة تخلع بها قلب العلج وفى تفضيل الجهارة فى الخطب يقول شبة بن عقال بعقب خطبته عند سليمان بن على بن عبد الله بن عباس

ألا ليت أم الجهم والله سامع * ترى حيث كانت بالعراق مقامى

عشية بذ (٥) الناس جهرى ومنطقى * و بذ كلام الناطقين كلامى

وقال طحلاء يمدح معاوية بالجهارة وبجودة الخطبة

ركوب المنابر وثابها * معن بخطبته مجهر

تريع اليه هوادى الكلام * اذا ضل خطبته المهذر

معن تعرض له الخطبة فيخطبها مقتضبا لها تريع اليه ترجع اليه هوادى الكلام أوائله

(١) اختلط (٢) رفع الصوت (٣) منخفضة الصوت (٤) كز ضيق (٥) استحسان لان العرب تقول بذ فلان فلانا اذا ما علاه وفاته فى حسن أو عمل كائنا ما كان

فاراد

فاراد ان معاوية يخطب فى الوقت الذى يذهب فيه كلام المهذر والمهذر المكثار وزعموا ان أبا عطية عفيفا النصرى فى الحرب التى كانت بين ثقيف وبين بنى نصر لما رأى الخيل بقربه يومئذ وايس نادى ياصباحاه أتيتم يابنى نصر فالقت الحبالى أولادها من شدة صوته قالوا فقال ربيعة بن مسعود يصف تلك الحرب وصوت عفيف

عقاما (١) ضروسا (٢) بين عوف ومالك * شديدا لظاها تترك الطفل اشيبا

وكانت جعيل يوم عمرو اراكة * اسود الغضا غادرن لحما تربا (٣)

ويوم بكرونا ٧ شددت معتب * بغاراتها قد كان يوما عصبصبا (٤)

فاسقط أحبال النساء بصوته * عفيف وقد نادى بنصر فطربا (٥)

وكان أبو عروة الذى يقال له أبو عروة السباع يصيح بالسبع وقد احتمل الشاة فيخليها ويذهب هاربا على وجهه فضرب به الشاعر المثل وهو النابغة الجعدى فقال

وازجر الكاشح (٦) العدو اذا اغتا * بك عندى زجرا على أضم (٧)

زجر أبى عروة السباع اذا * أشفق أن يلبسن بالغنم ٨

وأنشد أبو عمرو الشيبانى لرجل من الخوارج يصف صيحة شبيب بن زيد بن نعيم قال أبو عبيدة وأبو الحسن كان شبيب يصيح فى جنبات الجيش اذا أتاه فلا يلوى أحد على أحد وقال الشاعر فيه ان صاح يوما حسبت الصخر منحدرا * والريح عاصفة والموج يلتطم قال أبو العاصى أنشدنى أبو محرز خلف بن حيان وهو خلف الاحمر مولى الاشعريين فى عيب التشادق له حنجر رحب وقول منقح * وفصل خطاب ليس فيه تشادق

اذا كان صوت المرء خلف لهاته (٨) * وأنحى باشداق لهن شقاشق

وقبقب (٩) يحكى مقرما (١٠) فى هبابه (١١) * فليس بمسبوق ولا هو سابق

وقال الفرزدق * شقاشق بين أشداق وهام * وأنشد خلف

وما فى يديه غير شدق يميله * وشقشقة خرساء ليس لها نعب (١٢)

متى رام قولا خالفته سجية

وضرس (١٣) كنعب (١٤) القين (١٥) ثلمه (١٦) الشعب (١٧)

وأنشد أبو عمرو بن الاعرابى

(١) عقام كغراب تقول حرب عقام اى شديدة (٢) سيئة وخيمة (٣) عليه تراب تقول تربته أى جعلت عليه التراب (٤) عصبصب أى شديد الحر (٥) أطرب (٦) مضمر العداوة (٧) الغضب والحقد (٨) اللهاة كالغلاة اللحمة المشرفة على الحلق أو ما بين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب من أعلى الفم (٩) هدر وصوت (١٠) القرم محركة شدة شهوة اللحم وأقرمه أى جعله قرما وهو هنا يعنى شديد الجوع (١١) نشاط كل ثائر وسرعته (١٢) أى تصويت (١٣) ضمت يوم الى الليل (١٤) ضرب من السير (١٥) العبد (١٦) آلمه أو أتعبه (١٧) الشعب بالفتح الجبل أو البعد وبالكسر الطريق فى الجبل

وجاءت قريش البطاح * هى العصب الاول الداخلة
يقودهم الفيل والزندبيل * وذو الضرس والشفة المائلة

والفيل والزندبيل أبان والحكم ابنا عبد الملك بن بشر بن مروان وذو الضرس وذو الشفة المائلة هو خالد بن سلمة المخزومى الخطيب يعنى دخولهم على ابن هبيرة والزندبيل الانثى من الفيلة فيما ذكر أبو اليقظان نجيم بن حفص وقال غيره هو الذكر فلم يقفوا من ذلك على شئ وقال الشاعر فى خالد بن سلمة المخزومى الخطيب

فما كان قائلهم دغفل * ولا الحيقطان ولا ذو الشفه

قوله دغفل يريد دغفل بن يزيد بن حنظلة الخطيب الناسب والحيقطان عبد اسود وكان خطيبا الايجازى وأنشد أصحابنا

وقافية لجلجتها فرددتها * لذى الضرس لو أرسلتها قطرت دما

وقال الفرزدق انا عند الناس أشعر العرب ولربما كان نزع ضرس أيسر على من ان أقول بيت شعر قال وأنشدنا منيع

فجئت ووهب كالخلاة تضمها * الى الشدق أنياب لهن صريف
فقعقعت لحى خالد واهتضمته * بحجة خصم بالخصوم عنيف

روى أبو يعقوب الثقفى عن عبد الملك بن عمير قال سئل الحرث بن أبى ربيعة عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال كم كان له ماشئت من ضرس قاطع فى العلم بكتاب الله والفقه فى السنة والهجرة الى الله ورسوله والبسطة فى العشيرة والنجدة فى الحرب والبذل للماعون قال الآخر

ولم تلفنى فهها ولم تلف حجتى * ملجلجة أبغى لها من يقيمها
ولا بت ازجيها(١) قضيبا(٢) وتلتوى * أراوغها(٣) طورا وطورا أضيمها(٤)

وأنشدنى أبو الردينى العكلى

فتى كان يعلو مفرق الحق قوله * اذا الخطباء الصيد(٥) أغطل قبلها

وقال الحزبمى فى تشادق على بن الهيثم

ياعلى بن هيثم ياسماقا(٦) * قد ملأت الدنيا علينا بقاقا(٧)
خل لحييك يسكنان ولا تضرب على تغلب بلحييك طاقا
لا تشادق اذا تكلمت واعلم * ان الناس كلهم أشداقا

(١) ازجيها ادعها وأدفعها (٢) القضيب هى الناقة التى لم ترض بضم التاء وفتح الراء أى التى لم تذلل من الرياضة (٣) اصارعها (٤) اظلمها (٥) اغطل قبلها تقول اغطلت السماء أى أطبق دجنها يعنى كثر غيمها واحتجبت والقيل نصف النهار كالقائلة وهذه الجملة ههنا كناية عن فروع حجة كلامهم متى لم يعد فى وجههم التكلم بشئ ما (٦) سماق كغراب أى خالص (٧) تقول بق الرجل بقاو بقاة كثر كلامه

وكان

وكان على بن الهيثم جوادا بليغ اللسان والقلم وقال لى أبو يعقوب الخزيمى ما رأيت كثلاثة رجال ياكلون الناس أكلا حتى اذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الملح فى الماء أو الرصاص عند النار كان هشام بن الكلبى علامة نسابة وراوية للمثالب عيابة فاذا رأى الهيثم بن عدى ذاب كما يذوب الرصاص عند النار وكان الهيثم بن عدى مفقعا (١) نيا صاحب تفقيع وتقعير ويستولى على كلام أهل المجلس لا يحفل بشاعر ولا بخطيب فاذا رأى موسى الضبى ذاب كما يذوب الرصاص عند النار وكان علويه المغنى أحد الناس فى الرواية وفى الحكاية وفى صنعة الغناء وجودة الضرب وفى الاطراب وحسن الحلق فاذا رأى مخارقا ذاب كما يذوب الرصاص عند النار ثم رجع بنا القول الى ذكر التشديق وبعد الصوت قال أبو عبيدة كان عروة بن علية بن جعفر بن كلاب رديفا(٢) للملوك ورحالا اليهم وكان يقال له عروة الرحال فكان يوم أقبل مع ابن الجون يريد بنى عامر فلما انتهى الى واردات مع الصبح قال له عروة انك قد عرفت طول صحبتى لك ونصحى اياك فاذن لى فاهتف بقومى هتفة قال نعم وثلاثا فقام فنادى ياصباحاه ثلاث مرات قال فسمعنا شيوخنا يزعمون انه أسمع أهل الشعب فتلببوا (٣) للحرب وعسبوا الرايا ينظرون من أين ياتى القوم قالوا وتقول الروم لولا ضجة أهل رومية وأصواتهم لسمع الناس جميعا صوت وجوب القرص فى المغرب وأعيب عندهم من دقة الصوت وضيق مخرجه وضعف قوته ان يعترض الخطيب البهر والارتعاش والرعدة والعرق قال أبو الحسن قال سفيان بن عيينة تكلم صعصعة عند معاوية فعرق قال معاوية بهرك القول فقال صعصعة ان الجياد نضاحة بالماء والفرس اذا كان سريع العرق وكان هشا (٤) كان ذلك عيبا وكذلك هو فى الكثرة واذا أبطأ ذلك وكان قليلا قيل قد كباوهو فرس كاب وذلك عيب أيضا وأنشدنى ابن الاعرابى لابى مسمار العكلى فى شبيه بذلك قوله

* لله درعامر اذا نطق * فى حفل املاك وفى تلك الحلق
ليس كقوم يعرفون بالشدق * من خطب الناس ومما فى الورق
يلفقون القول تلفيق الخلق * من كل نضاح الذفارى بالعرق
* اذا رمته الخطباء بالحدق *

والذفارى هنا يعنى بدن الخطيب والذفريان للبعير وهما اللحمتان فى قفاه وانما ذكر خطب الاملاك لانهم يذكرون انه يعرض للخطيب فيها من الحصر أكثر مما يعرض لصاحب المنبر ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ما يتصعدنى كلام كما يتصعدنى خطبة النكاح وقال العمانى

لاذفرهش ولا بكاب * ولا بلجاج ولا هياب

(١) متشدقا فى كلامه (٢) تابعا (٣) تشمروا (٤) الهش الفرس الكثير العرق

الهش الذى يجود بعرقه سريعا وذلك عيب والذفر الكثير العرق والكابى الذى لا يكاد يعرق كالزند الكابى الذى لا يكاد يورى فجعل له العمانى حالا بين حالين اذا خطب أخبرانه رابط الجاش معاود لتلك المقامات وقال الكميت بن زيد وكان خطيبا ان للخطبة صعداء وهى على ذى اللب أرمى وقولهم ارمى واربى سواء يقال فلان قد أرمى على المائة واربى ولم أر الكميت أفصح عن هذا المعنى ولا تخلص الى خاصته وانما يجترئ على الخطبة الغمر الجاهل الماضى الذى لا يثنيه شئ أو المطبوع الحاذق الواثق بغزارته واقتداره والثقة تنفى عن قلبه كل خاطر يورث اللجلجة والنحنحة والانقطاع والبهر والعرق قال عبد الله بن زياد وكان خطيبا على لكنة كانت فيه نعم الشئ الامارة لولا قعقعة البرد والتشدق للخطب وقيل لعبد الملك بن مروان عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين قال وكيف لا يعجل على وأنا أعرض عقلى على الناس فى كل جمعة مرة أو مرتين يعنى خطبة الجمعة و بعض ما يعرض من الامور وقال بعض الكلابيين (١)

واذا خطبت على الرجال فلا تكن * خطل الكلام تقوله مختالا

واعلم بان من السكوت ابانة * ومن التكلم ما يكون خبالا

﴿كلام بشر بن المعتمر﴾ حين مر بابراهيم بن جبلة بن مخرمة السكونى الخطيب وهو يعلم فتيانهم الخطابة فوقف بشر فظن ابراهيم انه انما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظارة فقال بشر اضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا ثم دفع اليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه وكان أول ذلك الكلام خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك واجابتها اياك فان قليل تلك الساعة أكرم جوهرا واشرف حسبا وأحسن فى الاسماع وأحلى فى الصدور واسلم من فاحش الخطا واجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع واعلم ان ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الاطول بالكد والمطاولة والمجاهدة و بالتكلف والمعاودة ومهما أخطاك لم يخطئك ان يكون مقبولا قصدا وخفيفا على اللسان سهلا وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه واياك والتوعر فان التوعر يسلمك الى التعقيد والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك و يشين الفاظك ومن أراع معنى كريما فليلتمس له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من أجله الى ان تكون أسوء حالا منك قبل ان تلتمس اظهارهما وترتهن نفسك بملابستهما وقضاء حقهما وكن فى ثلاث منازل فان أولى الثلاث ان يكون لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا و يكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا اما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت واما عند العامة ان كنت للعامة اردت والمعنى ليس يشرف بان يكون من معانى الخاصة وكذلك ليس يتضع بان يكون من معانى العامة وانما مدار الشرف على الصواب

(١) ٥ وابه الكلابيين

واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال وكذلك اللفظ العامى والخاصى فان أمكنك ان تبلغ من بيان لسانك و بلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك على ان تفهم العامة معانى الخاصة وتكسوها الالفاظ الواسطة التى لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الاكفاء فانت البليغ التام قال بشر فلما قرئت على ابراهيم قال لى أنا أحوج الى هذا من هؤلاء الفتيان قال أبو عثمان أما انا فلم أر قوما قط أمثل طريقة فى البلاغة من الكتاب فانهم قد التمسوا من الالفاظ مالم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا واذا سمعتمونى اذكر العوام فانى لست اعنى الفلاحين والحشوة والصناع والباعة ولست أعنى الاكراد فى الجبال وسكان الجزائر فى البحار ولست اعنى من الامم مثل البرد والطيلسان ومثل موقان وجيلان ومثل الزنج وأمثال الزنج وانما الامم المذكورون من جميع الناس أربع العرب وفارس والهند والروم والباقون همج واشباه الهمج وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التى عقولها واخلاقها فوق تلك الامم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا على ان الخاصة تتفاضل فى الطبقات أيضا ثم رجع بنا القول الى بقية كلام بشر بن المعتمر والى ما ذكر من الاقسام قال بشر فان كانت المنزلة الاولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسنح لك عند أول نظرك وفى أول تكلفك وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصر الى قرارها والى حقها من أماكنها المقسومة لها والقافية لم تحل فى مركزها وفى نصابها ولم تتصل بشكلها وكانت قلقة فى مكانها نافرة من موضعها فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن والنزول فى غير أوطانها فانك اذا لم تتعاط قريض الشعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد وان انت تكلفتها ولم تكن حاذقا مطبوعا ولا محكما لسانك بصيرا بما عليك أو مالك عابك من أنت أقل عيبا منه ورأى من هو دونك انه فوقك فان ابتليت بان تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع فى أول وهلة وتعصى عليك بعد اجالة الفكرة فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك اوسواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة ان كانت هناك طبيعة اوجريت من الصناعة على عرق فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ومن غير طول اهمال فالمنزلة الثالثة ان تتحول من هذه الصناعة الى اشهى الصناعات اليك واخفها عليك فانك لم تشتهه ولم تنازع اليه الا وبينكما نسب والشئ لا يحن الا الى ما يشاكله وان كانت المشاكلة قد تكون فى طبقات لان النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع المحبة والشهوة فهكذا هذا وقال ينبغى للمتكلم أن يعرف أقدار المعانى ويوازن بينها و بين اقدار المستمعين و بين اقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم اقدار الكلام على أقدار المعانى و يقسم اقدار المعانى على اقدار المقامات واقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات فان كان الخطيب متكلما تجنب الفاظ المتكلمين كما انه ان عبر عن

شئ من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا كان أولى الالفاظ به ألفاظ المتكلمين اذا كانوا لتلك العبارات أفهم والى تلك الالفاظ أميل واليها أحن وبها أشغف ولان كبار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء وابلغ من كثير من البلغاء وهم تخيروا تلك الالفاظ لتلك المعانى وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء وهم اصطلحوا على تسمية مالم يكن له فى لغة العرب اسم فصاروا فى ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع ولذلك قالوا العرض والجوهر وايس(١) وليس وفرقوا بين البطلان والتلاشى وذكروا الهذية والهوية والماهية واشباه ذلك وكما وضع الخليل بن أحمد لاوزان القصيد وقصار الارجاز ألقابا لم تكن العرب تتعارف تلك الاعاريض بتلك الالقاب وتلك الاوزان بتلك الاسماء وكما ذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكامل واشباه ذلك وكما ذكر الاوتاد والاسباب والخرم والزحاف وقد ذكرت العرب فى أشعارها السناد والاقواء والاكفاء ولم أسمع الايطاء وقالوا فى القصيد وارجز والسجع والخطب وذكروا حروف الروى والقوافى وقالوا هذا بيت وهذا مصراع وقد قال جندل الطهوى حين مدح شعره

* لم أقو فيهن ولم اساند *

﴿وقال ذو الرمة﴾

وشعر قد أرقت له غريب * اجانبه المساند والمحالا

﴿وقال أبو حزام العكلى﴾

بيوتا نصبنا لتقويمها * جذول(٢) الربيئين(٣) فى المربأه(٤)

بيوتا على الهانها سجدة(٥) * بغير السناد(٦) ولا المكفاه

وكما سمى النحويون فذكروا الحال والظرف وما أشبه ذلك لانهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وابناء البلديين علم العروض والنحو وكذلك أصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء وجعلوها علامات للتفاهم قالوا وقبيح بالخطيب أن يقوم بخطبة العيد أو يوم السماطين او على منبر او فى سدة دار الخلافة او فى يوم جمع وحفل اما فى اصلاح بين العشائر واحتمال دماء القبائل واستلال تلك الضغائن والسخائم فيقول كما قال بعض من خطب على منبر ضخم الشان رفيع المكان ثم ان الله عز وجل بعد ان انشا الخلق وسواهم ومكن لهم لاشاهم فتلاشوا ولولا ان المتكلم افتقر الى ان يلفظ بالتلاشى لكان ينبغى ان يؤخذ فوق يده وخطب آخر فى وسط دار الخلافة فقال فى خطبته واخرجه الله من باب الليسية فادخله فى باب الايسية وقال مرة اخرى فى خطبة له هذا فرق ما بين السار والضار والدفاع والنفاع وقال مرة اخرى فدل ساتره على غامره ودل غامره على منحله فكاد ابراهيم ابن السندى يطير شغفا وينقد غيظا هذا وابراهيم من المتكلمين والخطيب لم يكن من

(١) ايس كلمة معناها الايجاب كما ان ليس كلمة معناها النفى (٢) ما عظم من أصول الشجر (٣) ربيئة أى طليعة (٤) المرقبة (٥) تقول بيوتها على سجع واحد أى على قدر واحد (٦) اختلاف الردفين من الشعر

المتكلمين وانما جازت هذه الالفاظ فى صناعة الكلام حين عجزت الاسماء عن اتساع المعانى وقد تحسن ايضا ألفاظ المتكلمين فى مثل شعر أبى نواس وفى كل ما قالوه على جهة التظرف والتملح كقول أبى نواس

وذات خد مورد * قوهية المتجرد

تامل العين منها * محاسنا ليس تنفد

فبعضها قد تناهى * وبعضها يتولد

والحسن فى كل عضو * منها معاد مردد

وكقوله

يا عاقد القلب منى * هلا تذكرت حلا

تركت قلبى قليلا * من القليل أقلا

يكاد لا يتجزى * أقل فى اللفظ من لا

وقد يتملح الاعرابى بان يدخل فى شعره شيأ من كلام الفارسية كقول العمانى للرشيد فى قصيدته التى مدحه فيها

من يلقه من بطل مسرندى * فى دغفة محكمة بالسرد * يجول بين رأسه والكرد

يعنى العنق ويقول فيه أيضا

لما هوى بين غياض الاسد * وصار فى كف الهزبر الورد * آلى يذوق الدهر آب سرد

﴿وكقول الآخر﴾

وولهنى وقع الاسنة والقنا * وكافر كوبات لها عجر قفد

بايدى رجال ما كلامى كلامهم * يسوموننى مردا وما أنا والمرد

ومثل هذا موجود فى شعر العذافر الكندى وغيره ويكون أيضا أن يكون الشعر مثل شعر الحروشاذ واسود بن أبى كريمة كما قال يزيد بن ربيعة بن مفرغ

آب است نبيذ است * عصارات زبيب است * سميت روسبيد است

﴿وقال اسود بن أبى كريمة﴾

لزم الغرام ثوبى * بكرة فى يوم سبت

فتمايلت عليهم * ميل زنكى بمست

قد حسا الدادى صرفا * أو عقارا بايخست(١)

ثم كفتم دوزباد * وبحكم ان خركفت

ان جلدى دبغته * أهل صنعاء بجفت

وأبو عمرة عندى * ان كور يذغمست

جالس اندر مكاد * ابا عمد بنهشت

وكما لا ينبغى ان يكون اللفظ عاميا ساقطا سوقيا فكذلك لا ينبغى أن يكون غريبا وحشيا الا ان يكون المتكلم بدويا اعرابيا فان الوحشى من الكلام يفهمه الوحشى من الناس كما يفهم السوقى رطانة السوقى وكلام الناس فى طبقات كما ان الناس انفسهم فى طبقات فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والسميج والخفيف والثقيل وكله عربى وبكل قد تكلموا وبكل قد تمادحوا وتعايبوا فان زعم زاعم انه لم يكن فى كلامهم تفاضل ولا بينهم فى ذلك تفاوت فلم ذكروا العى والبكى والحصر

(١) بايخست الشراب على الريق بالفارسية

والمفعم والخطل والمسهب والمتشدق والمتفيهق والمهماز والثرثار والمكثار والهماز ولم ذكروا الهجر والهذر والهذيان والتخليط وقالوا رجل تلقاعة (١) وتلهاعة (٢) وفلان يتلهيع في خطبته وقالوا فلان يخطئ في جوابه ويحيل في كلامه ويناقض في خبره ولو ان هذه الامور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض لما سمي ذلك البعض والبعض الآخر بهذه الاسماء وانا أقول انه ليس في الارض كلام هو امتع ولا انفع ولا آنق ولا ألذ في الاسماع ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الاعراب الفصحاء العقلاء والعلماء البلغاء وقد أصاب القوم في عامة ما وصفوا الا اني أزعم ان سخيف الالفاظ مشاكل لسخيف المعاني وقد يحتاج الى السخيف في بعض المواضع وربما أمتع باكثر من امتاع الجزل الفاخم ومن الالفاظ الشريفة الكريمة من المعاني كما ان النادرة الباردة جدا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدا وانما الكرب الذي يختم على القلوب ويأخذ بالانفاس النادرة الفاترة التي لا هي حارة ولا هي باردة وكذلك الشعر الوسط والغناء الوسط وانما الشان في الحار جدا والبارد جدا وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول والله لفلان أثقل من مغن وسط وأبغض من ظريف وسط ومتى سمعت حفظك الله بنادرة من كلام الاعراب فاياك وان تحكيها الامع اعرابها ومخارج ألفاظها فانك ان غيرتها بان تلحن في اعرابها واخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والطغام فاياك وان تستعمل فيها الاعراب أو ان تتخير لها لفظا حسنا أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ويذهب استطابتهم اياها واستملاحهم لها ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير والتقعيب والتشديق والتمطيط (٣) والجهورة والتفخيم وأقبح من ذلك لحن الاعاريب النازلين على طرق السابلة وبقرب مجامع الاسواق ولاهل المدينة السنة ذلقة والفاظ حسنة وعبارة جيدة واللحن في عوامهم فاش وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب واللحن من الجواري الظراف ومن الكواعب النواهد ومن الشوارب الملاح ومن ذوات الخدور والغرائر أيسر وربما استملح الرجل ذلك منهن ما لم تكن الجارية صاحبة تكلف ولكن اذا كان اللحن على سجية سكان البلد وكما يستملحون اللثغاء اذا كانت حديثة السن ومقدودة مجدولة فاذا أسنت واكتهلت تغير ذلك الاستملاح وربما كان اسم الجارية غليم وصبية وما أشبه ذلك فاذا صارت كهلة جزلة وعجوزا شهلة وحملت اللحم وتراكم عليها الشحم وصار بنوها رجالا وبناتها نساء فما أقبح حينئذ أن يقال لها يا غليم كيف أصبحت ويا صبية كيف أمسيت ولامر ما كنت

(١) مكسور التاء واللام مشدد القاف هو كثير الكلام (٢) المتشدق في الكلام (٣) التلوين في الكلام

العرب

العرب البنات فقالوا فعلت ام الفضل وقالت ام عمرو وذهبت ام حكيم نعم حتى دعاهم ذلك الى التقدم في تلك الكنى وقد فسرنا ذلك كله في كتاب الاسماء والكنى والالقاب والانباز وقد قال مالك بن أسماء في استملاح اللحن من بعض نسائه

أمغطى مني على بصري للحب أم أنت أكمل الناس حسنا

وحديث الذه هو مما * ينعت الناعتون يوزن وزنا

منطق صائب وتلحن احيا * نا وأحلى الحديث ما كان لحنا

وهم يمدحون الحذق والرفق والتخلص الى حبات القلوب والى اصابة عيون المعاني ويقولون أصاب الهدف اذا أصاب الحق في الجملة ويقولون قرطس فلان وأصاب القرطاس اذا كان أجود اصابة من الاول فان قالوا رمى فاصاب الغرة وأصاب عين القرطاس فهو الذي ليس فوقه أحد ومن ذلك قولهم فلان يفل المحز ويصيب المفصل ويضع الهناء مواضع النقب وقال زرارة بن جزء حين أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتكلم عنده ورفع حاجته اليه

أتيت أبا حفص ولا يستطيعه * من الناس الا كالسنان طرير

فوفقني الرحمن لما لقيته * وللباب من دون الخصوم صرير

قروم غياري عند باب ممنع * تنازع ملكا يهتدي ويجور

فقلت له قولا أصاب فؤاده * وبعض كلام القائلين غرور

وفي شبيه ذلك يقول عبد الرحمن بن حسان

رجال اصحاء الجلود من الخنا * والسنة معروفة أين تذهب

وفي اصابة فص الشئ وعينه يقول ذو الرمة في مديح بلال بن أبي برده الاشعري

تناخي عند خير فتى يمان * اذا النكباء عارضت الشمالا

وخيرهم مآثر أهل بيت * وأكرمهم وان كرموا فعالا

وأبعدهم مسافة غور عقل * اذا ما الامر في الشبهات غالا

ولبس بين أقوام فكل * أعد له الشغازب والمحالا

وكلهم الده كظاظ * أعد لكل حال القوم حالا

فصلت بحكمة فاصبت منها * فصوص الحق فانفصل انفصالا

وكان أبو سعيد الراوي وهو شرشير المدني يعيب أبا حنيفة فقال الشاعر

عندي مسائل لا شرشير يحسنها * عند السؤال ولا أصحاب شرشير

ولا يصيب فصوص الحق تعلمه * الا حنيفية كوفية الدور

ومما قالوا في الايجاز وبلوغ المعاني بالالفاظ اليسيرة قال ثابت بن قطنة

مازلت بعدك فى هم يجيش به * صدرى وفى نصب قد كاد يبلينى
انى تذكرت قتلى لو شهدتهم * فى غمرة الموت لم يصلوا بها دونى
لا أكثر القول فيما يهضبون به * من الكلام قليل منه يكفينى

وقال رجل من طىء ومدح كلام رجل فقال هذا كلام يكتفى باولاه و يشتفى باخراه وقال أبو وجزة السعدى بن سعيد بن بكر يصف كلام رجل

يكفى قليل كلامه وكثيره * ثبت اذا طال النضال مصيب

ومن كلامهم الموجز فى أشعارهم قول العكلى فى صفة قوس

فى كفه معطية منوع * موثقة صابرة جزوع

وقال الآخر ووصف سهم رام أصاب حمارا فقال * حتى نجا من جوفه وما نجا *
وقال الآخر وهو يصف ذئبا

أطلس يخفى شخصه غباره * فى شدقه شفرته وناره
وهو الخبيث عينه قراره * بهم بنى محارب مزادره

ووصف الآخر ناقة فقال * خرقاء الا انها صناع * وقال الآخر ووصف سهما صادرا

ألقى على مفطوحها مفطوحا * غادر داء ونجا صحيحا

المفطوح الاول للقوس وهو العريض وهو ههنا موضع مقبض القوس والمفطوح الثانى السهم العريض يعنى أنه القى على مقبض القوس سهما عريضا وقال الآخر

انك يا ابن جعفر لا تفلح * الليل أخفى والنهار افضح

وقالوا فى المثل الليل أخفى للويل وقال رؤبة يصف حمارا

حشرج فى الجوف سحيلا أو شهق * حتى يقال ناهق وما نهق

الحشرجة صوت الصدر والسحيل صوت الحمار اذا مده والشهيق أن يقطع الصوت
وقال بعض ولد العباس بن مرداس السلمى فى فرس أبى الاعور السلمى

جاء كلمح البرق جاش ناظره * يسبح أولاه ويطفو آخره * فما يمس الارض منه حافره

قوله جاش ناظره أى جاش بمائه وناظر البرق سحابه يسبح يعنى يمد ضبعيه فاذا مدهما علا كفله وقال الآخر * ان سرك الاهون فابدأ بالاشد * وقال العجاج

يمكن السيف اذا الرمح انأطر * من هامة الليث اذا الليث هتر
كجمل البحر اذا خاض جسر * غوارب اليم اذا اليم هدر
* حتى يقال جاسر وما جسر *

اليم معظم الماء وغوارب اليم معظمه جسر قطع ومنه قيل للجسر جسر لان الناس يقطعون عليه وقوله حتى يقال جاسر وما جسر أى قطع الامر وهو بعد فيه لما يرون من مضائه فيه وقدرته عليه وقال الآخر

يادار قد غيرها بلاها * كأنما بقلم محاها * أخربها عمران من بناها
وكر ممساها على مغناها * وطفقت سحابة تغشاها * تبكى على عراصها عيناها

قوله أخربها عمران من بناها يقول عمرها بالخراب وأصل العمران مأخوذ من العمر وهو البقاء فاذا بقى الرجل فى داره فقد عمرها فيقول ان مدة بقائه فيها أبلت منها لان الايام مؤثرة فى الاشياء بالنقض والبلاء فلما بقى الخراب فيها وقام مقام العمران فى غيرها سمى بالعمران
وقال غيره

يا عجل الرحمن بالعذاب * لعامرات البيت بالخراب

يعنى الفار يقول هذا عمرانها كما يقول الرجل ما نرى من خيرك ورفدك الا ما يبلغنا من خطبك علينا وفتك (١) فى اعضادنا وقال الله عز وجل هذا نزلهم (٢) يوم الدين والعذاب لا يكون نزلا ولكنه لما أقام العذاب لهم فى موضع النعيم فى غيرهم سمى باسمه وقال الآخر

فقلت اطعمى عميرا تمرا * فكان تمرى كهرة (٣) وزبرا

والتمر لا يكون كهرة وزبرا ولكنه على ذا وقال الله عز وجل ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وليس فى الجنة بكرة ولا عشى ولكن على مقدار البكر والعشيات وعلى هذا قول الله عز وجل وقال الذين فى النار لخزنة جهنم والخزنة الحفظة وجهنم لا يضيع منها شىء فيحفظ ولا يختار دخولها انسان فيمنع منها ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به قوله ممساها يعنى مساءها ومغناها موضعها الذى أقيم فيه والمغانى المنازل التى كان بها أهلوها وطفقت يعنى ظلت تبكى على عراصها عيناها يقال لكل جوبة (٤) منفتقة ليس فيها بناء عرصة عيناها ههنا السحاب وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشىء باسم غيره اذا قام مقامه وقال أبو عمرو بن العلاء اجتمع ثلاثة من الرواة فقال لهم قائل أى نصف بيت شعر أحكم وأوجز فقال أحدهم قول حميد بن ثور الهلالى

* وحسبك داء ان تصح وتسلما *

ولعل حميدا أخذه عن النمر بن تولب قال النمر

يحب الفتى طول السلامة والغنى * فكيف ترى طول السلامة يفعل

وقال أبو العتاهية * أسرع فى نقض امرئ تمامه * ذهب الى كلام الاول كل ما أقام شخص وكل ما ازداد نقص ولو كان الناس يميتهم الداء اذا لاعاشهم الدواء وقال الثانى من الرواة الثلاثة بل قول أبى خراش الهذلى

* توكل بالادنى وان جل ما يمضى *

وقال الثالث بل قول أبى ذؤيب الهذلى

* واذا ترد الى قليل تقنع *

فقال قائل هذا من مفاخر هذيل أن يكون ثلاثة من الرواة لم يصيبوا فى جميع اشعار العرب الا ثلاثة أنصاف اثنان منها لهذيل وحدها فقيل لهذا القائل انما كان الشرط ان يأتوا بثلاثة انصاف مستغنيات بانفسها والنصف الذى لابى ذؤيب

---

(١) فت فى ساعده اعياه (٢) هو بضمتين ما هيئ للضيف أن ينزل عليه (٣) القهر والانتهار والزبر أيضا الانتهار والمنع (٤) فضاء أملس بين أرضين

لا يستغنى بنفسه ولا يفهم السامع معنى هذا النصف حتى يكون موصولا بالنصف الاول لانك اذا أنشدت رجلا لم يسمع بالنصف الاول وسمع واذا ترد الى قليل تقنع *قال ومن هذه التى ترد الى قليل فتقنع وليس المضمن كالمطلق وليس هذا النصف ممار واه هذا العالم وانما الرواية قوله * والدهر ليس بمعتب من يجزع* ومما مدحوا به الايجاز والكلام الذى كالوحى والاشارة قول أبى دواد بن جرير الايادى

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحى الملاحظ (١) خيفة الرقباء

فمدح كما ترى الاطالة فى موضعها والحذف فى موضعه ومما يدل على شغفهم وكلفهم وشدة حبهم لافهم والافهام قول الاسدى فى صفة كلام رجل نعت له موضعا من تلك السباسب التى لا امارة فيها باقل اللفظ وأوجزه فوصف ايجاز الناعت وسرعة فهم المنعوت له فقال

بضربة نعت لم تعد غير انى * عقول لاوصاف الرجال ذكورها (٢)

وهو كقولهم لابن عباس أنى لك هذا العلم قال قلب عقول ولسان سؤول وقد قال الراجز

(٣) ومهمهين فدفدين مرتين * جبتهما بالنعت لا بالنعتين

وقالوا فى التحذير من ميسم الشعر ومن شدة وقع اللسان ومن بقاء أثره على الممدوح والمهجو قال امرئ القيس بن حجر

ولو عن (٧) نثا غيره جاءنى * وجرح اللسان كجرح اليد

وقال طرفة بحسام سيفك أو لسانك * والكلام الاصيل كارغب الكلم

(قال وأنشدنى محمد بن زياد)

لحوت شماسا كما لحى العصى * سبالوان السب يدمى لدمى

من نفر كلهم نكس (٤) دنى * محامد الرذل (٥) مشاتيم السرى (٦)

مخابط العكم مواديع المطى * متارك الرفيق بالخرق النطى

(وأنشد محمد بن زياد)

تمنى أبو العفاق عندى هجمة * تسهل مأوى ليلها بالكلاكل

ولا عقل عندى غير طعن نوافذ * وضرب كاشداق الفصال الهوادل

وسب يود المرء لو مات قبله * كصدع الصفى فلقته بالمعاول

الهجمة القطعة من النوق فيها فحل والكلكل الصدر والفصال جمع فصيل والفصيل ولد الناقة اذا فصل عنها والهوادل العظام المشافر والعقل ههنا الدية والعاقلة أهل القاتل الادنون والابعدون والصفى جمع صفاة وهى الصخرة وقال طرفة

(١) اشارة العيون (٢) فعول من الذكر أى كثيره (٣) الصحراء التى لا علامة بها والمرت المفازة بلا نبات والجوب القطع (٤) هو بالكسر الضعيف أو المقصر عن غاية الكرم (٥) هو الدون أو الخسيس (٦) جمع سرى وهو ذو المروءة والشرف أى هؤلاء القوم تمدح رذيلهم فى رذالته وبذم شريفهم (٧) هكذا بالاصل وليراجع

رأيت القوافى يلجن موالجا * تضايق عنها ان تولجها الابر

وقال الاخطل حتى أقروا وهم منى على مضض (١) * والقول ينفذ ما لا تنفذ الابر

وقال العمانى اذهن فى الريط وفى الموادع * ترمى اليهن كبذر الزارع

الريط الثياب واحدها ريطة والريطة كل ملاءة لم تكن لفقين والحلة لا تكون الا ثوبين والموادع الثياب التى تصون غيرها واحدها ميدعة وقالوا الحرب أولها شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى وكتب نصر بن سيار الى ابن هبيرة أيام تحرك أمير السواد بخراسان

أرى خلل الرماد وميض جمر * فيوشك أن يكون له اضطرام

فان النار بالعودين تذكو (٢) * وان الحرب أولها كلام

فقلت من التعجب ليت شعرى * أأيقاظ أمية أم نيام

فان كانوا لحينهم نياما * فقل قوموا فقد حان القيام

وقال بعض المولدين اذا نلت العطية بعد مطل * فلا كانت وان كانت جزيله

وسقيا للعطية ثم سقيا * اذا سهلت وان كانت قليله

وللشعراء ألسنة حداد * على العورات موفية دليله

ومن عقل الكريم اذا اتقاهم * وداراهم مداراة جميله

اذا وضعوا مكاذبهم عليه * وان كذبوا فليس لهن حيله

وقالوا مذاكرة الرجال تلقيح لالبابها ومما قالوا فى صفة اللسان قول الاسدى أنشدنيها ابن الاعرابى

وأصبحت أعددت للنائبات * عرضا بريئا وعضبا صقيلا

ووقع لسان كحد السنان * ورمحا طويل القناة عسولا

وقال الاعشى أدافع عن أعراضكم وأعيركم * لسانا كمقراض الخفاجى ملحبا

الملحب القاطع وقال ابن هرمة

قل للذى ظل ذا لونين يأكلنى * لقد خلوت بلحم عادم البشم (٣)

اياك لا ألزمن لحييك من لجم * نكالا (٤) ينكل أفراسا من اللجم

انى امرؤ لا أصوغ الحلى تعمله * كفاى لكن لسانى صايغ الكلم

(قال الراجز)

انى بغيت الشعر وابتغانى * حتى وجدت الشعر فى مكانى * فى عيبة مفتاحها لسانى

وأنشد انى وان كان ازارى خلقا * وبرتكانى (٥) سملا قد أخلقا

* قد جعل الله لسانى مطلقا *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال أبو عثمان والعتابى حين زعم ان كل من أفهمك حاجته فهو بليغ لم يعن ان كل من

(١) هو وجع المصيبة (٢) أى يشتد لهبها (٣) هو بالتحريك التخمة (٤) هو نوع من اللجم (٥) لعله هو البرد وهو منقول من لغة أخرى

أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف من حقه انه محكوم له بالبلاغة كيف كان بعد ان نكون قد فهمنا عنه معنى كلام النبطي الذى قيل له لم اشتريت هذه الاتان قال أركبها وتلدلى وقد علمنا ان معناه كان صحيحا وقد فهمنا قول الشيخ الفارسى حين قال لاهل مجلسه مامن شر من دين وانه قال حين قيل له ولم ذاك يا أبا فلان قال من جرى يتعلقون وما نشك انه قد ذهب مذهبا وانه كما قال معنى قول أبى الجهير الخراسانى النخاس حين قال له الحجاج أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان قال شريكاتنا فى هوازها وشريكاتنا فى مداينها وكما تجىء تكون قال الحجاج ما تقول ويلك فقال بعض من قد كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك يقول شركاؤنا بالاهواز والمدائن يبعثون الينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها وقلت لخادم لى فى أى صناعة اسلموا هذا الغلام قال أصحاب سند نعال يريد فى أصحاب النعال السندية وكذلك قول الكاتب المغلاق للكاتب الذى دونه اكتب لى قل حطنى ويحنى منه فمن زعم ان البلاغة ان يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والاغلاق والابانة والملحون والمعرب كله سواء وكله بيانا وكيف يكون ذلك كله بيانا ولولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام لما عرفه ونحن لم نفهم عنه الا للنقص الذى فينا وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معانى هؤلاء بكلامهم كما لا يعرفون رطانة الروم والصقالبة وان كان هذا الاسم انما يستحقونه بانا نفهم عنهم كثيرا من حوائجهم فنحن قد نفهم بحمحمة الفرس كثيرا من حاجاته ونفهم بضغاء(١) السنور كثيرا من ارادته وكذلك الكلب والحمار والصبى الرضيع وانما عنى العتابى افهامك العرب حاجتك على مجرى كلام الفصحاء وأصحاب هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منا

مكره أخاك لا بطل * (واذا عز أخاك فهن)

ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم ذهبت الى أبو زيد ورأيت أبى عمرو ومتى وجد النحويون اعرابيا يفهم هذا وأشباهه بهرجوه ولم يسمعوا منه لان ذلك يدل على طول اقامته فى الدار التى تفسد اللغة وتنقص البيان لان تلك اللغة انما انقادت واستوت واطردت وتكاملت بالخصال التى اجتمعت لها فى تلك الجزيرة وفى تلك الجيرة ولفقد الخطأ من جميع الامم ولقد كان بين يزيد بن كثوة يوم قدم علينا البصرة و بينه يوم مات بون بعيد على انه قد كان وضع منزله فى آخر موضع الفصاحة وأول موضع العجمة وكان لا ينفك من رواة ومذاكرين وزعم أصحابنا البصريون عن أبى عمرو بن العلاء انه قال لم أر قرويين أفصح من الحسن والحجاج وكان زعم والا يبرئهما من اللحن وزعم أبو العاصى انه لم ير قرويا قط لا يلحن فى حديثه وفيما يجرى بينه و بين الناس الا ما تفقده من أبى زيد النحوى ومن أبى سعيد المعلم وقد روى أصحابنا ان رجلا من البلديين قال لاعرابى كيف أهلك قالها بكسر اللام قال صلبا لانه

(١) بغا السنور بغوا وضغا صاح

اجابه

أجابه على فهمه ولم يعلم انه أراد المسئلة عن أهله وعياله وسمعت ابن بشير وقال له المفضل العنبرى انى عثرت البارحة بكتاب وقد التقطته وهو عندى وقد ذكروا ان فيه شعرا فان أردته وهبته لك قال ابن بشير أريده ان كان مقيدا قال والله ما أدرى أكان مقيدا أو مغلولا ولو عرف التقييد لم يلتفت الى روايته وحكى الكسائى انه قال لغلام بالبادية من خلقك وجزم القاف فلم يدر ما قال ولم يجبه فرد عليه السؤال فقال الغلام لعلك تريد من خلقك وكان بعض الاعراب اذا سمع رجلا يقول نعم فى الجواب قال نعم وشاء لان لغته نعم وقيل لعمر بن لجاء قل انا من المجرمون منتقمين قال انا من المجرمين منتقمون وأنشد الكسائى كلاما دار بينه و بين بعض فتيان البادية فقال

عجبا ما عجب أعجبنى * من غلام حكمى أصلا * قلت هل أحسست ركبا نزلوا
حضنا(١) مادونه قال هلا * قلت بين ماهلا هل نزلوا * قال حوبا(٢) ثم ولى عجلا
لست أدرى عندها ما قال لى * انعم ما قال لى أم قال لا * تلك منه لغة تعجبنى
* زادت القلب خبالا خبلا *

قال أبو الحسن قال مولى زياد لزياد اهدوا لنا همار وحش قال أى شئ تقول ويلك قال اهدوا لنا ايرا يريد اهدوا لنا عيرا قال زياد ويلك الاول خير وقال الشاعر يذكر جارية له لكناء

أول ما أسمع منها فى السحر * تذكيرها الانثى وتأنيث الذكر
* والسوأة(٣) السوآء فى ذكر القمر *

فزياد قد فهم عن جاريته ولكنهما لم يفهما عنهما من افهامهما لهما ولكنهما لما طال مقامهما فى الموضع الذى يكثر فيه سماعهما لهذا الضرب صارا يفهمان هذا الضرب من الكلام

﴿ذكر ما قالوا فى مديح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنثور وما جاء فى الاثر وصح به الخبر﴾

قال الشاعر

أرى الناس فى الاخلاق أهل تخالق * وأخبارهم شتى فعرف ومنكر
قريبا تدانيهم اذا ما رأيتهم * ومختلفا ما بينهم حين تخبر
فلا تحمدن الدهر ظاهر صفحة(٤) * من المرء مالم تبل ما ليس يظهر
فما المرء الا الاصغران لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصور
وما الزين فى ثوب تراه وانما * يزين الفتى مخبوره حين يخبر
فان طرة راقتك منهم فربما * أمر مذاق العود والعود أخضر

(وقال سويد بن أبى كاهل فى ذلك)

ودعتنى برقاها انها * تنزل الاعصم(٥) من رأس اليفع(٦)

(١) هو بالكسر مادون الابط الى الكشح أو الصدر وجانب الشئ وناحيته (٢) الحوب وسط الدار والدابة (٣) هى الفرج والفاحشة والخلة القبيحة كالسوآء (٤) هى بشرة الجلد من الانسان (٥) هو الغراب الاحمر المنقار والرجلين (٦) واليفع الجبل

تسمع الحداث قولا حسنا * لو أرادوا غيره لم يستطع
ولسانا صيرفيا (١) صارما * كحسام السيف ما مس قطع

وقال جرير
وليس لسيفي في العظام بقية * ولا السيف أشوى وقعة من لسانيا

وقال الآخر
وجرح السيف تدمله فيبرى * ويبقى الدهر ما جرح اللسان

(وقال الآخر)

أباضبيعة لا تعجل بسيئة * الى ابن عمك واذكره باحسان
اني وان كنت أثوابي ملفقة * ليست بخز ولا من نسج كتان
فان في المجد همات وفي لغتي * فصاحة ولساني غير لحان

وفيما مدح به الاعرابي اذا كان أديبا أنشدني ابن أبي خزيمة واسمه أسود

ألا زعمت عفراء بالشام انني * غلام جوار لا غلام حروب
واني لاهدى بالاوانس كالدما (٢) * واني باطراف القنا للعوب
واني على ما كان من عنجهيتي (٣) * ولوثة (٤) اعرابيتي لاديب

(وقال ابن هرمة)

لله درك من فتى فجعت به * يوم البقيع حوادث الايام
هش اذا نزل الوفود ببابه * سهل الحجاب مؤدب الخدام
فاذا رأيت شقيقه وصديقه * لم تدر أيهما أخو الارحام

(وقال كعب بن سعيد الغنوى)

حبيب الى الزوار غشيان بيته * جميل المحاشب وهو أديب
اذا ما تراءاه الرجال تحفظوا * فلم تنطق العوراء وهو قريب

وقال الحارثي
وتعلم اني ماجد وتر وعها * بقية اعرابية في مهاجر

وقال الآخر
وان امرأ في الناس يعطى ظلامة * ويمنع نصف الحق منه الواضع
أ ما الموت يخشى انكل الله أمه * أم العيش يرجو نفعه وهو ضائع
ويطعم ما لم يندفع في مريئه (٥) * ويمسح أعلى بطنه وهو جائع
وان العقول فاعلمن أسنة * حداد النواحي أرهفتها المواقع

ويقولون كان لسانه لسان ثور وحدثني من سمع اعرابيا مدح رجلا برقة اللسان فقال كان والله لسانه أرق من ورقة وألين من سرقة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت ما بقي من لسانك فاخرج لسانه حتى ضرب بطرفه ارنبته ثم قال والله ما يسرني به مقول من معد والله ان لو وضعته على صخر لفلقه أو على شعر لحلقه قال وسمعت اعرابيا يصف لسان رجل فقال كان يشول بلسانه شولان البروق ويتخلل به تخلل الحية وأظن هذا الاعرابي أبا وجيه العكلي يشول يرفع البروق الناقة اذا طلبت الفحل فانها حينئذ ترفع ذنبها

(١) هو نقاد العملة والقصد ان لسانها ينقد الالفاظ (٢) هي جمع دمية وهي صورة العاج (٣) هي الكبر والعظمة (٤) هي بالضم المناسب منها هنا الهيج والخفة (٥) هو الحلقوم وهو مجرى الطعام والشراب

واغما

واغما سمي شوال شوالا لان النوق شالت باذنابها فيه فان قال قائل قد يتفق ان يكون شوال في وقت لا تشول الناقة بذنبها فيه فلم يبق هذا الاسم عليه وقد ينتقل ماله لزم عنه قيل له انما جعل هذا الاسم له سمة حيث اتفق ان شالت النوق باذنابها فيه فبقي عليه كالسمة وكذلك رمضان انما سمي لرمض الماء فيه في شدة الحر فبقي عليه في البرد وكذلك ربيع انما سمي لرعيهم الربيع فيه وان كان قد يتفق هذا الاسم في وقت البرد والحر قال ووصف اعرابي رجلا فقال أتيناه فاخرج لسانه كانه مخراق (١) لاعب قال وقال العباس بن عبد المطلب للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله فيم الجمال قال في اللسان قال وكان مجاشع بن دارم خطيبا سليطا وكان نهشل بكيئا منزورا فلما اخرجا من عند بعض الملوك عزله مجاشع في تركه الكلام فقال له نهشل اني والله لا أحسن تكذابك ولا تأثامك تشول بلسانك شولان البروق وقالوا علا جميع الخلق مرتبة الملائكة ثم الانس ثم الجن وانما صار لهؤلاء المزية على جميع الخلق بالعقل وبالاستطاعة على التصرف وبالمنطق قال وقال خالد بن صفوان ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة قال وقال رجل لخالد بن صفوان مالي اذا رأيتكم تتذاكرون الاخبار وتتدارسون الآثار وتتناشدون الاشعار وقع على النوم قال لانك حمار في مسلاخ (٢) انسان وقال صاحب المنطق حد الانسان الحي الناطق الميت

وقال الاعور الشني
وكاين ترى من صامت لك معجب * زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم تبق الا صورة اللحم والدم

ولما دخل ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر زرى عليه للذي رأى من دمامته وقصره وقلته فقال النعمان تسمع بالمعيدي لا ان تراه فقال أبيت اللعن ان الرجال لا تكال بالقفزان (٣) ولا توزن بميزان وليست بمسوك يستقى بها وانما المرء باصغريه بقلبه ولسانه ان صال صال بجنان وان قال قال ببيان واليمانية تجعل هذا الصقعب النهدي فان كان ذلك كذلك فقد أقروا أن نهدا من معد وكان يقال عقل المرء مدفون بلسانه

﴿باب في ذكر اللسان﴾

أبو الحسن قال قال الحسن لسان العاقل من وراء قلبه فاذا أراد الكلام تفكر فان كان له قال وان كان عليه سكت وقلب الجاهل من وراء لسانه فان هم بالكلام تكلم به له أو عليه قال أبو عبيدة قال أبو الوجيه حدثني الفرزدق قال كنا في ضيافة معاوية بن أبي سفيان ومعنا كعب بن جعيل التغلبي فقال له يزيد ان ابن حسان يريد عبد الرحمن قد فضحنا فاهج الانصار قال أرادي أنت الى الاشراك بعد الاسلام لا أهجو قوما نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني أدلك على غلام منا نصراني كان لسانه لسان ثور يعني الاخطل وقال سعد بن

(١) يقال مخراق حرب اذا كان صاحب حروب فمعنى مخراق لاعب كانه آلة للعبه (٢) هي جلد الانسان
(٣) هي جمع قفيز مكيال معلوم

أبي وقاص لعمر ابنه حين نطق مع القوم فبذهم وقد كانوا كلموه في الرضا عنه قال هذا الذي أغضبني عليه اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون قوم يأكلون الدنيا بألسنتهم كما تلحس الارض البقرة بلسانها قال وقال معاوية لعمرو بن العاص يا عمرو ان أهل العراق قد أكرهوا عليا على أبي موسى وانا وأهل الشام راضون بك وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأي فاجد الحز (١) وطبق المفصل ولا تلقه برأيك كله والعجب من قول ابن الزبير للاعراب سلاحكم رث وحديثكم غث وكيف يكون هذا وقد ذكر وانه كان أحسن الناس حديثا وان أبا نضرة وعبد الله بن أبي بكر انما كان يحكيانه فلا أدري الا أن يكون حسن حديثه هو الذي ألقى الحسد بينه وبين كل حسن الحديث وقد ذكر وان خالد ابن صفوان تكلم في بعض الامر فأجابه رجل من أهل المدينة بكلام لم يظن خالد ان ذلك الكلام كان عنده فلما طال بهما المجلس كان خالدا عرض له ببعض الامر فقال المدني يا أبا صفوان مالي من ذنب الا اتفاق الصناعتين ذكر ذلك الاصمعي قال فضال الازرق قال رجل من بني منقر تكلم خالد بن صفوان في صلح بكلام لم يسمع الناس قبله مثله واذا اعرابي في بت (٢) ما في رجليه حذاء فأجابه بكلام وددت والله اني كنت مت وان ذلك لم يكن فلما رأى خالد ما نزل بي قال كيف نجاريهم وانما نحكيهم وكيف نسابقهم وانما نجري على ما سبق الينا من اعراقهم وليفرج روعك فانه من مقاعس ومقاعس لك فقلت يا أبا صفوان والله ما ألومك على الاولى ولا أدع حمدك على الاخرى قال أبو اليقظان قال عمر بن عبد العزيز ما كلمني رجل من بني أسد الا تمنيت أن يمد له في حجته حتى يكثر كلامه فاسمعه قال وقال يونس ليس في بني أسد الا خطيب أو شاعر أو قائف أو زاجر أو كاهن أو فارس قال وليس في هذيل الا شاعر أو رام أو شديد العدو والترجمان بن هزيم بن عدي بن أبي طعمة قال دعي رقبة بن مصقلة أو كرب بن رقبة الى مجلس ليتكلم فيه فرأى مكانه اعرابيا في شملة فانكر موضعه فسأل الذي عن يمينه عنه فخبره انه الذي أعدوه لجوابه فنهض مسرعا لا يلوي على شئ كراهة أن يجمع بين الديباجتين فيتضع عند الجميع وقال خلاد بن يزيد لم يكن أحد بعد أبي نضرة أحسن حديثا من مسلم بن قتيبة قال وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول احذفوا الحديث كما يحذفه مسلم بن قتيبة ويزعمون انه لم ير واحد ناقط صاحب آثار كان أجود حذفا وأحسن اختصارا للحديث من سفيان بن عيينة سألوه مرة عن قول طاوس في ذكاة الجراد فقال ابنه عنه ذكاته اخذه *(وباب آخر)* وكانوا يمدحون شدة العارضة (٣) وقوة المنة وظهور الحجة وثبات الجنان وكثرة الريق والعلو على الخصم ويهجون بخلاف ذلك قال الشاعر

طباقاء لم يشهد خصوما ولم يعش * حميدا ولم يشهد حلالا ولا عطرا

(١) هو القطع وقوله طبق المفصل يعني أصاب مواقع الغرض (٢) هو ثوب غليظ (٣) هي البيان واللسن أو الجلد والصرامة

قال

قال أبو زبيد الطائي

وخطيب اذا تمعرت الاو * جه يوما في مأقط مشهود طباقاء

يقال للبعير اذا لم يحسن الضراب جمل عياياء وجمل طباقاء وهو ههنا الرجل الذي لا يتجه للحجة الحلال الجماعات ويقال حي حلال اذا كانوا متجاورين مقيمين والعطر ههنا الحرس المأقط الموضع الضيق والمأقط الموضع الذي يقتتل فيه وقال نافع بن خليفة الغنوي

وخصم لدى باب الأمير كأنهم * قروم فشا فيها الزوائر والهدر

القروم الجمال المصاعب الزوائر الذين يزأرون الهدر صوته عند هيجه ويقال له الهدير

دلفت لهم دون المنى بعلمة * من الدر (١) في أعقاب درتها شذر (٢)

دلفت دنوت

اذا القوم قالوا ادن منها وجدتها * مطبقة يهماء ليس لها خصر

قوله ادن منها أي قللها واختصرها وجدتها مطبقة أي طبقتهم بالحجة اليهماء الأرض التي لا يهتدى فيها الطريق ويهماء ههنا يعني التي لا يهتدى اليها ويضل الخصوم عندها والأيهم من الرجال الحائر الذي لا يهتدي لشئ وارض يهماء اذا لم يكن فيها علامة وقال الاسلع بن قطاف الطهوي

فداء لقومي كل معشر جازم (٣) * طريد ومخذول بما جر (٤) مسلم

هم أفحموا الخصم الذي يستقيدني * وهم فصموا حجلي وهم حقنوا دمي

بأيد يفرجن المضيق وألسن * سلاط وجمع ذي زهاء (٥) عرمرم

اذا شئت لم تعدم لدى الباب منهم * جميل المحيا واضحا غير توأم

التوأمان الاخوان المولودان في بطن وقال التميمي في ذلك

أما رأيت الالسن السلاطا * والجاه والاقدام والنشاطا * ان الندى حيث ترى الضغاطا

ذهب في البيت الأخير الى قول الشاعر

يسقط الطير حيث ينتثر الحب * وتغشى منازل الكرماء

والى قول الآخر

يرفض (٦) عن بيت الفقير ضيوفه * وترى الغني يهدى لك الزوارا

﴿وأنشد في المعنى الاول﴾

وخطيب قوم قدموه أمامهم * ثقة به متخمط تياح

المتخمط المتكبر مع غضب التياح والمتيح الذي يعرض في كل شئ ويدخل فيما لا يعنيه

جاوبت خطبته فظل كأنه * لما خطبت مملح بملاح

قوله مملح بملاح أي منقبض كأنه ملح من الملح وأنشد أيضا

أرقت لضوء برق في نشاص * تلألأ في مملاة غصاص

(١) الدر اللبن كالدرة بالكسر وتطلق الدرة أيضا على المصدر (٢) قطع الذهب تلقط من معدنه بلا اذابة أو خرز يفصل بها (٣) يقال جزم عن الامر جبن عنه وعجز وقطع (٤) هو مصدر ميمي يصلح للمكان والحدث من الاجارة بمعنى اكتساب الاجر ولعل معنى هذا البيت انه يدعو لقومه بان يكون فداءهم كل معشر شخص جزم وقطع وخذل عندما يكتسب اجرا في مسلم بسبب كون قومه لا ينصرونه حتى في الحق بخلاف قومي فهم ينصرونني فيما اقصه (٥) هو المنظر الحسن والعرمرم الجيش الكثير (٦) أي تتبدد وتتفرق

النشاص السحاب الابيض المرتفع بعضه فوق بعض وليس بمنبسط والتلالؤ ظهور البرق في سرعة مملاة بالماء غصاص قد غصت بالماء

لواقح دلح بالماء سحم * تمج الغيث من خلل الخصاص

اللواقح التى قد لقحت من الريح والدلح الدانية الظاهر المثقلة بالماء سحم سود الخصاص ههنا خلل السحاب سل الخطباء هل سبحوا كسبحى * بحور القول أو غاصوا مغاصى

لسانى بالنثير وبالقوافى * وبالاسجاع أمهر فى الغواص

النثير الكلام المنثور والقوافى خواتم أبيات الشعر الاسجاع الكلام المزدوج على غير وزن

من الحوت الذى فى لج بحر * يجيد الغوص فى لجج المغاص

لعمرك اننى لاعف نفسى * وأستر بالتكرم من خصاص

وأنشد لرجل من بنى ناشب بن سليمان بن سلامة بن سعد بن مالك بن ثعلبة

لنا قمر السماء وكل نجم * يضيء لنا اذا القمران غارا

ومن يفخر بغير أبى نزار * فليس بأول الخطباء جارا

وأنشد للاقرع انى امرؤ(١) لا أقيل الخصم عثرته * عند الامير اذا ما خصمه طلعا

بنير وجهى اذا جد الخصام بنا * ووجه خصمى تراه الدهر ملتمعا

وقال آخر تراه بنصرى فى الحفيظة(٢) واثقا * وان صد عنى العين منه وحاجبه

وان خطرت أيدى الكماة وجدتنى * نصورا اذا ما استيبس الريق عاصبه

عاصبه يابسه يعتصم به حتى يتم كلامه الكماة جمع كمى والكمى الرجل المتكمى وهو المتكمى بالسلاح يعنى المتكفر به المستتر ويقال كمى الرجل شهادته يكميها اذا كتمها وسترها وقال ابن مجروذ كر الريق والاعتصام

هذا الثناء واجدر أن اصاحبه * وقد يدوم(٣) ريق الطامع الآمل

وقال الزبير بن العوام وهو يرقص ابنه عروة

أبيض من آل أبى عتيق * مبارك من ولد الصديق * ألذه كما ألذ ريقى

وقالت امرأة من بنى أسد

الا بكر(٤) الناعى بخير بنى أسد * بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد(٥)

فمن كان يعيى بالجواب فانه * أبو معقل لا حجر عنه ولا صدد

أثاروا(٦) بصحراء الثوية قبره * وما كنت أخشى ان تناءى به البلد

تتناءى تتباعد الثوية موضع يقال له صحراء الثوية ومن قال الثوية(٧) فهى تصغير الثوية

(١) هو بمعنى لا أغفرها له ولعل معنى قوله اذا ما خصمه طلعا أى ظهرت الحجة عليه فالخصم بمعنى غلبته وقوله ملتمعا لعل صوابه ممتقعا أى متغيرا بصفرة الخجل اذ هو الذى يقابل انارة وجهه (٢) هو بمعنى شدة الغضب أى هو عند تغيره وصده قائم بتأييدى (٣) ينظر فى وزنه (٤) تى فى أول النهار والناعى من يخبر بالموت (٥) هو الذى يقصد فى الحوائج والمهمات (٦) هو من الاثارة وهى نشر التراب (٧) أى بالتصغير وقوله فهى تصغير الثوية أى بلا تصغير

وقال

وقال اوس بن حجر فى فضالة بن كلدة

أبا دليجة من يوصى(١) بارملة * أم من لاشعث ذى هدمين طملال

هدمين ثوبين خلقين يقال ثوب اهدام اذا كان خلقا والطملال الفقير

أم من يكون خطيب القوم ان حفلوا(٢) * لدى الملوك أولى كيد وأقوال

وقال أيضا فى فضالة بن كلدة ألهفا على حسن آلائه * على الجائر الحى والحارب

ورقبته حتمات الملوك * بين السرادق والحاجب

ورقبته انتظاره اذن الملوك وجعله بين السرادق والحاجب ليدل على مكانته من الملك

ويكفى المقالة أهل الرجا * ل غير معيب ولا عائب وأنشد أيضا

وخصم غضاب ينغضون رؤسهم * أولى قدم فى الشغب(٣) صهب(٤) سبالها

ضربت لهم ابط الشمال فاصبحت * يردع واة آخرين نكالها

ابط الشمال يعنى الفؤاد لانه يكون فى تلك الناحية وقال شثيم بن خويلد

وقلت لسيدنا ياحليم * انك لم تأس أسوا رفيقا

أعنت عديا على شأوها * تعادى فريقا وتبقى فريقا

زجرت بها ليلة كلها * فجئت بها مؤيدا خنفقيقا

تأسو اتداوى اسوء واسى مصدران والآسى الطبيب ومؤيد داهية خنفقيق داهية ايضا الشأو الغلوة لركض الفرس وأنشد لآدم مولى بلعنبر يقولها لابن له

(٥) يا بأبى أنت ويافوق بأب * يا بأبى خصيك من خصى وذب

أنت الحبيب وكذا قول المحب * جنبك الله معاريض الوصب

حتى تفيد وتداوى ذا الجرب * وذا الجنون من سعال وكلب(٦)

والحدب(٧) حتى يستقيم ذو الحدب * وتحمل الشاعر فى اليوم العصب

على مباهير كثيرات التعب * وان أراد جدل صعب أرب

خصومة تنقب أوساط الركب * أطلعته من رتب الى رتب

حتى ترى الابصار أمثال الشهب * يرمى بها أشوس ملحاح كلب

مجرب الشدات ميمون مذب

الوصب المرض والعصب الشديد يقال يوم عصب وعصيب وعصبصب اذا كان شديدا مباهير متاعيب قد علاهم البهر الاربـ يقال رجل أريب وأرب وله أرب اذا كان عاقلا أديبا حازما أطلعته يقال طلع الرجل اذا جمع فى مشيه الرتبة واحدة الرتب والرتبات وهى الدرج وهى ههنا الاشياء المختلفة أى تخرجه من شئ الى شئ الاشوس الذى ينظر بمؤخر

(١) أى من يعهد اليه باصلاح شأن الارملة وهى التى لا رجل يسعى عليها والاشعث المغبر الرأس (٢) حفل القوم اجتمعوا (٣) الشغب بالسكون وبحرك تهييج الشر (٤) شعر يخالط بياضه حمرة والسبال طرف الشارب ويقال للاعداء صهب السبال وان لم يكونوا كذلك (٥) لعل معناه يفديه بأبيه وكل من خصه وذب عنه يفديه أيضا بأبيه ويتأمل فى وزن هذه الابيات (٦) هو شبه جنون الكلاب المعترى للانسان من عضها يقال كلب كفرح اذا أصابه ذلك (٧) هو اعوجاج الظهر

عينه ملحاح ملح من الالحاح على الشئ كاب أى الذى قد كاب مذب أى يذب عن حريمه وعن نفسه وقالت ابنة وثيمة ترثى أباها وثيمة بن عثمان

الواهب المال التلا * دلناو يكفينا العظيمة * و يكون مدرهنا اذا * نزلت مجلحة عظيمة

التلاد القديم من المال والطارف المستفاد والمدره لسان القوم المتكلم عنهم مجلحة أى داهية مصممة

واحمر آفاق السما * ولم تقع فى الارض ديمه

احمر آفاق السماء اشتد البرد وقل المطر وكثر القحط ديمة واحدة الديم وهى الامطار الدائمة مع سكون

وتعذر الاكال حتى * كان أحمدها الهشيمة

تعذر تمنع الاكال جمع أكل وهو ما يؤكل الهشيمة ما يهشم من الشجر أى يكسر

لاثلة ترعى ولا * ابل ولا بقر مسيمة

الثلة ما بين الست الى العشرة من الغنم مسيمة راعية

الفيته مأوى الارا * مل والمدفعة(١) اليتيمة * والدافع الخصم الالد

اذا تفوضح فى الخصومة * بلسان لقمان بن عا * دوفصل خطبته الحكيمة

الجتهم بعد التدا * فع والتجاذب فى الحكومة

وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الاكبر والاصغر ولقيم بن لقمان فى النباهة والقدر وفى العلم والحكم وفى اللسان وفى الحلم وهذان غير لقمان الحكيم المذكور فى القرآن على ما يقول المفسرون ولارتفاع قدره وعظم شانه قال النمر بن تولب

لقيم بن لقمان من أخته * فكان ابن أخت له وابنما * ليالى حمق فاستحصنت عليه فغر بها مظلما * فغربها رجل محكم * فجاءت به رجلا محكما

وذلك ان أخت لقمان قالت لامرأة لقمان انى امرأة محمقة ولقمان رجل منجب محكم وأنا فى ليلة طهرى فهبى لى ليلتك ففعلت فباتت فى بيت امرأة لقمان فوقع عليها فأحبلها بلقيم فلذلك قال النمر بن تولب ما قال والمرأة اذا ولدت الحمقى فهى محمقة ولا يعلم ذلك حتى يرى ولد زوجها من غيرها أكياسا(٢) وقالت امرأة ذات بنات

وما أبالى ان أكون محمقه * اذا رأيت خصية معلقه

(وقال الآخر) ازرى بسعيك ان(٣) كنت امرأحمقا * من نسل ضاوية الاعراق محماق

ضاوية الاعراق أى ضعيفة الاعراق نحيفتها يقال رجل ضاوى وفيه ضاوية اذا كان نحيفا قليل الجسم وجاء فى الحديث اغتربوا لا تضووا أى لا يتزوج الرجل القرابة القريبة فيجىء ولده ضاويا والفعل منه ضوى يضوى ضوى والاعراق الاصول والمحماق التى عادتها أن تلد الحمقى ولبعضهم فى البنات قالت احدى القوابل

(١) لعلها المدفعة كمحسنة الملصقة بالدفعاء وهى الارض التى لا نبات بها (٢) جمع كيس وهو النبيه

(٣) هى ان المصدرية أى أضاع مساعيك كونك امرأ أحمق ومن نسل امرأة نحيفة الاعضاء ولعادتها ولادة الاحمق

أيا سحاب طرقى بخير * وطرقى بخصية وأير * ولا ترينا طرف البظير(١)

وقال آخر فى انجاب الامهات وهو يخاطب بنى اخوته

عفار يتاءلى واكل مالى * وحلما عن أناس آخرينا * فهلا غير عمكم ظلمتم اذا ما كنتم متظلمينا * فلو كنتم لكيسة(٢) أكاست * وكيس الام أكيس للبنينا وكانت لنا فزارة عم سوء * وكنت له كشر بنى الاخينا

ولبغض البنات هجر ابو حمزة الضبى خيمة امرأته وكان يقيل و يبيت عند جيران له حين ولدت امرأته بنتا فمر يوما بخبائها واذا هى ترقصها وتقول

مالأبى حمزة لا يأتينا * يظل فى البيت الذى يلينا * غضبان ان لا نلد البنينا تالله ما ذلك فى أيدينا * وانما نأخذ ما أعطينا * ونحن كالارض لزارعينا ننبت ما قد زرعوه فينا

قال فغدا الشيخ حتى ولج البيت فقبل رأس امرأته وابنتها وهذا الباب يقع فى كتاب الانسان من كتاب الحيوان وفى فصل ما بين الذكر والانثى تاما وليس هذا الباب مما يدخل فى باب البيان والتبيين ولكن قد يجرى السبب فيجرى معه بقدر ما يكون تنشيطا لقارئ الكتاب لان خروجه من الباب اذا طال لبعض العلم كان ذلك أروح على قلبه وأزيد فى نشاطه ان شاء الله وقد قال أول فى تعظيم شأن لقيم بن لقمان

قومى اصبحينى فاصبغ الفتى حجرا * لكن رهينة أحجار وأرماس

أصبحينى الصبوح شرب الغداة والغبوق شرب العشى الرمس القبر يقال رمست الميت أرمسه وأرمسه اذا دفنته

قومى اصبحينى فان الدهر ذو غير * أفنى لقيمان وافنى آل مرماس

اليوم خمر و يبدو فى غد خبر * والدهر من بين انعام وابآس

فاشرب على حدثان الدهر مرتفقا * لا يصحب الهم قرع السن(٣) بالكاس

وقال أبو الطمحان القينى فى ذكر لقمان

ان الزمان ولا تفنى عجائبه * فيه تقطع ألاف(٤) وأقران

أمست بنو القين أفراقا موزعة * كأنهم من بقايا حى لقمان

وقد ذكرت العرب هذه الامم البائدة والقرون السالفة ولبعضهم بقايا قليلة وهم أشلاء فى العرب متفرقون مغمورون مثل جرهم و جاسم ووبار وعملاق وأميم وطسم وجديس ولقمان والهس ماس وبنى الناصور وقيل ابن رعتر وذى جدن و يقال فى بنى الناصور أن أصلهم من الروم فاما ثمود فقد خبر الله عز وجل عنهم فقال وثمود فما أبقى

(١) هو تصغير بظر وهو ما يقطع من فرج المرأة (٢) أى عاقلة تأتى بالاكياس وهى ضد المحماق

(٣) أى لا يجتمع الهم مع شرب الكاس (٤) هو جمع الف بمعنى الصاحب

وقال فهل ترى لهم من باقية أنا أعجب من مسلم يصدق بالقرآن و يزعم ان فى قبائل العرب من بقايا ثمود وكان أبو عبيدة يتأول قوله وثمود فما أبقى ان ذلك انما وقع على الاكثر وعلى الجمهور الاكبر وهذا التأويل أخرجه من أبى عبيدة سوء الرأى فى القوم وليس له أن يجىء الى خبر عام مرسل غير مقيد وخبر مطلق غير مستثنى منه فيجعله خاصا كالمستثنى منه وأى شئ بقى لطاعن أو متأول بعد قوله فهل ترى لهم من باقية فكيف يقول ذلك اذا كنا نحن قد نرى منهم فى كل حى باقية معاذ الله من ذلك وروا ان الحجاج قال يوما على المنبر يزعمون انا من بقايا ثمود وقد قال الله تبارك وتعالى وثمود فما أبقى فأما الامم البائدة (١) من العجم مثل كنعان ويونان وأشباه ذلك فكثير ولكن العجم ليست لها عناية بحفظ شأن الاموات ولا الاحياء وقال المسيب بن علس فى ذكر لقمان

واليك أعملت المطية من * سهل العراق وأنت بالقفر
أنت الرئيس اذا هم نزلوا * وتوجهوا كالاسد والنمر
لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المنور ليلة القدر
ولانت أجود بالعطا * من الريان (٢) لما جاد بالقطر
ولانت أشجع من اسامة اذا * يقع الصراخ ولج فى الذعر (٣)
ولانت أبين حين تنطق من * لقمان لما عيي (٤) بالامر

وقال لبيد بن ربيعة الجعفرى

وأخلف قسا ليتنى ولواننى * وأعيى على لقمان حكم التدبر
فان تسألينا كيف نحن فاننا * عصافير من هذا الانام المسحر

المسحر الرئة والمسحر المعلل بالطعام والشراب والمسحر المخدوع كما قال امرؤ القيس

أرانا موضعين لامر غيب * ونسحر بالطعام وبالشراب

أى نعلل فكأنا نخدع ونسحر بالطعام وبالشراب وقال الفرزدق

لئن حومتى (٥) صانت معد حياضها * لقد كان لقمان بن عاد يهابها

وقال آخر

اذا مامات ميت من تميم * فسرك ان يعيش فجئ بزاد
بخبز أو بلحم أو بتمر * أو الشئ الملفف فى البجاد (٦)
تراه يطوف الآفاق حرصا * ليأكل رأس لقمان بن عاد

وقال افنون التغلبى

ولواننى كنت من عاد ومن ارم * ربيت فيهم ولقمان وذى جدن

﴿وقال آخر﴾

(١) هى الهالكة (٢) لعله من الرباب (٣) هو بالسكون الخوف وبالفتح التخويف وكصرد الامر المخوف (٤) عى بالامر وعيى كرضى لم يهتد لوجه مراده أو عجز عنه ولم يطق أحكامه (٥) حومة البحر والرمل والقتال وغيره معظمه أو أشد موضع فيه (٦) هو ككتاب كساء مخطط

مالذة العيش والفتى (١) * للدهر والدهر ذو فنون
أهلك طسما وقبل طسم * أهلك عادا وذا جدون
وأهل جاسم ومارب * بنوحى لقمان والتقون
واليسر للعسر والتغنى * للفقر والحى للمنون

قال وهم وان كانوا يحبون البيان والطلاقة والتحبير والبلاغة والتخلص والرشاقة فانهم كانوا يكرهون السلاطة والهذر (٢) والتكلف والاسهاب والاكثار لما فى ذلك من التزيد والمباهاة واتباع الهوى والمنافسة فى العلو والقدر وكانوا يكرهون الفضول فى البلاغة لان ذلك يدعو الى السلاطة والسلاطة تدعو الى البذاء وكل مراء فى الارض فانما هو من نتاج الفضول ومن حصل كلامه وميزه وحاسب نفسه وخاف الاثم والذم أشفق من الضراوة وسوء العادة وخاف ثمرة العجب وهجنة القبح وما فى حب السمعة من الفتنة وما فى الرياء من مجانبة الاخلاص ولقد دعا عبادة بن الصامت بالطعام بكلام ظن انه ترك فيه المحاسبة فقال أوس بن شداد انه قد ترك فيه المحاسبة واسترجع ثم قال ما تكلمت بكلمة منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مزموزة (٣) مخطومة قال ورووا عن حماد بن سلمة عن ابراهيم قال انما يهلك الناس فى فضول الكلام وفضول المال وقال دع المعاذر فان أكثرها مفاجر وانما صارت المعاذر كذلك لانها داعية الى التخلص بكل شئ وقال سلام بن مطيع قال قال لى أيوب اياك وحفظ الحديث خوفا عليه من العجب وقال ابراهيم النخعى دع الاعتذار فانه يخالط الكذب قالوا ونظر شاب وهو فى دار ابن سيرين الى فرش فى داره فقال ما بال تلك الآجرة أرفع من تلك الآجرة الاخرى فقال ابن سيرين يا ابن اخى ان فضول النظر يدعو الى فضول القول وزعم ابراهيم بن السندى قال أخبرنى من سمع عيسى بن على يقول فضول النظر من فضول الخواطر وفضول النظر يدعو الى فضول القول وفضول القول يدعو الى فضول العمل ومن تعود فضول الكلام ثم تدارك استصلاح لسانه خرج من استكراه القول وان ابطأ اخرجه ابطاؤه الى أقبح من الفضول قال أبو عمرو بن العلاء انكح ضرار بن عمرو الضبى ابنته معبد ابن زرارة فلما أخرجها اليه قال لها يا بنية امسكى عليك الفضلين قالت وما الفضلان قال فضل الغلمة (٤) وفضل الكلام وضرار بن عمرو هو الذى قال من سره بنوه ساءته نفسه وهو الذى لما قال له المنذر كيف تخلصت يوم كذا وكذا وما الذى نجاك قال تأخير الاجل واكراهى نفسى على المق الطوال المقاء المرأة الطويلة والمق جماعة النساء الطوال والمق أيضا الخيل الطوال وكان اخوته قد استشالوه حتى ركب فرسه ورفع عقيرته بعكاظ فقال الان خير (٥) حائل أم ألا فزوجوا الامهات وذلك انه صرع

(١) أى مملوك للدهر وتحت تصرفاته (٢) هو بالتحريك الكثير الردىء (٣) لعله مزمومة أى لها زمام تنقاد به بمعنى ان كلامه تحت قياده كالجمل اذا كان مزموما مخطوما (٤) غلم كفرح غلما وغلمة بالضم غلب شهوة (٥) هى التى غير حامل

بين القنا فانثل عليه اخوته لامه حتى أنقذوه

﴿باب الصمت﴾

قال وكان اعرابي يجالس الشعبي يطيل الصمت فسئل عن طول صمته فقال أسمع فأعلم واسكت فاسلم وقالوا لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب وقالوا مقتل المرء بين لحييه وفكيه وأخذ أبو بكر الصديق رضي الله عنه بطرف لسانه وقال هذا الذي أوردني الموارد وقالوا ليس شئ أحق بطول سجن من لسان وقالوا اللسان سبع عقور وقال النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد ألسنتهم وقال ابن الاعرابي عن بعض أشياخه تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فخطل (١) في كلامه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أعطى العبد شرا من طلاقة اللسان وقال العايشي وخالد بن خداش حدثنا مهدي بن ميمون عن غيلان بن جرير عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد فقلنا يا رسول الله أنت سيدنا وأنت أطولنا علينا (٢) طولا وأنت (٣) الجفنة الغراء فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستفزنكم الشيطان فانما أنا عبد الله ورسوله قال وقال خالد بن عبد الله القسري لعمر بن عبد العزيز رحمه الله من كانت الخلافة زانته فقد زينتها ومن شرفته فقد شرفتها فانت كما قال الشاعر

وتزيدين أطيب الطيب طيبا * ان تمسيه أين مثلك أينا
واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

قال عمر ان صاحبكم أعطى مقولا ولم يعط معقولا وقال الشاعر

لسانك معسول (٤) ونفسك شحة * ودون الثريا من صديقك مالكا

وأخبرنا باسناده ان ناسا قالوا لابن عمر أدع الله لنا بدعوات فقال اللهم ارحمنا وعافنا وارزقنا قالوا لو زدتنا يا أبا عبد الرحيم قال نعوذ بالله من الاسهاب وقال أبو الاسود الدؤلي في ذكر الاسهاب يقولها في الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة والحرث هو القباع وكان خطيبا من وجوه قريش ورجالهم وانما سمى القباع لانه أتى بمكتل (٥) لاهل المدينة فقال ان هذا المكتل لقباع فسمى به والقباع الواسع الرأس القصير وقال الفرزدق لجرير

وقبلك ما أعييت (٦) كاسر عينه * زيادا فلم تقدر على حبائله
فأقسمت لا آتيه تسعين حجة * ولو كسرت عنق القباع وكاهله

وقال أبو الاسود أمير المؤمنين جزيت خيرا * ارحنا من قباع بني المغيرة

(١) خطل كفرح تكلم بكلام فاسد أو بسرعة (٢) هو بالفتح الفضل والقدرة والغنى والسعة (٣) هي القصعة التي تعد للثريد (٤) يقال عسل الطعام اذا خلطه بالعسل أي لسانك يعطي قولا حسنا ولكن نفسك في غاية الشح حتى ان مالك أبعد من نجم الثريا بالصديقك فضلا عن غيره (٥) هو كمنبر زنبيل يسع خمسة عشر صاعا (٦) لعله قد أعييت اذا القصد نسبة نفسه بالعزة حتى امتنع من زياد ولم يقدر عليه

بلوناه فلمناه فأعيى * علينا ما يمر (١) لنا هديره (٢)
على ان الفتى نكحأ كول * ومسهاب مذاهبه كثيرة

(وقال الشاعر) اياك اياك المراء فانه * الى الشر دعاء وللصرم جالب

(وقال أبو العتاهية) والصمت أجمل بالفتى * من منطق في غير حينه
كل امرئ في نفسه * أعلى وأشرف من قرينه

وكان سهيل بن هرون يقول سياسة البلاغة أشد من البلاغة كما ان التوقي على الدواء أشد من الدواء وكانوا يأمرون بالتبيين والتثبت وبالتحرز من زال الكلام ومن زال الرأي ومن الرأي الدبري والرأي الدبري هو الذي يعرض من الصواب بعد مضي الرأي الاول وفوت استدراكه وكانوا يأمرون بالتحلم والتعلم وبالتقدم في ذلك أشد التقدم وقال الاحنف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تفقهوا قبل ان تسودوا (٣) وكان يقول رضي الله عنه السودد مع السواد وأنشدوا لكثير عزة

وفي الحلم والاسلام للمرء وازع * وفي ترك طاعات الفؤاد المتيم
بصائر رشد للفتى مستبينة * واخلاق صدق علمها بالتعلم

الوازع الناهي والوزعة جمع وازع وهم الناهون الكافون وقال الافوه الاودي

اضحت قرينة قد تغير بشرها * وتجهمت (٤) بتحية القوم العدا
ألوت باصبعها وقالت انما * يكفيك مما لا ترى ما قد ترى

(وأنشد) ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * واذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك تعذر ان وعظت ويقتدى * بالقول منك ويقبل التعليم

قالوا وكان الاحنف أشد الناس سلطانا على نفسه قالوا وكان الحسن أترك الناس لما ينهى عنه

وقال الآخر لا تعذراني في الاساءة انه * شر الرجال من يسئ فيعذر

وقال الكميت بن زيد الاسدي ولم يقل بعذرة لهم * عند المعاذير انما حسبوا

(وانشد الاخوص بن محمد) قامت تخاصرني بقنتها * خودة أطر غادة بكر

تخاصرني آخذ بيدها وتأخذ بيدي والقنة المواضع الغليظة من الارض في صلابة الخود الحسنة الخلق نأطر تتثنى والغادة الناعمة اللينة

كل يرى ان الشباب له * في كل مبلغ لذة عذر

﴿وقال جرير في فوت الرأى﴾

ولا يتقون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الامر الا تدبرا

قال ومدح النابغة ناسا بخلاف هذه الصفة فقال

(١) لعله من أمره اذا صيره مرا (٢) هو الصوت واساءة الخلق (٣) أي تصيروا سادة لكم اتباع فيعسر عليكم التفقه والتعلم (٤) يقال تجهمه وتجهم له استقبله بوجه كريه

ولا يحسبون الخير لا شر (١) بعده * ولا يحسبون الشر ضربة لازب

اللازب واللازم واحد واللازب فى مكان آخر اليابس قال الله عز وجل من طين لازب واللازبات السنون الجدبة

وانشد هفا (٢) هفوة كانت من المرء بدعة (٣) * وما مثله عن مثلها بسليم

فان يك أخطا فى أخيكم فربما * أصاب التى فيها صلاح تميم

قال وقال قائل عند يزيد بن عمر بن هبيرة والله ما أتانى الحرث بن شريح بيوم خير قط قال فقال له الترجمان بن هزيم الا يكن أتى بيوم خير فقد أتى بيوم شر وذهب الترجمان بن هزيم الى مثل معنى قول الشاعر

وما خلقت بنو زمان الا * أخيرا بعد خلق الناس طرا

وما فعلت بنو زمان خيرا * ولا فعلت بنو زمان شرا

ومن هذا الجنس من الأحاديث وهو يدخل فى باب الملح قال الاصمعى وصلت بالعلم ونلت بالملح قال رجل مرة أبى الذى قاد الجيوش وفتح الفتوح وخرج على الملوك واغتصب المنابر فقال له رجل من القوم لا جرم لقد أسر وقتل وصلب قال فقال له المفتخر بأبيه دعنى من أسر أبى وقتله وصلبه أبوك أنت حدث نفسه بشئ من هذا قط قد سمعنا رواية القوم واحتجاجهم وأنا أوصيك أن لا تدع التماس البيان والتبيين ان ظننت أن لك فيهما طبيعة وانهما يناسبانك بعض المناسبة ويشاكلانك فى بعض المشاكلة ولا تهمل طبيعتك فيستولى الاهمال على قوة القريحة ويستبد بها سوء العادة وان كنت ذا بيان واحسست من نفسك بالنفوذ فى الخطابة والبلاغة وبقوة المنة يوم الحفل (٤) فلا تقصر فى التماس أعلاها سورة وارفعها فى البيان منزلة ولا يقطعنك تهيب الجهلاء وتخويف الجبناء ولا تصرفنك الروايات المعدولة عن وجوهها والاحاديث المتناولة على أقبح مخارجها وكيف تطيعهم بهذه الروايات المعدولة والاخبار المدخولة وبهذا الرأى الذى ابتدعوه من قبل أنفسهم وقد سمعت الله تبارك وتعالى ذكر داود النبى صلوات الله عليه فقال واذكر عبدنا داود ذا الايد انه أواب الى قوله وفصل الخطاب فجمع له بالحكمة البراعة فى العقل والرجاحة فى الحلم والاتساع فى العلم والصواب فى الحكم وجمع له بفصل الخطاب تفصيل المجمل وتلخيص الملتبس والبصر بالحز فى موضع الحز والحسم (٥) فى موضع الحسم وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم شعيبا النبى عليه السلام فقال كان شعيب خطيب الانبياء وذلك عند بعض ما حكاه الله عنه فى كتابه وحلاه لاسماع عباده فكيف تهاب منزلة الخطباء وداود عليه السلام

(١) بل هم متيقنون ان أعمالهم خيرهم بعرضة ضده وكذا عكسه فهم دائما فى حرص من تغير الاحوال (٢) هفا الرجل هفوة زل (٣) كل حدث فى الدين بعد الاكمال (٤) حفل القوم حفلا اجتمعوا (٥) حسمه من باب ضرب قطع العرق ثم كواه لئلا يسيل دمه

سلفك وشعيب امامك مع ما تلونا عليك فى صدر هذا الكتاب من القرآن الحكيم والآى الكريم وهذه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مدونة محفوظة ومجلدة مشهورة وهذه خطب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وقد كان لرسول الله شعراء ينافحون عنه وعن أصحابه بأمره وكان ثابت بن قيس بن الشماس الانصارى خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدفع ذلك احد فأما ما ذكرتم من الاسهاب والتكلف والخطل والتزيد فانما يخرج الى الاسهاب المتكلف والى الخطل المتزيد فأما أرباب الكلام ورؤساء أهل البيان والمطبوعون المعاودون وأصحاب التحصيل والمحاسبة والتوقى والثقة والذين يتكلمون فى صلاح ذات البين وفى اطفاء نائرة (١) أو فى حمالة (٢) أو على منبر جماعة أو فى عقد املاك (٣) بين مسلم ومسلمة فكيف يكون كلام هؤلاء يدعو الى السلاطة والمراء والى الهذر (٤) والبذاء والى النفج (٥) والرياء ولو كان هذا كما يقولون لكان على بن أبى طالب وعبد الله بن عباس رضى الله عنهما أكثر الناس فيما ذكرتم فلم خطب صعصعة ابن صوحان عند على بن أبى طالب وقد كان ينبغى للحسن البصرى أن يكون أحق التابعين بما ذكرتم قال الاصمعى قيل لسعيد بن المسيب ههنا قوم نساك يعيبون انشاد الشعر قال نسكوا نسكا (٦) عجميا وزعمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شعبتان من شعب النفاق البذاء والبيان وشعبتان من شعب الايمان الحياء والعى ونحن نعوذ بالله من العى ونعوذ بالله أن يكون القرآن يحث على البيان ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على العى ونعوذ بالله أن يجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين البذاء والبيان وانما وقع النهى على كل شئ جاوز المقدار ووقع اسم العى على كل شئ قصر عن المقدار فالعى مذموم والخطل مذموم ودين الله تبارك وتعالى بين المقصر والغالى وههنا روايات كثيرة مدخولة وأحاديث معلولة ورووا أن رجلا مدح الحياء عند الاحنف وان الاحنف قال ربما يعود ذلك ضعفا والخير لا يكون سببا للشر ولكنا نقول ان الحياء اسم لمقدار من المقادير ما زاد على ذلك المقدار فسمه ما أحببت وكذلك الجود اسم لمقدار من المقادير فالسرف اسم لما فضل عن ذلك المقدار وللحزم مقدار فالجبن اسم لما فضل عن ذلك المقدار وللاقتصاد مقدار فالبخل اسم لما خرج عن ذلك المقدار وللشجاعة مقدار فالتهور والحدب اسم لما جاوز ذلك المقدار وهذه الاحاديث ليست لعامتها أسانيد متصلة فان وجدتها متصلة لم تجدها محمودة وأكثرها جاءت مطلقة ليس لها حامل محمود ولا مذموم واذا كانت الكلمة حسنة استمتعنا بها على قدر ما فيها من الحسن وان أردت أن تتكلف هذه الصناعة وتنسب الى هذا الادب فقرضت قصيدة أو حبرت (٧) خطبة أو ألفت رسالة واياك أن تدعوك ثقتك بنفسك

(١) هى الفتنة التى تشتعل نارها (٢) هى ما يحمل من دراهم أو ابل لدفع شر بين جماعتين (٣) هو عقد الزواج (٤) الاكثار فى الخطأ أو الباطل (٥) يقال نافجه اذا كافحه وخاصمه (٦) لعله التزهد فى الدنيا مع شدة العبادة (٧) تحبير الخط والشعر تحسينه

و يدعوك عجبك بثمرة عقلك الى أن تنتحله وتدعيه ولكن اعرضه على العلماء فى عرض رسائل أو أشعار أو خطب وان رأيت الاسماع تصغى اه والعيون تحدج (١) اليه ورأيت من يطلبه و يستحسنه وانتحله فان كان ذلك فى ابتداء أمرك وفى أول تكلفك فلم تر طالبا ولا مستحسنا فلعله أن يكون ما دام ريضا (٢) قضيبا تعنيسا (٣) أن يحل عندهم محل المتروك وان عاودت أمثال ذلك مرارا فوجدت الاسماع عنه منصرفة والقلوب لاهية فخذ فى غير هذه الصناعة واجعل رائدك الذى لا يكذبك حرصهم عليه أو زهدهم فيه وقال الشاعر

ان الحديث تغر القوم خلوته * حتى يلج بهم عى واكثار

وفى المثل المضروب كل مجر فى الخلاء مسر ولم يقولوا مسرور وكل صواب فلا تثق فى كلامك برأى نفسك وانى ربما رأيت الرجل متماسكا وفوق المتماسك حتى اذا صار الى رأيه فى شعره وفى كلامه وفى ابنه رأيته متهافتا وفوق المتهافت وكان زهير بن سلمى وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمى كبار قصائده الحوليات وقال نوح بن جرير قال الحطيئة خير الشعر الحولى المنقح قال وقال البعيث الشاعر وكان أخطب الناس انى والله ما أرسل الكلام قضيبا خشيبا (٤) وما أريد أن أخطب يوم الحفل الا بالبائت المحكك وكنت أظن أن قولهم محكك كلمة مولدة حتى سمعت قول الصعب بن على الكنانى

ابلغ قرارة أن الذئب آكلها * وجائع سغب شر من الذيب

أذل أطلس ذو نفس محككة * قد كان طار زمانا فى المعاسيب

قال وتكلم يزيد بن أبان الرقاشى ثم تكلم الحسن واعرابيان حاضران فقال أحدهما لصاحبه كيف رأيت الرجلين قال أما الاول فقاص مجيد وأما الآخر فعربى محكك قال ونظر اعرابى الى الحسن فقال له رجل كيف تراه قال أرى خيشوم حر قال وأرادوا عبد الله بن وهب الراسبى على الكلام يوم عقدت له الخوارج الرياسة فقال وما أنا والرأى الفطير والكلام القضيب ولما فرغوا من البيعة له قال دعوا الرأى يغب فان غبوبه يكشف لكم عن محضه وقيل لابن التوأم الرقاشى تكلم فقال ما اشتهى الخبز الا بائتا وقال قال عبد الله بن سالم لرؤبة مت يا أبا الجحاف اذا شئت قال وكيف ذلك قال رأيت اليوم عقبة بن رؤبة ينشد شعرا له أعجبنى قال فقال رؤبة نعم انه ليقول ولكن ليس لشعره قران وقال الشاعر

مهاذبة مناجبة قران * منادبة كأنهم الاسود

يريد بقوله قران التشابه والموافقة وقال عمر بن لجاء لبعض الشعراء أنا أشعر منك قال وبم ذلك قال لانى أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه قال وذكر بعضهم شعر النابغة الجعدى فقال مطرف بالالف وخمار بواف وكان الاصمعى يفضله من أجل ذلك وكان يقول

(١) التحديج التحديق وحدة النظر الى الشئ (٢) الريض كبد الناقة أول ما ريضت وهى صعبة بعد (٣) هكذا هو بالاصل ولينظر فلعل فيه تحريفا (٤) الخشب هو المنحوت

الحطيئة عبد لشعره عاب شعره حين وجده كله متخيرا منتخبا مستويا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه وقالوا لو كان شعر صالح بن عبد القدوس وسابق البربرى كان مفرقا فى أشعار كثيرة لصارت تلك الاشعار أرفع مما هى عليه بطبقات ولصار شعرهما نوادر سائرة فى الآفاق ولكن القصيدة اذا كانت كلها أمثالا لم تسر ولم تجر مجرى النوادر ومتى لم يخرج السامع من شئ الى شئ لم يكن لذلك النظام عنده موقع قال وقال بعض الشعراء لرجل انا أقول فى كل ساعة قصيدة وأنت تقرضها فى كل شهر فلم ذلك قال لانى لا أقبل من شيطانى مثل الذى تقبله من شيطانك قالوا وأنشد عقبة بن رؤبة أباه رؤبة بن العجاج شعرا وقال له كيف تراه قال له يا بنى ان أباك ليعرض له مثل هذا يمينا وشمالا فما يلتفت اليه وقد رووا ذلك فى زهير وابنه كعب قال وقيل لعقيل بن علفة لم لا تطيل الهجاء قال يكفيك من القلادة ما حاط بالعنق وقيل لابى المهوش لم لا تطيل الهجاء قال لم أجد المثل النادر الا بيتا واحدا ولم أجد الشعر السائر الا بيتا واحدا قال وقال مسلمة بن عبد الملك لنصيب يا أبا الحجناء أما تحسن الهجاء قال أما ترانى أحسن مكان عافاك الله لا عافاك الله ولاموا الكميت بن زيد على الاطالة فقال أنا على القصار أقدر وقيل للعجاج ما لك لا تحسن الهجاء قال هل فى الارض صانع الا وهو على الافساد أقدر وقال رؤبة الهدم أسرع من البناء وهذه الحجج التى ذكروها عن نصيب والكميت والعجاج ورؤبة انما ذكروها على وجه الاحتجاج لهم وهذا منهم جهل ان كانت هذه الاخبار صادقة وقد يكون الرجل له طبيعة فى الحساب وليس له طبيعة فى الكلام و يكون له طبيعة فى التجارة وليس له طبيعة فى الفلاحة و يكون له طبيعة فى الحداء أو فى التعبير أو فى القراءة بالالحان وليس له طبيعة فى الغناء وان كانت هذه الانواع كلها ترجع الى تأليف اللحون و يكون له طبيعة فى الناى وليس له طبيعة فى السرناى و يكون له طبيعة فى قصبة الراعى ولا يكون له طبيعة فى القصبتين المضمومتين و يكون له طبع فى صناعة اللحون ولا يكون له طبع فى غيرها و يكون له طبع فى تأليف الرسائل والخطب والاسجاع ولا يكون له طبع فى قرض بيت شعر ومثل هذا كثير جدا وكان عبد الحميد الاكبر وابن المقفع مع بلاغة أقلامهما وألسنتهما لا يستطيعان من الشعر الا ما لا يذكر مثله وقيل لابن المقفع فى ذلك فقال الذى أرضاه لا يجيئنى والذى يجيئنى لا أرضاه وهذا الفرزدق وكان مشتهرا بالنساء وكان زير (١) غوان وهو فى ذلك ليس له بيت واحد فى النسيب (٢) مذكور ومع حسده لجرير وجرير عفيف لم يعشق امرأة قط وهو مع ذلك أغزل الناس شعرا وفى الشعراء من لا يستطيع مجاوزة القصيد الى الرجز ومنهم من لا يستطيع مجاوزة

(١) هو الملازم لمحادثة النساء والغوانى جمع غانية وهى المرأة الحسناء (٢) يقال نسب بالمرأة نسبا ونسيبا شبب بها فى الشعر

الرجز الى القصيد ومنهم من يجمعهما كجرير وعمر بن لجاء وأبي النجم وحميد الارقط والعماني وليس الفرزدق في طواله باشعر منه في قصاره وفي الشعراء من يخطب وفيهم من لا يستطيع الخطابة وكذلك حال الخطباء في قريض الشعر وشاعر نفسه قد تختلف حالاته وقال الفرزدق أنا عند الناس أشعر الناس وربما مرت علي ساعة ونزع ضرس أهون علي من أن أقول بيتا واحدا وقال العجاج لقد قلت ارجوزتي التي أولها

بكيت والمحتزن البكي * وانما يأتي الصبا الصبي

أطربا وأنت قنسري(١) * والدهر بالانسان دواري

وانا بالرمل فانثالت علي قوافيها انثيالا واني لاريد اليوم دونها في الايام الكثيرة فما أقدر عليه وقال لي أبو يعقوب الخزيمي خرجت من منزلي أريد الشماسية فابتدأت القول في مرثية لابي التختاخ فرجعت والله وما أمكنني بيت واحد وقال الشاعر

قد يقرض الشعر البكيء(٢) لسانه * وتعيي القوافي المرء وهو خطيب

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿باب﴾ من القول في القوافي الظاهرة واللفظ الموجز من ملتقطات كلام النساك قال بعض الناس من التوقي ترك الافراط في التوقي وقال بعضهم اذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون وقال الشاعر قدر الله وارد حين يقضي وروده * فأرد ما يكون ان لم يكن ما تريده

وقيل لاعرابي في شكاته كيف تجدك قال أجد ما لا أشتهي وأشتهي ما لا أجد وأنا في زمان من جاد لم يجد ومن وجد لم يجد وقال بعض النساك انا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو وقال بعضهم أعجب من العجب ترك التعجب من العجب وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله لعبد بني مخزوم اني أخاف الله فيما تقلدت قال لست أخاف عليك أن تخاف وانما أخاف عليك أن لا تخاف وقال الاحنف لمعاوية أخافك ان صدقتك وأخاف الله ان كذبتك وقال قال رجل من النساك لصاحب له وهو يجود بنفسه أما ذنوبي فاني أرجو لها مغفرة الله ولكني أخاف على بناتي الضيعة فقال له صاحبه فالذي ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه لحفظ بناتك وقال رجل من النساك لصاحب له مالي أراك حزينا قال كان عندي يتيم أربيه لاوجر فيه فمات فانقطع عنا أجره اذ بطل قيامنا بمؤنته فقال له صاحبه فاجتلب يتيما آخر يقوم لك مقام الاول قال أخاف ان لا أصيب يتيما في سوء خلقه قال له صاحبه أما أنا فلو كنت في موضعك منه لما ذكرت سوء خلقه وقال آخر وسمعه أبو هريرة النحوي وهو يقول ما منعني من تعلم القرآن الا اني أخاف أن أضيعه قال أما أنت فقد عجلت له التضييع ولعلك اذا تعلمته لم تضيعه وقال عمر بن عبد العزيز لرجل من سيد قومك قال أنا قال لو كنت كذلك لم تقل

(١) هو كعفري الكبير السن أو القديم (٢) لعله من بكات الناقة فهي بكيء وبكيئة اذا قل لبنها أي لسانه قليل القول

﴿باب آخر﴾

وقالوا في حسن البيان وفي التخلص من الخصم بالحق والباطل وفي تخليص الحق من الباطل وفي الاقدار بالحق وفي ترك الفخر بالباطل قال اعرابي وذكر حماس بن ثامل

برئت الى الرحمن من كل صاحب * اصاحبه الا حماس بن ثامل

وظني به بين السماطين (١) انه * سينجو بحق أو سينجو بباطل

وقال العجير السلولي وان ابن زيد لابن أعمى وانه * لبلال أيدي جلة الشول بالدم

الشول جمع شائلة وهي الناقة التي جف لبنها واذا شالت بذنبها بعد اللقاح فهي شائل وجمعها شول طلوع الثنايا بالمطايا وانه * غداة المرادي للخطيب المقدم

المرادي المصادع والمقارع يقال رديت الحجر بصخرة أو بمعول اذا ضربته بها لتكسره والمرداة الصخرة التي تكسر بها الحجارة

يسرك مظلوما ويرضيك ظالما * ويكفيك ما حملته حين تغرم

وقال ابن ربيع الهذلي أعيني ألا فابكي رقيبة انه * وصول لارحام ومعطاء سائل

فاقسم لو أدركته لحميته * وان كان لم يترك مقالا لقائل

وقال بعض اليهود وهو الربيع بن أبي الحقيق من بني النضير وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر فقتلوه سائل بنا خابرا كفائنا * والعلم قد يلقى لدى السائل

انا اذا مالت دواعي الهوى * وانصت السامع للقائل

واصطرع الناس بالبابهم * نقضي بحكم عادل فاصل

لانجعل الباطل حقا ولا * نلط (٢) دون الحق بالباطل

نكره ان تسفه أحلامنا * فنحمل الدهر مع الخامل

وقال الآخر وذكر حماسا أيضا

أتاني حماس بابن ماهي يسوقه * ليبغيه خيرا وليس بفاعل

ليعطي عبساما النا وصدورنا * من الغيظ تغلي مثل غلي المراجل (٣)

وقافية قيلت لكم لم أجدلها * جوابا اذا لم تضربوا بالمناصل (٤)

فانطق في حق بحق ولم يكن * ليرحض عنكم قالة الخزي باطلي

ليرحض أي ليغسل والراحض الغاسل والمرحاض الموضع الذي يغسل فيه وقال عمرو بن معد يكرب فلو أن قومي أنطقتني رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت

الجرار عود يعرض في فم الفصيل أو يشق به لسانه لئلا يرضع فيقول قومي لم يطعنوا بالرماح واثني عليهم ولكنهم فروا فاسكت كالجر الذي في فمه جرار وقال ابو عبيدة صاح رؤبة

(١) لعله تثنية سماط بالكسر بمعنى صف أي هو بين صفي أعدائه ينجو (٢) يقال ألط الغريم منع من الحق

(٣) جمع مرجل وهي القدر يطبخ فيها (٤) جمع منصل وهو السيف

فى بعض الحروب التى كانت بين تميم والازد يامعشر بنى تميم اطلقوا من لسانى قال أبصر رجلا منهم قد طعن فارسا طعنة فصاح لاعيا ولا شللا والعرب تقول عى ابأس من شلل كان العى فوق كل زمانة وقالت الجهنية

الا هلك تحلوا الحلال الحلاحل * ومن عنده علم وحلم ونائل
وذو خطب يوما اذا القوم أفحموا(١) * تصيب مرادى قوله مايحاول
بصير بعورات الكلام اذا التقى * شريجان بين القوم حق وباطل
آتى لما أتى الكريم بسيفه * وان أسلمته جنده والقبائل
وليس بمعطاء الظلامة عن يد (٢) * ولا دون أعلى سورة(٣) المجد قابل

الحلاحل السيد شريجان جنسان و يقال الناس شرجان وشريجان أى فرقتان ومنه حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما بلغ الكديد امر الناس بالفطر فأصبح الناس شرجين اى بعضهم صائما و بعضهم مفطرا وأنشد أبو عبيدة فى الخطيب يطول كلامه و يكون ذكورا لاول خطبته (للذى) بنى عليه أمره وان شغب شاغب فقطع عليه كلامه أو حدث عند ذلك حدث يحتاج فيه الى تدبير آخر وصل الثانى من كلامه بالاول حتى لا يكون احد كلاميه أجود من الآخر فأنشد

فان أحدثوا شغبا يقطع نظمها * فانك وصال لما قطع الشغب
ولو كنت نساجا سدوت خطابها * بقول كطعم الشهد بالبارد العذب
وقال نصيب وما ابذلت ابتذال الثوب ودكم * وعائد(٤) خلقا ما كان يبتذل
وعلمك الشئ تهوى أن تبينه * اشفى(٥) لقلبك من اخبار من تسل
وقال الآخر لعمرك ماود اللسان بنافع * اذا لم يكن أصل المودة فى الصدر
وقال الآخر تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لا علم عنده * صغير اذا التفت عليه المحافل
وقال الآخر فتى مثل صفو الماء ليس بباخل * عليك ولا مهد ملاما لباخل
ولا قائل عوراء تؤذى رفيقه * ولا رافع رأسا بعوراء قائل
ولا مسلم مولى لامر يصيبه * ولا خالط حقا مصيبا بباطل
ولا رافع احدوثة السوء معجبا * بها بين أيدى المجالس المتقابل
ترى أهله فى نعمة وهو شاحب(٦) * طوى البطن مخماص الضحى والاصائل

وقالت أخت يزيد بن الطثرية

(١) سكتوا لعجز الظهور حجة الخصم (٢) عن ذل ومهانة (٣) أثره وعلامته وارتفاعه
(٤) قد عاد مستعملا (٥) هو من الشفاء اى أريح لقلبك ان تعلم الشئ وتبينه من السؤال من غيرك
(٦) يقال شحب لونه اذا تغير من هزال أو جوع أو سفر وطوى البطن ليس بذى شبع والمخماص الجائع

أرى الاثل من بطن العقيق مجاوى * قريبا وقد غالت يزيد غوائله
فتى قد(١) قد السيف لا متضائل * ولا رهل(٢) لباته و بآدله
فتى لا يرى خرق القميص بخصره * ولكنما توهى القميص كواهله
اذا نزل الاضياف كان عذورا(٣) * على الحى حتى تستقل مراجله
مضى و ورثناه دريس(٤) مفاضة * وابيض هنديا طويلا حمائله
يسرك مظلوما و يرضيك ظالما * وكل الذى حملته فهو حامله
أخو الجدان جد الرجال وشمروا * وذو باطل ان شئت الهاك باطله

يصير هذا الشعر وما أشبهه مما وقع فى هذا الباب الى الشعر الذى فى أول الفصل

﴿باب شعر وغير ذلك من الكلام مما يدخل فى باب الخطب﴾

قال الشاعر عجبت لاقوام يعيبون خطبتى * وما منهم فى موقف بخطيب
وقال آخر ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا
لا يعجبنك من خطيب قوله * حتى يكون مع اللسان أصيلا
وانشد آخر أبرقا يزداد الاحماقة * ونوكا(٥) وان كانت كثيرا مخارجه

وقد يكون ردىء العقل جيد اللسان وكان أبو العباس الاعمى يقول

اذا وصف الاسلام أحسن وصفه * بفيه و يأبى قلبه و يهاجره

يقول انه يتيه عن قوله و يأباه ويهجره و يقول بحق على منبره بلسانه وسائره كافر

وان قام قال الحق مادام قائما * نقى اللسان كافر بعد سائره

وقال قيس بن عاصم المنقرى يذكر مافى بنى منقر من الخطابة

انى امرؤ لا يعترى خلقى * دنس يفنده ولا أفن(٦)
من منقر فى بيت مكرمة * والاصل ينبت حوله الغصن
خطباء حين يقوم قائلهم * بيض الوجوه مصاقع لسن
لا يفطنون لعيب جارهم * وهم لحسن جوارهم فطن

ومن هذا الباب وليس منه فى الجملة قول الآخر

أشارت بطرف العين خيفة أهلها * اشارة مذعور ولم تتكلم
فايقنت ان الطرف قد قال مرحبا * وأهلا وسهلا بالحبيب المسلم
وقال نصيب يقول فيحسن القول ابن ليلى * و يفعل فوق أحسن ما يقول
وقال آخر الارب خصم ذى فنون دلوته * وان كان ألوى(٧) يشبه الحق باطله

(١) القد القطع وقامة الانسان واعتداله والمتضائل النحيف (٢) يقال رهل لحمه اضطرب واسترخى أو ورم والنبات جمع لبة وهى موضع القلادة والبآدل جمع بأدلة وهى اللحمة بين الابط واصل لحم الثدى أو لحم الثدى (٣) هو سيئ الخلق والمراجل جمع مرجل وهى القدر (٤) هو الخلق القديم والمفاضة الدرع الواسعة (٥) هو بالفتح والضم الحمق (٦) هو ضعف العقل والرأى (٧) يقال ألوى الرجل بكلامه خالف به عن جهته وغلب على غيره

فهذا هو معنى قول العتابى البلاغة اظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل فى صورة الحق وقال الشاعر وهو كما قال

عجبت لادلال العيى بنفسه * وصمت الذى قد كان بالقول أعلما
وفى الصمت ستر لعيى وانما * صحيفة لب المرء أن يتكلما

وموضع الصحيفة من هذا البيت موضع ذكر العنوان فى شعره الذى رثا به عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يقول

ضحوا(١) باشمط عنوان السجود به * يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وأنشد أيضا

ترى الفتيان كالنخل * وما يدريك ما الدخل
وكل فى الهوى ليث * وفيما نابه فسل(٢)
وليس الشأن فى الوصل * ولكن أن يرى الفضل

وقال كسرى أنوشروان لبزرجمهر أى الاشياء خير للمرء العيى قال عقل يعيش به قال فان لم يكن له عقل قال فاخوان يسترون عليه قال فان لم يكن له اخوان قال فمال يحبب به الى الناس قال فان لم يكن له مال قال فعى صامت قال فان لم يكن ذلك قال فموت مريح وقال موسى بن يحيى ابن خالد قال أبو على رسائل المرء فى كتبه أدل على مقدار عقله وأصدق شاهد على غيبه لك ومعناه فيك من اضعاف ذلك على المشافهة والمواجهة

﴿وباب آخر﴾ ووصفوا كلامهم فى أشعارهم فجعلوها كبرود العصب(٣) وكالحلل والمعاطف والديباج والوشى وأشباه ذلك وأنشدنى أبو الجماهر جندب بن مدرك الهلالى

لا يشترى الحمد أمنية * ولا يشترى الحمد بالمقصر * ولكنما يشترى غاليا
فمن يعط قيمته يشتر * ومن يعتطفه على مئزر * فنعم الرداء على المئزر

وأنشدنى لابن ميادة نعم اننى مهد ثناء ومدحة * كبرد اليمانى يربح البيع تاجره

وأنشد

فان أهلك فقد أبقيت بعدى * قوافى تعجب المتمثلينا
لذيذات المقاطع محكمات * لو ان الشعر يلبس لارتدينا

وقال أبو قردودة يرثى ابن عمار قتيل النعمان ووصف كلامه وقد كان نهاه عن منادمته

انى نهيت ابن عمار وقلت له * لا تأمنن احمر العينين والشعره
ان الملوك متى تنزل بساحتهم * تطر بنارك من نيرانهم شرره
يا جفنة كازاء الحوض قد هدموا * ومنطقا مثل وشى اليمنة الحبره

وقال الشاعر فى مديح أحمد بن أبى دواد

وعويص من الامور بهيم * غامض الشخص مظلم مستور

(١) من التضحية وهى الذبح والقتل والاشمط ما خالط سواد شعر لحيته بياض (٢) الفسل قضبان الكرم للغرس والرذل الذى لا مروءة له وهو بالفتح ثم السكون (٣) هو ضرب من أنواع الملبوس

قد تسهلت ما توعر منه * بلسان يزينه التحبير
مثل وشى البرود هلهله النسج * وعقد الحجاج درنثير
حسن الصمت والمقاطع اما * أنصت القوم والحديث يدور
ثم من بعد لحظة تورث اليسر * وعرض مهذب موفور

ومما يضم الى هذا وليس منه بعينه قول جميل بن معمر

نمت فى الروابى من معد وأفلجت * على الخفرات الغر وهى وريد(١)

نمت شبت الروابى من معد البيوت الشريفة وأصل الرابية والرباوة ما ارتفع من الارض وأفلجت ظهرت وقهرت الخفرات الحييات

اناة على نيرين أضحى لداتها * بلين بلاء الريط(٢) وهى جديد

الاناة المرأة التى فيها فتور عند القيام وقوله على نيرين وصفها بالقوة كالثوب الذى ينسج على نيرين وهو الثوب الذى له سديان كالديباج وما أشبه أضحى لداتها اللدة القرينة فى المولد والمنشأ فيقول ان اقرانها قد بلين وهى جديد لحسن غذائها ودوام نعمتها ومن هذا الشكل وليس منه بعينه قول الشاعر

على كل ذى نيرين زيد محاله * محالا وفى أضلاعه زيد اضلعا

المحال محال الظهر وهى فقاره واحدها محالة وقال أبو يعقوب الخزيمى الاعور أول شعر قلته هذان البيتان بقلبى سقام لست أحسن وصفه * على انه ما كان فهو شديد

تمر به الايام تسحب ذيلها * فتبلى به الايام وهو جديد

﴿وقال آخر هو أبو الاسود الدؤلى﴾

أبى القلب الا أم عمرو وحبها * عجوزا ومن يحبب عجوزا يفند
كبرد اليمانى قد تقادم عهده * ورقعته ما شئت فى العين واليد

وقال ابن هرمة ان الاديم الذى أصبحت تعركه * جهلا لذو نغل(٣) بادوذو حلم(٤)

ولن يطا بايدى الخالقين ولا * أيدى الخوالق الا جيد الادم

وفى غير هذا الباب وهو قريب منه قول ذو الرمة

وفى قفر حجر من ذؤابة عامر * امام هدى مستنصر الحكم عادله
كان على اعطافه ماء مذهب * اذا سمل السربال طارت رعابله

الرعابل القطع وشواء مرعبل أى مقطع ورعبلت الشئ أى قطعته ويقال ثوب سمل واسمال واسمل الثوب وسمل اذا أخلق وهو الذى يقول

حوراء فى دعج صفراء فى نعج * كانها فضة قد مسها ذهب

(١) يقال وردت المرأة نوريدا احمرت خدها فهى وريد (٢) هو بالفتح جمع ريطة بالفتح أيضا وهى ملاءة غير ذات لفقين (٣) نغل الاديم كفرح فهو نغل فسد دباغه (٤) هو الصغير من القراد

الحور شدة بياض العين والدعج شدة سواد الحدقة والنعج اللين قالوا لان المرأة الرقيقة اللون يكون بياضها بالغداة يضرب الى الحمرة وبالعشي يضرب الى الصفرة ولذلك قال الاعشى

بيضاء ضحوتها وصفـ * ـراء العشية كالعرار(١)

وقال آخر قد علمت بيضاء صفراء الاصل * لاغنين اليوم ما اغنى رجل

وقال بشار بن برد وخذى ملابس زينة * ومصبغات فهي أفخر

واذا دخلت تقنعي * بالحمر ان الحسن أحمر

وهذان أعميان قد اهتديا من حقائق هذا الامر الى ما لا يبلغه تمييز البصير ولبشار خاصة في هذا الباب ما ليس لاحد ولولا انه في كتاب الرجل والمرأة وفي باب القول في الانسان في كتاب الحيوان أليق وأذكى لذكرناه في هذا الموضع ومما ذكر وافيه الوزن قوله

زني القوم حتى تعرفي عند وزنهم * اذا رفع الميزان كيف أميل

﴿وقال ابن الزبير الاسدي﴾

أعاذل غضي بعض لومك انني * أرى الموت لا يرضى بدين ولا رهن

واني أرى دهرا تغير صرفه * ودنيا أراها لا تقوم على وزن

﴿باب آخر﴾ ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به ويفضلون اصابة المقادير ويذمون الخروج من التعويل قال جعفر بن سليمان ليس يطيب الطعام بكثرة الانفاق وجودة التوابل وانما الشأن في اصابة القدر وقال الشاعر وهو طارق بن أثال الطائي

ما ان يزال ببغداد يزاحمنا * على البراذين أشباه البراذين

أعطاهم الله أموالا ومنزلة * من الملوك بلا عقل ولا دين

ما شئت من بغلة شقراء ناجية * أومن أثاث وقول غير موزون

وأنشد بعض الشعراء رأت رجلا أودى السفار بجسمه * فلم يبق الا منطق وجناجن

الجناجن عظام الصدر اذا حسرت عنه العمامة راعها * جميل الخفوق أغفلته الدواهن

فان أك معروق العظام فانني * اذا ما وزنت القوم بالقوم وازن

قال مالك بن أسماء في بعض نسائه وكانت تصيب الكلام كثيرا وربما لحنت

امغطى مني على بصري للحب * أم أنت أكمل الناس حسنا * وحديث الذه وهو مما

ينعت الناعتون يوزن وزنا * منطق عاقل وتلحن احيا * نا وخير الحديث ما كان لحنا

وقال طرفة في المقدار واصابته فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمي

طلب الغيث على قدر الحاجة لان الفاضل ضار وقال النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اسقنا سقيا نافعا لان المطر ربما جاء في غير ابان الزراعات وربما جاء والتمر في الجرن والطعام في البيادر وربما كان في الكثرة مجاوز المقدار الحاجة وقال النبي صلى الله عليه وسلم

(١) هو نبت رائحته زكية

اللهم حوالينا ولا علينا وقال بعض الشعراء لصاحبه وأنا أشعر منك قال ولم قال لاني أقول البيت وأخاه وتقول البيت وابن عمه وعاب رؤبة شعر بن عقبة فقال ليس له قران وجعل البيت أخا البيت اذا أشبهه وكان حقه أن يوضع الى جنبه وعلى ذلك التأويل قال الاعشى

أبا مسمع اقصر فان قصيدة * متى تأتكم تلحق بها أخواتها

قال الله عز وجل وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها وقال عمرو بن معديكرب

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

وقالوا فيما هو أبعد معنى وأقل لفظا قال الهذلي

أعامر لا ألوك الا مهندا * وجلد أبي عجل وثيق القبائل

يعني بأبي عجل الثور وقالوا ما هو أبعد من هذا وقال ابن غسلة الشيباني واسمه عبد المسيح

وسماع مدجنة تعللنا * حتى تنام تناوم العجم

فصحوت والنمري يحسبها * عم السماك (١) وخالة النجم

النجم واحد وجمع والنجم الثريا في كلام العرب مدجنة أي سحابة دائمة وقال أبو النجم فيما هو أبعد من هذا ووصف العير والعيو رالموضع الذي يكون فيه الاعيار

* وظل يوفي الاكم (٢) ابن خالها * فهذا مما يدل على توسعهم في الكلام وحمل بعضه على بعض واشتقاق بعضه من بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم نعمت العمة لكم النخلة كان بينها وبين الانسان تشابه وتشاكل من وجوه وقد ذكرنا في كتاب الزرع والنخل وفي مثل ذلك قال بعض الفصحاء شهدت بان التمر بالزبد طيب * وان الحبارى خالة الكروان

لان الحبارى وان كانت أعظم بدنا من الكروان فان اللون وعمود الصورة واحد فلذلك جعلها خالته ورأى ان ذلك قرابة تستحق بها هذا القول ﴿باب آخر﴾

من الشعر مما قالوا في الخطب واللسن والامتداح به والمديح عليه قال كعب الاشعري

الا أكن في الارض أخطب قائما * فاني على ظهر الكميت (٣) خطيب

(وقال ثابت قطنة) فالا أكن فيكم خطيبا فانني * بسمر القنا والسيف جد لعوب

(وقالت ليلى الاخيلية) حتى اذا رفع اللواء رأيته * تحت اللواء على الخميس (٤) زعيما

(وقال الآخر) عجبت لاقوام يعيبون خطبتي * وما منهم في مأقط (٥) بخطيب

وهؤلاء يفخرون بخطبهم التي عليها يعتمدون بالسيوف والرماح وان كانوا خطباء وقال دريد ابن الصمة أبلغ نعيما وأوفى ان لقيتهما * ان لم يكن كان في سمعيهما صمم

فلا يزال شهاب يستضاء به * يهدي المقانب ما لم يهلك الصمم

المقانب جمع مقنب والمقنب الجماعة في الخيل ليست بالكثيرة

(١) هو الاعزل والرامح نجمان نيران أوهما رجلا الاسد (٢) اعله الاكم (٣) هو كز بير الذي خالط حمرته غيره (٤) هو الجيش الكثير (٥) هو أضيق المواضع في الحرب

عارى الاشاجع معصوب بلمته * أمر الزعامة فى عرنينه شمم

الاشاجع عروق ظاهر الكف وهى مغرز الاصابع واللمة الشعرة التى ألمت بالمنكب زعيم القوم رأسهم وسيدهم الذى يتكلم عنهم والزعامة مصدر الزعيم الذى يسودقومه وقوله معصوب بلمته أى يعصب برأسه كل أمر عرنينه انفه وقال ابو العباس الاعمى مولى بنى بكر بن عبد مناف فى بنى عبد شمس

ليت شعرى أفاح رائحة المسـ * ـك ما ان أخال بالخيف أنسى

حين غابت بنو أمية عنه * والبهاليل (١) من بنى عبد شمس

خطباء على المنابر فرسا * ن عليها وقالة غير خرس

لا يعابون صامتين وان قا * لوا أصابوا ولم يقولوا بلبس

بحلوم اذا الحلوم استخفت * ووجوه مثل الدنانير ملس

(وقال العجاج) وحاصن من حاصنات ملس * من الاذى ومن قراف الوقس

المحصنة ذات الزوج والحاصن العفيفة والوقس الجرب وقال امرؤ القيس بن حجر

ويارب يوم قد أروح مرجلا * حبيبا الى البيض الكواعب أملسا

(وقال ابو العباس الاعمى)

ولم أر حيا مثل حى تحملوا * الى الشام مظلومين منذ بريت (٢)

أعز وأمضى حين تشتجر (٣) القنا * وأعلم بالمسكين حيث يبيت

وأرفق بالدنيا بأولى سياسة * اذا كاد أمر المسلمين يفوت

اذا مات منهم سيد قام سيد * بصير بعورات الكلام زميت (٤)

(وقال آخر) لا يغسل العرض من تدنسه * والثوب ان مس مدنسا غسلا

وزلة الرجل تستقال ولا * يكاد رأى يقيلك الزللا

(وقال آخر فى الزلل) ألهفى اذا عصيت ابا يزيد * ولهفى اذا طعت أبا العلاء

وكانت هفوة من غير ريح * وكانت زلة من غير ماء

(وقال آخر) فانك لم ينذرك أمر تخافه * اذا كنت فيه جاهلا مثل (٥) خابر

وقال ابن وابصة اسمه سالم فى مقام قام فيه مع ناس من الخطباء

* يا أيها المتحلى غير شيمته * ومن سجيته الاكثار والملق

اعمد الى القصد فيما أنت راكبه * ان التخلق يأتى دونه الخلق

صدت هنيدة لما جئت زائرها * عنى بمطروقة (٦) انسانها غرق

(١) جمع بهلول بالضم وهو السيد الجامع لكل خير (٢) هو من البرى وهو الخلق (٣) هو بمعنى تشتبك القناحين يقاتل بها (٤) هو الوقور وكالسكيت أو قرمنه (٥) هو فاعل ينذر أى لا يحذرك الامر الذى أنت جاهله مثل الخابر (٦) هى العين وانسانها غرق عند ما تأخذ فى البكاء

وراءها الشيب فى رأسى فقلت لها * كذاك يصفر بعد الخضرة الورق

بل موقف مثل حد السيف قمت به * أحمى الذمار وترمينى به الحدق

فما زللت ولا ألفيت ذا خطل * اذا الرجال على أمثالها زلقوا (١)

(قال وأنشد اعرابى فى باهلة)

سأعمل نص العيس حتى يكفنى * غنى المال يوما أو غنى الحدثان

فللموت خير من حياة يرى لها * على الحر بالاقلال وسم هوان

متى يتكلم يلغ حكم كلامه * وان لم يقل قالوا عديم بيان

كأن الغنى فى أهله بورك الغنى * بغير لسان ناطق بلسان

وفى مثلها فى بعض الوجوه قول عروة بن الورد

ذرينى للغنى أسعى فانى * رأيت الناس شرهم الفقير

وأهونهم وأحقرهم لديهم * وان أمسى له نسب وخير

ويقصى فى الندى وتزدريه * حليلته وينهره الصغير

ويلفى ذو الغنى وله جلال * يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليل ذنبه والذنب جم * ولكن للغنى رب غفور

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه الهوى اله معبود وتلا قوله عز وجل (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم) وقال ابو الاعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل

تلك عرساى تنطقان على عمـ * ـد الى اليوم قول زور وهتر (٢)

سألتان الطلاق ان رأتاما * لى قليلا قد جئتمان بنكر

فلعلى أن يكثر المال عندى * ويعرى من المغارم ظهرى

وترى أعبد لنا واواق * ومناصيف من خوادم عشر

المناصف الخدم وأحدهم منصف وناصف وقد نصف القوم ينصفهم نصافة اذا خدمهم

وتجر الاذيال فى نعمة زو * ل تقولان ضع عصاك لدهر

نعمة زول حسنة والزول الخفيف الظريف وجمعه ازوال

ويك من يكن له نشب يحـ * ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

ويجنب سر النجى ولكن * أخا المال محضر كل سر

(وقال عبيد بن الابرص فى نحو هذا وليس كمثله)

تلك عرسى غضبى تريد زيالى (٣) * البين تريد أم لدلال

ان يكن طبك الفراق فلا أحـ * ـفل ان تعطفى صدور الجمال

كنت بيضاء كالمهاة واذا * تيك نشوان مرخيا أذيال

(١) أى وقعوا (٢) هو مزق العرض والكذب (٣) يقال زايله مزايلة وزيالا فارقه

فاتركى مط حاجبيك وعيشى * معنا بالرجاء والتأمال
زعمت انى كبرت وانى * قل مالى وضن عنى الموالى
وصحا باطلى واصبحت شيخا * لا يوانى أمثالها امثالى
ان ترينى تغير الرأس منى * وعلا الشيب مفرقى وقذالى
فبما أدخل الخباء على مهـ * ـضومة الكشح طفلة كالغزال

الكشح الخصر وقوله مهضومة أراد لطيفة والطفلة الرخصة الناعمة

فتعاطيت جيدها ثم مالت * ميلان الكثيب بين الرمال
ثم قالت فدى لنفسك نفسى * وفداء لمال أهلك مالى

قال وخرج عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من داره يوما وقد جاء عامر بن عبد قيس فقعد فى دهليزه فلما رأى شيخا دميما أشغى ثطا فى عباءة فأنكره وأنكر مكانه فقال يا اعرابى أين ربك قال بالمرصاد والشغى تراكب الاسنان واختلافها ثط صغير اللحية يقال ان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه لم يفحمه أحد قط غير عامر بن عبد قيس ونظر معاوية الى النخار بن أوس العذرى الخطيب الناسب فى عباءة فى ناحية من مجلسه فأنكره وانكر مكانه ذراية منه عليه فقال من هذا فقال النخار يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك انما يكلمك من فيها قال ونظر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى هرم بن قطبة ملتفا فى بت(١) فى ناحية المسجد ورأى دمامته وقلته وعرف تقديم العرب له فى الحكم والعلم فأحب أن يكشفه ويسبر(٢) ما عنده فقال أرأيت لو تنافرا اليك اليوم أيهما كنت تنفر يعنى علقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل فقال يا امير المؤمنين لو قلت فيهما كلمة لاعدتها(٣) جذعة فقال عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه لهذا العقل تحاكمت اليك العرب ونظر عمر الى الاحنف وعنده الوفد والاحنف ملتف فى بت له فترك جميع القوم واستنطقه فلما تبعق منه ما تبعق وتكلم بذلك الكلام البليغ المصيب وذهب ذلك المذهب لم يزل عنده فى علياء ثم صار الى ان عقدله الرياسة ثابتاله ذلك الى أن فارق الدنيا ونظر النعمان بن المنذر الى ضمرة بن ضمرة فلما رأى دمامته وقلته قال تسمع بالمعيدى لان تراه هكذا تقول العرب فقال ضمرة ابيت اللعن ان الرجال لا تكال بالقفزان وانما المرء باصغريه لسانه وقلبه وكان ضمرة خطيبا وكان فارسا شاعرا شريفا سيدا وكان الرمق بن زيد مدح ابا جبلة الغسانى وكان الرمق دميما قصيرا فلما أنشده وحاوره قال عسل طيب فى ظرف سوء قال وتكلم علباء بن الهيثم السدوسى(٤) عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وكان علباء أعور دميما فلما رأى براعته وسمع بيانه اقبل عمر يصعد فيه بصره ويحدره(٥) فلما خرج قال عمر لكل اناس فى جميلهم

(١) هو الكساء الغليظ (٢) هو الاختبار (٣) الضمير للقصة والجذعة الشابة من الابل أى لو فاضلت بين أحدهما اليوم لارجعت تخاصمهما جديدا بعد عدمه بطول العهد (٤) لعله لدى (٥) هو من باب نصر وكرم يطلق على سيلان العين بالدمع واحداد النظر

خبرة قال أبو عثمان وانشدت سهل بن هارون قول سلمة بن خرشب وشعره الذى أرسل به الى سبيع التغلبى فى شأن الرهن(١) التى وضعت على يديه فى قتال عبس وذبيان فقال سهل بن هارون والله لكأنه قد سمع رسالة عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى ابى موسى الاشعرى فى سياسة القضاء وتدبير الحكم والقصيدة قوله

أبلغ سبيعا وأنت سيدنا * قدما وأوفى رجالنا ذمما
ان بغيضا وان اخوتها * ذبيان قد ضرموا الذى اضطرما
نبئت ان حكموك بينهم * فلا يقولن بئس ما حكما
ان كنت ذا خبرة بشأنهم * تعرف ذا حقهم ومن ظلما
وتنزل الامر فى منازله * حكما وعلما وتحضر الفهما
ولا تبالى من الحق ولا * لمبطل لا الاله ولا ذمما
فاحكم وانت الحكيم بينهم * لن تعدموا الحكم ثابتا صتما

الصتم الصحيح القوى يقال رجل صتم اذا كان شديدا

واصدع أديم السواء بينهم * على رضا من رضى ومن زعما
ان كان مالا ففض(٢) عدته * مالا بمال وان دما فدما
حتى ترى ظاهر الحكومة مثـ * ـل الصبح جلى نهاره ظلما
هذا وان لم تطق حكومتهم * فانبذ اليهم أمورهم سلما

وقال العاشى كان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعلم الناس بالشعر ولكنه اذا ابتلى بالحكم بين النجاشى والعجلانى وبين الحطيئة والزبرقان كره أن يتعرض للشعراء واستشهد رجالا للفريقين مثل حسان بن ثابت وغيره ممن تهون عليه سبالهم فاذا سمع كلامهم حكم بما يعلم وكان الذى ظهر من حكم ذلك الشاعر مقنعا للفريقين ويكون هو قد تخلص بعرضه سليما فلما رآه من لا علم له يسأل هذا وهذا ظن ان ذلك لجهله بما يعرف غيره قال ولقد انشدوه شعرا لزهير وكان لشعره مقدما فلما انتهوا الى قوله

وان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفار أو جلاء

قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها واقامته أقسامها

وان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفار أو جلاء

يردد البيت من التعجب وأنشدوه قصيدة عبدة بن الطبيب الطويلة التى على اللام فلما بلغ المنشد الى قوله والمرء ساع لامر ليس يدركه * والعيش شح واشفاق وتأميل

قال عمر متعجبا * والعيش شح واشفاق وتأميل * يعجبهم من حسن ما قسم وفصل وأنشدوه قصيدة ابى قيس بن الاسلت التى على العين وهو ساكت فلما انتهى المنشد الى قوله

(١) هو جمع رهن وهو ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك (٢) الفض فك خاتم الكتاب

الكيس والقوة خير من * الاشفاق والفهة والهاع

أعاد عمر البيت وقال الكيس والقوة خير من * الاشفاق والفهة والهاع

وجعل عمر يردد البيت ويتعجب منه قال محمد بن سلام الجمحى عن بعض أشياخه قال عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه لا يكاد يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر وقال ابو عمرو ابن العلاء كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب بفرط حاجتهم الى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ويهول على عدوهم ومن غزاهم ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا الى السوقة وتسرعوا الى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ولذلك قال الاول الشعر أدنى مروءة السرى * واسرى مروءة الدنى

قال ولقد وضع قول الشعر من قدر النابغة الذبيانى ولو كان فى الدهر الاول ما زاده ذلك الا رفعة (وروى) مجالد عن الشعبى قال ما رأيت مثلى ما أشاء أن ألقى رجلا أعلم منى بشئ الا لقيته وقال الحسن البصرى يكون الرجل عابدا ولا يكون عاقلا ويكون عابدا عاقلا ولا يكون عالما وكان مسلم بن يسار عاقلا عابدا عالما قال وكان يقال فقه الحسن وورع ابن سيرين وعقل مطرف وحفظ قتادة وقال وذكرت البصرة فقيل شيخها الحسن وفتاها بكر ابن عبد الله المزنى قال والذين بثوا العلم فى الدنيا أربعة قتادة والزهرى والاعمش والكلبى وجمع سليمان بن عبد الملك بين قتادة والزهرى فغلب قتادة الزهرى فقيل لسليمان فى ذلك فقال انه فقيه مليح فقال القعذمى لا ولكنه تعصب للقرشية ولانقطاعه اليهم ولروايته فضائلهم (وكان) الاصمعى يقول وصلت بالعلم ونلت بالملح وكان سهل بن هارون يقول اللسان البليغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان فى واحد وأعسر من ذلك أن يجتمع بلاغة الشعر وبلاغة القلم والمسجديون (١) يقولون من تمنى حسن العقل وحسن اللسان وحسن القلم تمنى شيأ عسيرا

﴿ باب ﴾ وكانوا يعيبون النوك (٢) والعى والحمق وأخلاق النساء والصبيان

قال الشاعر اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تثقن بكل أخى اخاء

فان خيرت بينهم فألصق * بأهل العقل منهم والحياء

فان العقل ليس له اذا ما * تفاضلت الفضائل من كفاء

وان النوك للاحساب غول (٣) * وأهون دائه داء العياء

ومن ترك العواقب مهملات * فأيسر سعيه سعى العناء

فلا تثقن بالنوكى لشئ * ولو كانوا بنى ماء السماء

فليسوا قابلى أدب فدعهم * وكن من ذاك منقطع الرجاء

(١) المسجديون الذين يلزمون مسجد البصرة والكوفة (٢) هو بالضم والفتح الحمق (٣) أهلكه وأخذه من حيث لم يدر

وقال الآخر فى التضييع والنوك

فعش فى جد انوك ساعدته * مقادير يخالفها الصواب

ذهاب المال فى حمد وأجر * ذهاب لا يقال له ذهاب

وأنشد ذلك أرى زمنا نوكاه أسعد أهله * ولكنما يشقى به كل عاقل

مشى (١) فوقه رجلاه والرأس تحته * فكب الاعالى بارتفاع الاسافل

وقال الآخر ولم أر مثل الفقر أوضع للفتى * ولم أر مثل المال أرفع للر (٢)

ولم أر عزا لامرئ كعشيرة * ولم أر ذلا مثل نأى عن الاهل

ولم أر من عدم أضر على امرئ * اذا عاش وسط الناس من عدم العقل

وقال الآخر تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم * ولا تلقهم بالعقل ان كنت ذا عقل

فانى رأيت المرء يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

وقال الآخر وأنزلنى طول النوى دار غربة * اذا شئت لاقيت أمرألا أشا كله

فحامقته حتى يقال سجية * ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وقال بشر بن المعتمر وأنشد

واذا الغبى رأيته مستغنيا * أعيى الطبيب وحيلة المحتال

وأنشدنى آخر وللدهر أيام فكن فى لباسه * كلبسة يوما أجد وأخلقا

وكن أكيس الكيس اذا كنت فيهم * وان كنت فى الحمقى فكن أنت أحمقا

وأنشدنى آخر ولا تقربى يا بنت عمى بوهة (٣) * من القوم دفناسا (٤) غبيا مفندا

وان كان أعطى رأس ستين بكرة * وحكما على حكم وعبدا ومولدا

ألا فاحذرى لا تو ردنك همة * طوال الذرى جبسا (٥) من القوم قعددا (٦)

وأنشدنى آخر كسا الله حى تغلب ابنة وائل * من اللؤم أظفارا بطيأ نصولها

اذا ارتحلوا من دار ضيم تعاذلوا * عليها وردوا وفدهم يستقيلها

وأنشدنى آخر وان عناء ان تفهم جاهلا * ويحسب جهلا انه منك أفهم

وقال جرير ولا يعرفون الشر حتى يصيبهم * ولا يعرفون الامر الا تدبرا

وقال الاعرج المعنى الطائى

لقد علم الاقوام ان قد قدرتم * ولم تبدؤوهم بالمظالم أولا

فكونوا كداعى كرة بعد فرة * ألا رب من قد فر ثمت أقبلا

فان انتم لم تفعلوا فتبدلوا * بكل سنان معشر العرب مغزلا

(١) هو تمثيل لقلب الوضع فكانه مثل رجل وضع رجليه فوق رأسه (٢) كذا بالاصل (٣) هو الرجل الطائش الضاوى والاحمق (٤) هو الاحمق الدنىء والبخيل والراعى الكسلان ينام ويترك ابله وحدها (٥) هو بالكسر الجامد الثقيل الروح والفاسق والردىء والجبان واللئيم (٦) هو قريب النسب من الجد الاعلى و بعيد النسب منه ضد

واعطوهم حكم الصبى بأهله * وانى لارجوان يقولوا بان لا

(١)

ويقال أظلم من صبى واكذب من صبى وأخرق من صبى وانشد

ولاتحكما حكم الصبى فانه * كثير على ظهر الطريق مجاهله

قال سئل دغفل عن بنى عامر فقال أعناق ظباء واعجاز نساء قيل فما تقول فى اهل اليمن قال سيدوا نوك ﴿باب﴾ فى ذكر المعلمين من امثال العامة أحمق من معلم كتاب وقد ذكرهم صقلاب وكيف يرجى العقل والرأى عند من * يروح على أنثى و يغدو على طفل وفى قول بعض الحكماء لا تستشيروا معلما ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء وقال لا تدع ام صبيك تضرب به فانه أعقل منها وان كانت أسن منه وقد سمعنا فى الامثال أحمق من راعى ضان ثمانين (واما) استحماق رعاة دعاة الغنم فى الجملة فكيف يكون ذلك صوابا وقد رعى الغنم عدة من جلة الانبياء عليهم السلام ولعمرى ان الفدادين من أهل الوبر ورعاة الابل ليتلون على رعاة الغنم و يقول احدهم لصاحبه ان كنت كاذبا فحلبت قاعدا وقال الآخر

ترى حالب المعزى اذا صر قاعدا * وحالبهن القائم المتطاول

قالت امرأة من غامد فى هزيمة ربيعة بن مكدم لجمع غامد وحده

ألا هل أتاها على نأيها * بما فضحت قومها غامد

تمنيتم مائتى فارس * فردكم فارس واحد

فليت لنا بارتباط الخيول * ضأنا لها حالب قاعد

وقد سمعنا قول بعضهم الحمق فى الحاكة والمعلمين والغزالين قال والحاكة أقل وأسقط من أن يقال لهم حمقى وكذلك الغزالون لان الاحمق هو الذى يتكلم بالصواب الجيد ثم يجىء بخطأ فاحش والحائك ليس عنده صواب جيد فى فعال ولا مقال الا أن يجعل جودة الحياكة من هذا الباب وليس هو من هذا فى شئ ﴿وهذا باب آخر﴾ و يقال فلان أحمق فاذا قالوا مائق فليس يريدون ذلك المعنى بعينه وكذلك اذا قالوا أنوك وكذلك اذا قالوا رقيع و يقولون فلان سليم الصدر ثم يقولون غبى ثم يقولون أبله وكذلك اذا قالوا معتوه ومسلوس وأشباه ذلك قال ابو عبيدة يقال للفارس شجاع فاذا تقدم ذلك قيل بطل فاذا تقدم شيأ قيل بهمة فاذا صار الى الغاية قيل أليس قال العجاج * أليس عن حوباته (٢) سخى * وهذا المأخذ يجرى فى الطبقات كلها من جود و بخل وصلاح وفساد ونقصان ورجحان ومازلت أسمع هذا القول فى المعلمين والمعلمون عندى على ضربين منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة الى تعليم أولاد الخاصة ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة الى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة فكيف تستطيع ان يزعم

(١) بياض فى الاصل (٢) هى جمع حابة وهى حرم الرجل وسرته

ان مثل على بن حمزة الكسائى ومحمد بن المستنير الذى يقال له قطرب واشباه هؤلاء يقال لهم حمقى ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقة التى دونهم فان ذهبوا الى معلمى كتاتيب القرى فان لكل قوم حاشية وسفلة فما هم فى ذلك الا كغيرهم وكيف تقول مثل ذلك فى هؤلاء وفيهم الفقهاء والشعراء والخطباء مثل كميت بن زيد وعبد الحميد الكاتب وقيس بن سعد وعطاء بن أبى رباح ومثل عبد الكريم بن ابى أمية وحسين المعلم وأبى سعيد المعلم ومن المعلمين الضحاك بن مزاحم أبو معبد الجهنى وعامر الشعبى فكانا يعلمان أولاد عبد الملك بن مروان وكان معبد يعلم سعيدا ومنهم أبو سعيد المؤدب وهو غير أبى سعيد المعلم وكان يحدث عن هشام بن عروة وغيرهم ومنهم عبد الصمد بن عبد الاعلى وكان معلم ولد عتبة ابن أبى سفيان وكان اسمعيل بن على ألزم بعض بنيه عبد الله بن المقفع ليعلمه وكان أبو بكر عبد الله بن كيسان معلما ومنهم محمد بن السكن وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم ولا أحسن بيانا من أبى الوزير وأبى عدنان المعلمين وحالهما من أول ما أذكر من أيام الصبا وقد قال الناس فى أبى البيداء وفى أبى عبيد الله الكاتب وفى الحجاج بن يوسف وأبيه ما قالوا وقد أنشدوا مع هذا الخبر شاهدا من الشعر على أن الحجاج وأباه كانا معلمين بالطائف ثم رجع بنا القول الى الكلام الاول قالوا أحق الناس بالرحمة عالم يجرى عليه حكم جاهل قال وكتب الحجاج الى المهلب يعجله فى حرب الازارقة و يسمعه (١) فكتب اليه المهلب ان البلاء كل البلاء أن يكون الرأى لمن يملكه دون من يبصره ﴿وباب آخر﴾ قال بعض الربانيين من الادباء وأهل المعرفة من البلغاء ممن يكره التشادق والتعمق و يبغض الاغراق فى القول والتكلف والاجتلاب و يعرف أكثر أدواء الكلام ودوائه وما يعترى المتكلم من الفتنة بحسن ما يقول و يعرض للسامع من الافتتان بما يسمع والذى يورث الاقتدار من التهكم والتسلط والذى يمكن الحاذق والمطبوع من التمويه للمعانى والخلابة (٢) وحسن المنطق قال فى بعض مواعظه أنذركم حسن الالفاظ وحلاوة مخارج الكلام فان المعنى اذا اكتسى لفظا حسنا وأعاره البليغ مخرجا سهلا ومنحه المتكلم قولا متعشقا صار فى قلبك أحلى ولصدرك املا والمعانى اذا كسيت الالفاظ الكريمة وألبست الاوصاف الرفيعة تحولت فى العيون عن مقادير صورها وأربت على حقائق اقدارها بقدر ما زينت وعلى حسب ما زخرفت فقد صارت الالفاظ فى معنى المعارض وصارت المعانى فى معنى الجوارى والقلب ضعيف وسلطان الهوى قوى ومدخل خدع الشيطان خفى فاذكر هذا الباب ولا تنسه وتأمله ولا تفرط فيه فان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لم يقل للاحنف بعد ان احتبسه حولا مجرما (٣) ليستكثر منه وليبالغ فى تصفح حاله والتنقير عن شأنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان خوفنا كل منافق عليم وقد خفت ان تكون منهم الا لما كان راعه من حسن منطقه

١ وفى الصحاح أسمعه أى شتمه ٢ يقال خلب فلانا سلبه عقله وخلب من باب نصر خلابة بمعنى خدع ٣ هو كمعظم بمعنى تام

ومال العلما رأى من رفقه وقلة تكلفه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل أحسن فى طلب حاجة وتأتى لها بكلام وجيز ومنطق حسن هذا والله السحر الحلال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خلابة فالقصد فى ذلك ان تجتنب السوقى والوحشى ولا تجعل همك فى تهذيب الالفاظ وشغلك فى التخلص الى غرائب المعانى وفى الاقتصار بلاغ وفى التوسط مجانبة للوعورة والخروج من سبيل من لا يحاسب نفسه وقد قال الشاعر

عليك بأوساط الامور فانها * نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

﴿وقال الآخر﴾

لا تذهبن فى الامور فرطا * لا تسألن ان سألت شططا * وكن من الناس جميعا وسطا

وليكن كلامك بين المقصر والغالى فانك تسلم من الهجنة عند العلماء ومن فتنة الشيطان وقال اعرابى للحسن علمنى دينا وسطا لا ذاهبا شطوطا ولا هابطا هبوطا فقال الحسن لئن قلت ذاك أن خير الامور أوساطها وجاء فى الحديث خالطوا الناس وزايلوهم (١) وقال عبد الله بن مسعود فى خطبته وخير الامور أوساطها وما قل وكفى خير مما كثر وألهى نفس تنجيها خير من امارة لا تحصيها وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه كن فى الدنيا وسطا وامش جانبا وكانوا يقولون اكره الغلو كما تكره التقصير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه قولوا بقولكم ولا يستحوذن عليكم الشيطان وكان يقول وهل يكب الناس على مناخرهم فى نار جهنم الا حصائد ألسنتهم *(باب)* من الخطب القصار من خطب السلف ومواعظ النساك وتأديب من تأديب العلماء (قال) رجل لابى هريرة النحوى أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه قال كفى بترك العلم اضاعة وسمع الاحنف رجلا يقول التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر فقال الاحنف الكبير أكبر الناس عقلا ولكنه أشغل قلبا وقال ابو الدرداء مالى أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا قال ولذلك قال عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه حين دلى زيد بن ثابت فى القبر من سره أن يرى كيف ذهاب العلم فلينظر فهكذا يه ذهابه وقال بعض الشعراء لبعض العلماء

أبعدت من يومك الفرار فما * جاوزت (٢) حيث انتهى بك القدر

لو كان ينجى من الردى حذر * نجاك مما أصابك الحذر

يرحمك الله من أخى ثقة * لم يك فى صفو وده كدر

فهكذا يفسد الزمان ويفنى العلم منه ويدرس الاثر قال وقال قتادة لو كان أحد مكتفيا من

(١) يقال زايله مزايلة وزيالا فارقه (٢) أى لم يتعد مكان انتهاء القدر يعنى لم يتخط المقدور بحذره

العلم لاكتفى نبى الله موسى عليه السلام اذ قال للعبد الصالح (هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا) أبو العباس التميمى قال قال طاوس الكلمة الصالحة صدقة وعن عبد الله بن ثمامة بن أنس عن أبيه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال فضل لسانك تعبر به عن أخيك الذى لا لسان له صدقة وقال الخليل تكثر من العلم لتعرف وتقال منه لتحفظ وقال الفضيل نعمت الهدية الكلمة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها الى أخيه وكان يقال اجعل ما فى الكتب بيت مال وما فى قلبك للنفقة وكان يقال يكتب الرجل أحسن ما سمع ويحفظ أحسن ما كتب وقال اعرابى حرف فى قلبك خير من عشرة فى طومارك (١) وقال عمر ابن عبد العزيز ما قرن شئ بشئ أفضل من علم الى حلم ومن عفو الى قدرة وكان ميمون بن سياه اذا جلس الى قوم قال انا قوم منقطع بنا فحدثونا أحاديث نتجمل بها قال وفخر سليم مولى زياد بزياد عند معاوية فقال معاوية اسكت فوالله ما أدرك صاحبك شيأ بسيفه الا وقد أدركت أكثر منه بلسانى قال وضرب الحجاج أعناق أسرى فلما قدموا اليه رجلا ليضرب عنقه قال والله لئن كنا أسأنا فى الذنب فما أحسنت فى العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيها أحد يحسن مثل هذا وأمسك عن القتل وقال بشير الرحال انى لاجد فى قلبى حرا لا يذهبه الا برد العدل أو حر (٢) السنان قال وقدموا رجلا من الخوارج الى عبد الملك لتضرب عنقه ودخل على عبد الملك ابن صغير له قد ضربه المعلم وهو يبكى فهم عبد الملك بالمعلم فقال دعه يبكى فانه أفتح لجرامه وأصح لبصره وأذهب لصوته فقال له عبد الملك أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا قال ما ينبغى للمسلم أن يشغله عن قول الحق شئ فأمر بتخلية سبيله وقال ابراهيم ابن ادهم أعربنا فى كلامنا فما نلحن حرفا ولحنا فى أعمالنا فما نعرب حرفا وأنشد

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

قال وقال زياد على المنبر ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يقطع بها ذنب عنز مصور (٣) لو بلغت امامه سفك بها دمه قال وعزل عمر زيادا عن كتابة أبى موسى فى بعض قدماته فقال له زياد أعن عجز أم عن خيانة قال لا عن واحدة منهما ولكن أكره أن احمل على العامة فضل عقلك قال وبلغ الحجاج موت اسماء بن خارجة فقال هل سمعتم بالذى عاش ما شاء ومات حين شاء قال وكان يقال كدر الجماعة خير من صفو الفرقة قال ابو الحسن مر عمر بن ذر بعبد الله بن عياش المتترف وقد كان سفه عليه ثم أعرض عنه فتعلق بثوبه فقال يا هناه انا لم نجد لك اذ عصيت الله فينا خيرا من ان نطيع الله فيك وهذا كلام أخذه عمر بن ذر عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حين قال عمر انى والله لا أدع حقا لله لشكاية تظهر ولا لغضب يحتمل ولا لمحاباة بشر وانك والله ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل ان تطيع الله فيه قال وكتب عمر بن

(١) الطومار هو الكتاب أى ما فى حفظك ولو قليلا خير مما فى كتابك ولو كثيرا (٢) هو كناية عن القتال بالسنان
(٣) أى صورة عنز لا عنز حقيقة

الخطاب رضى الله تعالى عنه الى سعد بن ابى وقاص ياسعد سعد بنى وهيب ان الله اذا أحب عبدا حببه الى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم ان مالك عند الله مثل الذى لله عندك قال ومات لعمر بن ذر ابن فقال اى بنى شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك قال وقال رجل من مجاشع كان الحسن يخطب فى دم فينا فأجابه رجل فقال قد تركت ذلك لله ولوجوهكم فقال الحسن لا تقل هكذا بل قل لله ثم لوجوهكم وآجرك الله قال ومر رجل بابى بكر رضى الله تعالى عنه ومعه ثوب فقال أتبيع الثوب فقال لاعفاك الله فقال ابو بكر رضى الله تعالى عنه لقد علمتم لو كنتم تعلمون قل لا وعافاك الله وسأل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا عن شئ فقال الله أعلم فقال عمر لقد شقينا ان كنا لا نعلم ان الله أعلم اذا سئل أحدكم عن شئ لا يعلمه فليقل لا علم لى قال وكان أبو الدرداء يقول أبغض الناس الى ان أظلمه من لا يستعين على بأحد الا بالله وذكر ابن ذر الدنيا فقال كانكم انما زادكم فى حرصكم عليها ذم الله عز وجل لها ونظر اعرابى الى مال له كثير من الماشية وغيرها فقال ينعة (١) ولكل ينعة استحشاف فباع ماهنالك من ماله ثم لزم ثغرا من ثغور المسلمين حتى مات فيه قال وتمنى قوم عند يزيد الرقاشى فقال أتمنى كما تمنيتم قالوا تمنه قال ليتنا لم نخلق وليتنا اذ خلقنا لم نعص وليتنا اذ عصينا لم نمت وليتنا اذ متنا لم نبعث وليتنا اذ بعثنا لم نحاسب وليتنا اذ حوسبنا لم نعذب وليتنا اذ عذبنا لم نخلد وقال الحجاج ليت الله اذ خلقنا للآخرة كفانا أمر الدنيا فرفع عنا الهم بالمأكل والمشرب والملبس والمنكح أوليته اذ وقعنا فى هذه الدار كفانا أمر الآخرة فرفع عنا الاهتمام بما ينجى من عذابه فبلغ كلامهما عبد الله بن حسن بن حسن أو على بن الحسين فقال ما علما شيأ فى التمنى ما اختار الله فهو خير قال أبو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها قال شريح الحدة كناية عن الجهل وقال أبو عبيدة العارضة كناية عن البذاء قال واذا قالوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل واذا قالوا للعامل مستقص فهو كناية عن الجور وقال حبيب بن أوس الشاعر أبو تمام الطائى

كذبتم ليس يزهى من له حسب * ومن له نسب عمن له أدب
انى لذو عجب منكم أردده * فيكم وفى عجبى من زهوكم عجب
لجاجة لى فيكم ليس يشبهها * الا لجاجتكم فى انكم عرب

وقيل لاعرابية مات ابنها ما أحسن عزاك عن ابنك قالت ان مصيبته أمنتنى عن المصائب بعده قال وقال سعيد بن عثمان بن عفان لطويس المغنى أينا أسن أنا أو أنت يا طويس فقال بابى أنت وأمى لقد شهدت زفاف أمك المباركة الى أبيك الطيب فانظر الى حذقه والى معرفته بمخارج الكلام كيف لم يقل بزفاف أمك الطيبة الى أبيك المبارك وهكذا كان وجه الكلام فقلب المعنى قال وقال رجل من أهل الشام كنت فى حلقة أبى مسهر فى مسجد

(١) أى هى مثل الزهرة النضرة ولا بد للازهار من ذبولها

دمشق فذكرنا الكلام وبراعته والصمت ونبالته قال كلا ان النجم ليس كالقمر انك تصف الصمت بالكلام ولا تصف الكلام بالصمت وقال الهيثم بن صالح لابنه وكان خطيبا يابنى اذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب واذا أكثرت من الكلام أقللت من الصواب قال يا أبة فان انا أكثرت وأكثرت يعنى كلاما وصوابا قال يابنى ما رأيت موعظا أحق بان يكون واعظا منك قال وقال ابن عباس لولا الوسواس ما باليت أن لا أكلم الناس قال وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ما تستبقوا من الدنيا تجدوه فى الآخرة وقال رجل للحسن انى أكره الموت قال ذلك انك أخرت مالك ولو قدمته لسرك أن تلحق به قال وقال عامر ابن الظرب العدوانى الرأى نائم والهوى يقظان فمن هنا يغلب الهوى الرأى وقال مكتوب فى الحكمة أشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكر لك وقال بعضهم وهو أبو الدرداء أيها الناس لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منا ان تقبلوا أحسن ما تسمعون منا وقال عبد الملك على المنبر ألا تنصفوننا يامعشر الرعية تريدون منا سيرة أبى بكر وعمر ولم تسيروا فى أنفسكم ولا فينا سيرة رعية أبى بكر وعمر نسأل الله أن يعين كلا على كل قال وقال رجل من العرب أربع لا يشبعن من أربع أنثى من ذكر وعين من نظر وأرض من مطر وأذن من خبر قال وقال موسى عليه السلام لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر فقال قال بعض المعترضين فقد قال أو آتيكم بشهاب قبس قال أبو عقيل لم يعرف موقع النار من أبناء السبيل ومن الجائع المقرور وقال لبيد بن ربيعة

ومقام ضيق فرجته * ببيان ولسان وجدل
لو يقوم الفيل أو فياله * زل عن مثل مقامى وزحل (١)
ولدى النعمان منى موطن * بين فاثور (٢) أفاق فالدحل
اذ دعتنى عامر انصرها * فالتقى الالسن كالنبل (٣) الدول
فرميت القوم رشقا (٤) صائبا * ليس بالعصل (٥) ولا بالمفتعل (٦)
وانتضلنا وابن سلمى قاعد * كعتيق الطير يغضى ويجل
وقبيل من لكيز شاهد * رهط مرجوم ورهط ابن المعل

قال وأبيض يجتاب الخروق (٧) على الوجى * خطيبا اذا التف المجامع فاصلا (٨)

وقال لبيد لو كان حى فى الحياة مخلد * فى الدهر ادركه أبو يكسوم
بكتائب خرس تعود كبشها * نطح الكباش شبيهة بنجوم
ولقد بلوتك وابتليت خليقتى * ولقد كفاك معلمى تعليمى

(١) قال زحل عن مقامه كمنع زل وتحول (٢) هو اسم موضع وكذا الدحل موضع قرب حزن بنى يربوع (٣) هو بالتحريك النبل المتداول (٤) هو السهم (٥) هو كفرح الاعوج (٦) المفتعل كمضمحل السهم لم يبر بريا (٧) هو الجماعة (٨) هو القاطع

وقد قال أيضا لبيد ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب
يتأكلون مغالة وخيانة * ويعاب قائلهم وان لم يشغب
وقال زيد بن جندب فى ذكر الشغب
ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الشغب
وقال آخر فى الشغب انى اذا عاقبت ذو عقاب * وان تشاغبنى فذو شغاب
وقال أحمر بن العمرد وكم حلها من تيحان سميدع * مصافى الندى ساق بسهماء مطعم
طوى البطن متلاف اذا هبت الصبا * على الامر غواص وفى الحى شيظم(١)
وقال وهل لامنى قوم لموقف سائل * أوفى مخاصمة اللجوج الاصيد(٢)
وقال فى التطبيق فلما أن بدا القعقاع لجت * على شرك يناوله نقالا
تعاورن الحديث وطبقنه * كما طبقت بالنعل المثالا
وهذا التطبيق غير التطبيق الاول وقال آخر
لو كنت ذا علم علمت وكيف لى * بالعلم بعد تدبر الامر
وقول المعترض على أصحاب الخطابة والبلاغة قال لقمان لابنه يابنى انى قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت وقال الشاعر
ما ان ندمت على سكوتى مرة * ولقد ندمت على الكلام مرارا
﴿وقال آخر﴾
خل جنبيك لرام وامض عنه بسلام * مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام
* انما المسلم من ألجم فاه بلجام *
وقال آخر فى التحذير والاحتراس
اخفض الصوت ان نطقت بليل * والتفت بالنهار قبل الكلام
وقال فى مثل ذلك لا أسأل الناس عما فى ضمائرهم * ما فى ضميرى لهم منى سيكفينى
وقال حمزة بن بيض لم يكن عن جناية لحقتنى * لا يسارى ولا يمينى جنتنى
بل جناها أخ على كريم * وعلى أهلها براقش تجنى
لان هذه الكلبة وهى براقش انما نبحت غزيا وقد مروا من ورائهم وقد رجعوا خائبين مخفقين فلما نبحتهم استدلوا بنباحها على أهلها فاستباحوهم ولو سكتت كانوا قد سلموا فضرب ابن بيض به المثل وقال الاخطل
تنق بلا شئ شيوخ محارب * وما خلتها كانت تريش ولا تبرى
ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية النهر
النقيق صياح الضفادع وقالوا الصمت حكم وقليل فاعله وقالوا استكثر من الهيبة صامت

(١) هو كحيدر الطويل الجسيم الفتى (٢) هو مائل العنق

وقيل لرجل من كلب طويل الصمت بحق ما سمتكم العلماء خرس العرب فقال اسكت فاسلم واسمع فاعلم وكانوا يقولون لا تعدلوا بالسلامة شيأ ولا تسمع الناس يقولون جلد فلان حين صمت ولا قتل حين سكت وتسمعهم يقولون جلد فلان حين قال كذا وكذا وقتل حين قال كذا وكذا وفى الحديث المأثور رحم الله من سكت فسلم أو قال خيرا فغنم والسلامة فوق الغنيمة لان السلامة أصل والغنيمة فرع وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يبغض البليغ الذى يتخلل بلسانه كما تخلل الباقرة بلسانها وقيل ان كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب وقال صاحب البلاغة والخطابة وأهل البيان وحب التبيين انما عاب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم المتشادقين والثرثارين والذى يتخلل بلسانه كما يتخلل الباقرة بلسانها والاعرابى المتشادق وهو الذى يصنع بفكيه وشدقيه ما لا يستجيزه أهل الادب من خطباء أهل المدر فمن تكلف ذلك منهم فهو أعيب والذم له ألزم وقد كان الرجل من العرب يقف الموقف فيرسل عدة أمثال سائرة ولم يكن الناس جميعا يتمثلون بها الا لما فيها من المرفق والانتفاع ومدار العلم على الشاهد والمثل وانما حثوا على الصمت لان العامة الى معرفة خطأ القول أسرع منهم الى معرفة خطأ الصمت ومعنى الصامت فى صمته أخفى من معنى القائل فى قوله والا فالسكوت عن قول الحق فى معنى النطق بالباطل ولعمرى ان الناس الى الكلام لاسرع لان فى أصل التركيب ان الحاجة الى القول والعمل أكثر من الحاجة الى ترك العمل والسكوت عن جميع القول وليس الصمت كله أفضل من الكلام كله ولا الكلام كله أفضل من السكوت كله بل قد علمنا ان عامة الكلام أفضل من عامة السكوت وقد قال الله عز وجل سماعون للكذب أكالون للسحت فجعل سمعه وكذبه سواء
وقال الشاعر بنى عدى الا ينهى سفيهكم * ان السفيه اذا لم ينه مأمور
وقال الآخر فان أنا لم آمر ولم أنه عنكما * ضحكت له حتى يلج ويستشرى
وكيف يكون الصمت أنفع والايثار له أفضل ونفعه لا يكاد يجاوز رأس صاحبه ونفع الكلام يعم ويخص والرواة لم يرووا سكوت الصامتين كما رووا كلام الناطقين وبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصمت ومواضع الصمت المحمودة قليلة ومواضع الكلام المحمودة كثيرة وطول الصمت يفسد البيان وقال بكر بن عبد الله المزنى طول الصمت حبسة كما قال عمر ترك الحركة عقلة واذا ترك الانسان القول ماتت خواطره وتبلدت نفسه وفسد حسه وكانوا يروون صبيانهم الارجاز ويعلمونهم المناقلات ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الاعراب لان ذلك يفتق اللهات ويفتح الجرم واللسان اذا أكثرت تحريكه رق ولان واذا أقللت تقليبه وأطلت اسكانه جسأ وغلظ وقال عباية الجعفى لولا الدربة وسوء العادة لامرت فتياننا ان يمارى بعضهم بعضا وأية جارحة منعتها الحركة ولم تمرنها على الاعمال أصابها من التعقد على حسب ذلك المنع فلم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للنابغة الجعدى لا يفضض

الله فاك ولم قال لكعب بن مالك ما نسى الله لك مقالك ذلك ولم قال لهيذان بن شيخ رب خطيب من عبس ولم قال لحسان هيج الغطاريف على بنى عبد مناف والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غبش الظلام وما نشك انه عليه وعلى آله السلام قد نهى عن المراء وعن التزيد والتكلف وعن كل ما ضارع الرياء أو السمعة والنفج (١) والبذخ (٢) وعن التهاتر والتشاغب وعن المغالبة والمماتنة قال فاما نفس البيان فكيف ينهى عنه وأبين الكلام كلام الله وهو الذى مدح التبيين وأهل التفضيل وفى هذا كفاية ان شاء الله قال دغفل بن حنظلة ان للعلم أربعا آفة ونكدا واضاعة واستجاعة فآفته النسيان ونكده الكذب واضاعته وضعه فى غير موضعه واستجاعته انك لم تشبع منه وانما عاب الاستجاعة لسوء تدبيرأ كثر العلماء ولخرق سياسة أكثر الرواة لان الرواة اذا شغلوا عقولهم بالازدياد والجمع عن تحفظ ما قد حصلوه وتدبر ما قد دونوه كان ذلك الازدياد داعيا الى النقصان وذلك الربح سببا للخسران وقد جاء فى الحديث منهومان لا يشبعان منهوم فى العلم ومنهوم فى المال وقالوا علم علمك وتعلم علم غيرك واذا أنت قد علمت ما جهلت وحفظت ما علمت وقال الخليل بن أحمد اجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيها لك على ما ليس عندك وقال بعضهم وأظنه بكر بن عبد الله المزنى لا تكدوا هذه القلوب ولا تهملوها فخير الكلام ما كان عقب الجمام (٣) ومن أكره بصره عشى وعاودوا الفكر عند نبوات القلوب واشحذوها بالمذاكرة ولا تيأسوا من اصابة الحكمة اذا امتحنتم ببعض الاستغلاق فان من أدام قرع الباب ولج وقال الشاعر

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا (٤) * فمطلبها كهلا عليه شديد

وقال الاحنف السودد (٥) مع السواد وتقول الحكماء من لم ينطق بالحكمة قبل الاربعين لم يبلغ فيها وأنشد

ودون الندى فى كل قلب ثنية * لها مصعد حزن ومنحدر سهل

وود الفتى فى كل نيل ينيله * اذا ما انقضى لو ان نائله جزل

وقال الهذلى

وان سيادة الاقوام فاعلم * لها صعداء مطلبها طويل

أترجوان تسود وان تعنى * وكيف يسود ذو الدعة البخيل

صالح بن سليمان عن عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال ما رأيت عقول الناس الاقريبا بعضها من بعض الاما كان من الحجاج واياس بن معاوية فان عقولهما كانت ترجح على عقول الناس أبو الحسن قال سمعت أبا الضعرى الحارثى يقول كان الحجاج أحمق بنى مدينة واسط فى بادية النبط ثم قال لهم لا تدخلوها فلما مات دلفوا (٦) اليها من قريب سمعت قحطبة الجشمى يقول كان أهل البصرة لا يشكون انه لم يكن بالبصرة رجل أعقل من عبيد الله بن الحسن وعبيد الله بن سالم وقال معاوية لعمرو بن العاص ان أهل العراق

(١) هو التكبر (٢) هو بالتحريك الكبر أيضا (٣) هو التعب (٤) أى فى حال نشوه وصغره (٥) هو الشرف والسيادة وقوله مع السواد أى مع سواد الشعر وهو عبارة عن الصغر (٦) أى زحفوا اليها بجمعهم

قد قرنوا بك رجلا طويل اللسان قصير الرأى فاجد الحز وطبق المفصل واياك ان تلقاه برأيك كله

﴿ باب ﴾ ما قالوا فيه من الحديث الحسن الموجز المحذوف القليل الفضول قول الشاعر

لها بشر مثل الحرير ومنطق * رخيم الحواشى لا هراء (١) ولا نزر

(وقال ابن أحمر)

تضع الحديث على مواضعه * وكلامها من بعده نزر

(وقال الآخر)

حديث كطعم الشهد حلو صدوره * واعجازه الخطبان دون المحارم

وقال بشار بن برد

أنس غرائر ما هممن بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام

يحسبن من أنس الحديث زوانيا * ويصدهن عن الخنا الاسلام

وقال بشار

فنعمنا والعين حى كميت * بحديث كنشوة الخندريس (٢)

وقال بشار

وكأن رفض حديثها * قطع الرياض كسين زهرا

وتخال ما جمعت عليه * ثيابها ذهبا وعطرا

وكأن تحت لسانها * هاروت ينفث فيه سحرا

وقال بشار العقيلى

وفتاة صب الجمال عليها * بحديث كلذة النشوان

وقال بشار

وبكر كنوار الرياض حديثها * تروق بوجه واضح وقوام

وقال بشار

وحديث كأنه قطع الرو * ض وفيه الصفراء والحمراء

وقال الاخطل

فأسرين خمسا ثم أصبحن غدوة * يخبرن أخبارا ألذ من الخمر

أخبرنا عامر بن صالح ان عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز كتب الى امرأته وعنده اخوان له

ان عندى أبقاك ربك ضيفا * واجباحقهم كهولا ومردا

طرقوا جارك الذى كان قدما * لا يرى من كرامة الضيف بدا

فلديه أضيافه قد قراهم * وهم يشتهون تمرا وزبدا

فلهذا جرى الحديث ولكن * قد جعلنا بعض المزاحة جدا

وأنشد الهزلى

كروا الاحاديث عن ليلى اذا بعدت * ان الاحاديث عن ليلى لتلهينى

وقال الهذلى فى حلاوة الحديث

وان حديثا منك لو تبذلينه * جنى النحل أو ألبان عوذ مطافل

العوذ جمع عائذ وهى الناقة اذا وضعت فاذا مشى ولدها فهى مرشح فاذا تبعها فهى متليه لانه يتلوها وهى فى هذا كله مطفل فان كان أول ولدها ولدته فهى بكر شعر

مطافيل أبكار حديث نتاجها * تشاب بماء مثل ماء المفاصل

ماء المفاصل فيه قولان أحدهما ان المفاصل ما بين الجبلين واحدها مفصل وانما أراد صفاء الماء لانه ينحدر عن الجبال ولا يمر بطين ولا تراب ويقال انها مفاصل البعير وذكروا ان فيها ماء له صفاء وعذوبة وفى الكلام الموزون يقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن

(١) هو كغراب الكثير من الكلام والنزر القليل (٢) هى الخمر

جعفر الزم الصمت ان فى الصمت حكما * واذا أنت قلت قولا فزنه

وقال أبوذؤيب وسرب يطلى بالعبير كانه * دماء ظباء بالنحور ذبيح *

بذلت لهن القول انك واجد * لما شئت من حلو الكلام فصيح

السرب الجماعة من النساء والبقر والطير والظباء بكسر السين ويقال فلان آمن السرب بفتح السين وخلى السرب وواسع السرب أى المسالك والمذاهب وانما هو مثل مضروب للصدر والقلب وعن الاصمعى فلان واسع السرب مكسور أى واسع الصدر بطىء التأنيب قال وأنشد للحكم بن ريحان من بنى عمرو بن كلاب

ياأجدل الناس ان جادلته جدلا * وأكثر الناس ان عاتبته مللا

كانما عسل رجعان منطقها * ان كان رجع الكلام يشبه العسلا

وقال القطامى وفى الخدور غمامات برقن لنا * حتى تصيدننا من كل مصطاد

فهن ينبذن من قول يصبن به * مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

ينبذن يلقين الغلة والغليل العطش الشديد والصادى العطشان أيضا الاسم الصدى

وقال الاخطل شمس اذا خطل(١) الحديث أوانس * يرقبن كل مرقب(٢) تنبال

لتنبال القصير والجذر مثله والشمس النوافر

أنف كان حديثهن تنادم * بالكاس كل عقيلة مكسال

الانف جمع الانف وهى المنكرة للشئ غير راضية عنه العقيلة المصونة فى أهلها وعقيلة كل شئ خيرته والمكسال ذات الكسل عن الحركه وقال أبو العميثل

لقيت ابنة السهمى زينب من عفر * ونحن حرام مسى عاشرة العشر

وانى واياها الحتم مبيتنا * جميعا ومسرانا مغذ وذو فتر

فكلمتها ثنتين كالثلج منهما * على اللوح والاخرى أحر من الجمر

تقول ما يلقانا فلان الا عن عفر أى بعد مدة مسى أى وقت ويقال اغذ السير اذا جد فيه وأسرع واللوح بالفتح العطش يقال لاح الرجل يلوح لوحا والتاح يلتاح التياحا اذا عطش واللوح أيضا الذى يكتب فيه واللوح بالضم الهواء يقال لا أفعل ذلك لو نزوت فى اللوح أو حتى تنزو فى اللوح وأنشد

وانا لنجرى بيننا حين نلتقى * حديثا له وشى كوشى المطارف

حديث كطعم القطر فى المحل(٣) يشتفى * به من جوى فى داخل القلب لاطف(٤)

وقال الشماخ بن ضرار التغلبى يقر بعينى ان أنبأ أنها * وان لم أنلها ايم لم تزوج

وكنت اذا لاقيتها كان سرنا * وما بيننا مثل الشواء الملهوج

(١) يقال خطل كفرح اذا فسد الكلام (٢) هو كعظم الجلد يسلخ من قبل الرأس (٣) الشدة والجدب وانقطاع المطر (٤) يقال لطف كنصر اذا دق وخفى

يريد انهما من خوف الرقباء كانا على عجلة والملهوج المعجل الذى لم ينتظر به النضج وقال جران العود فنلنا سقاطا من حديث كانه * جنى النحل أو أبكار كرم يقطف

حديثا لوان البقل يولى بمثله * زها البقل واخضر العضاه المصيف

وقال الكميت وحديثهن اذا التقينا * تهاتف البيض الغرائر

فاذا ضحكن عن العذاب * لنا المستغات الثواغر

كان التهلل بالتبسم * لا الفهاهة(١) بالقراقر

وقال الآخر ولما تلاقينا جرى من عيوننا * دموع كففنا غربها بالاصابع

ونلنا سقاطا من حديث كانه * جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع (٢)

وقال الاشعث بن سمى

هل تعرف المبدا الى السنام * ناط به سواحر الكلام * كلامهن برء ذى السقام

وقال الراجز ووصف عيون الظباء بالسحر وذكر وساصفراء فقال

صفراء فرع خطموها بوتر * لأم(٣) ممر مثل حلقوم النغر(٤)

حدت ظبات أسهم مثل الشرر * فصرعتهن بأكناف الحفر

حور العيون بابليات النظر * يحسبها الناظر من وحش البشر ويروى البقر

﴿باب آخر﴾ من الاسجاع فى الكلام قال عمر بن ذر الله المستعان على ألسنة تصف وقلوب تعرف وأعمال تخالف ولما مدح عتيبة بن مرداس عبد الله بن عباس قال لا أعطى من يعصى الرحمن ويطيع الشيطان ويقول البهتان وفى الحديث المأثور يقول العبد مالى مالى وانما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو أعطيت فأمضيت أو لبست فابليت وقال النمر بن تولب أعاذل ان يصبح صداى بقفرة * بعيدا نآنى صاحبى وقريبى

ترى ان ما أبقيت لم أك ربه * وان الذى أنفقت كان نصيبى

الصدى طائر يخرج من قبر الميت فينعى اليه ضعف وليه وعجزه وهذا كانت العرب تقوله فى الجاهلية وهو ههنا مستعار أى ان أصبحت أنا ووصف اعرابى رجلا فقال صغير القدر قصير الشبر ضيق الصدر لئيم النجر عظيم الكبر كثير الفخر الشبر القامة والنجر الطباع ووصف بعض الخطباء رجلا فقال ما رأيت أضرب لمثل ولا أركب لجمل ولا أصعد فى قلل(٥) منه وقال سأل بعض الامراء رسولا قدم من جهة السند كيف رأيتم البلاد فقال ماؤها وشل(٦) ولصها بطل وتمرها دقل (٧) ان كثر الجند بها جاعوا وان قلوا بها ضاعوا وقيل لصعصعة بن معاوية من أين أقبلت قال من الفج العميق قال فاين تريد قال البيت العتيق قال واهل من مطر قال نعم حتى عفا الاثر وأنضر الشجر ودهده الحجر واستجار عون بن عبد الله بن

(١) هى العى وقلة الكلام والقراقر لعله جمع قرقرة وهى الضحك بصوت (٢) هو جمع وقيعة وهى نقرة فى جبل أو سهل يستنقع فيها الماء (٣) هو السهم الذى عليه ريش يلائم بعضها بعضا (٤) هى كصرد أولاد البلبل أو العصافير (٥) هو جمع قلة وهو ما ارتفع من الشئ (٦) الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة (٧) هو اردى،

عتبة بن مسعود بمحمد بن مروان بنصيبين وتزوج بها امرأة فقال محمد كيف ترى نصيبين قال كثيرة العقارب قليلة الاقارب يريد بقوله قليلة كقول القائل فلان قليل الحياء ليس يريد أن هنالك حياء وان قل يضعون قليلا فى موضع ليس وولى علاء الكلابى عملا خسيسا بعد ان كان على عمل جسيم فقال العنوق (١) بعد النوق قال ونظر رجل من العباد الى باب بعض الملوك فقال باب جديد وموت عتيد ونزع شديد وسفر بعيد وقيل لبعض العرب أى شئ تمنى وأى شئ أحب اليك قال لواء منشور والجلوس على السرير والسلام عليك أيها الامير وقيل لآخر وصلى ركعتين وأطال فيهما وقد كان أمر بقتله أجزعت من الموت فقال ان أجزع فقد أرى كفنا منشورا وسيفا مشهورا وقبرا محفورا وقال عبد الملك ابن مروان لأعرابى ما أطيب الطعام قال بكرة سنمة معتبطة غير ضمنه فى قدور رذمه (٢) بشفار خذمه (٣) فى غداة شبمه فقال عبد الملك وأبيك لقد أطيبت والشبم البرد وقالوا لا تغتر بمناصحة الامير اذا غشك الوزير وقالوا من صادق الكتاب أغنوه ومن عاداهم أفقروه وقالوا اجعل قول الكذاب ريحا تكن مستريحا وقيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشى لم تؤثر السجع على المنثور وتلزم نفسك القوافى واقامة الوزن قال ان كلامى لو كنت لا آمل فيه الاسماع الشاهد لقل خلافى عليك ولكنى أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر فالحفظ اليه أسرع والآذان لسماعه أنشط وهو أحق بالتقييد وبقلة التفلت وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره قالوا فقد قيل للذى قال يا رسول الله أرأيت من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل أليس مثل ذلك بطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الجاهلية قال عبد الصمد لو أن هذا المتكلم لم يرد الا اقامة لهذا الوزن لما كان عليه بأس ولكنه عسى ان يكون أراد ابطالا لحق فتشادق فى كلامه وقال غير عبد الصمد وجدنا الشعر من القصيد والرجز قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم واستحسنه وأمر به شعراءه وعامة أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد قالوا شعرا قليلا كان ذلك أم كثيرا وسمعوا واستنشدوا فالسجع والمزدوج دون القصيد والرجز فكيف يحل ما هو أكثر ويحرم ما هو أقل وقال غيرهما اذا لم يطل ذلك ولم تكن القوافى مطلوبة مجتلبة أو ملتمسة متكلفة وكان ذلك كقول الاعرابى لعامل الماء حلبت ركابى وحرقت ثيابى وضربت صحابى منعت ابلى من الماء والكلأ والركاب ما يركب من الابل قال أو سجع أيضا فقال الاعرابى فكيف أقول لانه لو قال حلبت ابلى أو جمالى أو نوقى أو بعرانى أو صرمتى لكان لم يعبر عن حق معناه وانما حلبت ركابه فكيف يدع الركاب الى

(١) هو جمع عناق كسحاب وهى أنثى أولاد المعز يضرب مثلا للضيق بعد السعة (٢) هى القصعة الممتلئة تصب جوانبها (٣) هى القاطعة

غير

غير الركاب وكذا قوله حرقت ثيابى وضربت صحابى لان الكلام اذا قل وقع وقوعا لا يجوز تغييره واذا طال وجدت فى القوافى ما يكون مجتلبا ومطلوبا مستكرها وفى الحديث المأثور ويدخل على من طعن فى قوله تعالى (تبت يدا أبى لهب) وزعم انه شعر لانه فى تقدير مستفعلن مفاعلن وطعن فى قوله عليه السلام

هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

فيقال له اعلم انك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم ورسائلهم لوجدت فيها مثل مستفعلن فاعلن كثيرا وليس أحد فى الارض يجعل ذلك المقدار شعرا ولو ان رجلا من الباعة صاح من يشترى باذنجان لقد كان تكلم بكلام فى وزن مستفعلن مفعولان فكيف يكون هذا شعرا وصاحبه لم يقصد الى الشعر ومثل هذا المقدار من الوزن قد يتهيأ فى جميع الكلام واذا جاء المقدار الذى يعلم انه من نتاج الشعر والمعرفة بالاوزان والقصد اليها كان ذلك شعرا وهذا قريب والجواب فيه سهل بحمد الله وسمعت غلاما لصديق لى وكان قد سقى بطنه يقول لغلمان مولاه * اذهبوا بى الى الطبيب وقولوا قد اكتوى * وهذا الكلام يخرج وزنه فاعلاتن مفاعلن مرتين وقد علمت ان هذا الغلام لم يخطر بباله قط أن يقول بيت شعر أبدا ومثل هذا كثير لو تتبعته فى كلام حاشيتك وغلمانك لوجدته وكان الذى كره الاسجاع بعينها وان كان دون الشعر فى التكلف والصنعة ان كهان العرب الذين كان أكثر أهل الجاهلية يتحاكمون اليهم وكانوا يدعون الكهانة وان مع كل واحد منهم رئيا (١) من الجن مثل حازى جهينة ومثل شق وسطيح وعزى سلمة وأشباههم كانوا يتكهنون ويحكمون بالاسجاع كقوله والارض والسماء والعقاب والصقعاء (٢) واقعة ببقعاء (٣) لقد نفر المجد بنى العشراء للمجد والسناء وهذا الباب كثير ألا ترى ان ضمرة بن ضمرة وهرم بن قطبة والاقرع بن حابس ونفيل بن عبد العزى كانوا يحكمون وينفرون بالاسجاع وكذلك ربيعة بن حذار قالوا فوقع النهى فى ذلك لقرب عهدهم بالجاهلية ولبقيتها فيهم وفى صدور كثير منهم فلما زالت العلة زال التحريم وقد كان الخطباء تتكلم عند الخلفاء الراشدين فتكلمون فى تلك الخطب أسجاعا كثيرة فلم ينهوا منهم احدا وكان الفضل بن عيسى الرقاشى سجاعا فى قصصه وكان عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وابان بن أبى عياش يأتون مجالسه قال له داود بن أبى هند لولا انك تفسر القرآن برأيك لاتيناك فى مجالسك قال فهل ترانى أحرم حلالا وأحل حراما وانما كان يتلو الآية التى فيها ذكر النار والجنة والحشر والموت واشباه ذلك وقد كان عبد الصمد بن الفضل وابو العباس بن القاسم بن يحيي وعامة قصاص البصرة وهم أخطب من الخطباء يجلس اليهم عامة الفقهاء وقد كان النهى ظاهرا عن مرثية أمية بن أبى الصلت لقتلى أهل بدر كقوله

(١) هو التابع من الجن (٢) هى الشمس (٣) هى القطعة من الارض المخالفة لما جاورها

* هلا بكيت على الكرام * بنى الكرام أولى الممادح

وروى ناس شعرها بذلك فى هجاء الاعشى لعلقمة بن علاثة فلما زالت العلة زال النهى وقال أبو وائلة بن خليفة فى عبد الملك بن المهلب

لقد صبرت للذل أعواد منبر * تقوم عليها فى يديك قضيب
بكى المنبر الغربى اذ قمت فوقه * فكادت مسامير الحديد تذوب
رأيتك لما شبت أدركك الذى * يصيب سراة الازد حين تشيب
سفاهة أحلام وبخل بنائل * وفيك لمن عاب المزون(١) عيوب

قال وخطب الوليد بن عبد الملك فقال ان أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول ان الحجاج جلدة ما بين عينى الا وانه جلدة وجهى كله وخطب الوليد بعد وفاة الحجاج وتوليته يزيد بن أبى مسلم فقال انما مثلى ومثل يزيد بن أبى مسلم بعد الحجاج كمن سقط منه درهم فاصاب دينارا شبيب بن شيبة قال حدثنى خالد بن صفوان قال خطبنا يزيد بن المهلب بواسط فقال انى قد أسمع قول الرعاع قد جاء مسلمة وقد جاء العباس وقد جاء أهل الشام وما أهل الشام الا تسعة أسياف سبعة منها معى واثنان على وأما مسلمة فجرادة صفراء وأما العباس فنسطوس بن نسطوس اتاكم فى برابرة وصقالبة وجرامقة وجراجمة واقباط وانباط واخلاط من الناس انما أقبل اليكم الفلاحون والاوباش كاشلاء(٢) اللحم والله ما لقوا أقواما قط كحدكم وحديدكم وعددكم وعديدكم أعيرونى سواعدكم ساعة من نهار تصفقون بها خراطيمهم فانما هى غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين ومدح بشار مزاز مرد العتكى بالخطب وركوبه المنابر بل رثاه وابنه فقال

ما بال عينك دمعها مسكوب * سهرت فانت بنومها محروب(٣)
وكذا من صحب الحوادث لم يزل * تأتى عليه سلامة ونكوب
يا أرض ويحك اكرميه فانه * لم يبق للعتكى فيك ضريب(٤)
ابهى على خشب المنابر قائما * يوما وأحزم اذ تشب حروب

قال كان سوار بن عبد الله أول تميمى خطب على منبر البصرة ثم خطب عبيد الله بن الحسن وولى منبر البصرة أربعة من القضاة فكانوا قضاة أمراء بلال وسوار وعبيد الله وأحمد بن رباح وكان بلال قاضيا ابن قاض ابن قاض وقال رؤبة

فانت يا ابن القاضيين قاضى * معترم على الطريق ماضى

قال أبو الحسن المدائنى كان عبيد الله بن الحسن حيث وفد على المهدى معزيا أعد له كلاما فبلغه ان الناس قد أعجبهم كلامه فقال لشبيب بن شيبة انى والله ما التفت الى هؤلاء ولكن سل لى عنها أبا عبيد الله الكاتب فسأله فقال ما أحسن ما تكلم به على انه أخذ مواعظ

(١) هو الماضى لوجهه الذاهب (٢) أى قطع اللحم (٣) أى مسلوب (٤) أى نصيب

الحسن

الحسن ورسائل غيلان فلقح بينهما كلاما فأخبره بذلك شبيب فقال عبيد الله لا والله ان أخطأ حرفا واحدا وكان محمد بن سليمان له خطبة لا يغيرها وكان يقول ان الله وملائكته فكان يرفع الملائكة فقيل له ذلك فقال خرجوا لها وجها ولم يكن يدع الرفع قال وصلى بنا حزيمة يوم النحر فخطب فلم يسمع من كلامه الا ذكر أمير المؤمنين الرشيد وولى عهده محمد قال وكان زهير بن محمد الضبى يدار به اذا قرع المنبر وقال الشاعر

أمير المؤمنين اليك نشكو * وان كنا نقوم بغير عذر
غفرت ذنوبنا وعفوت عنه * وليست منك أن تعفو بنكر(١)
فان المنبر البصرى يشكو * على العلات اسحق بن شمر
أضبى على خشبات ملك * كمركب ثعلب ظهر الهزبر(٢)

وقال بعض شعراء العسكر يهجو رجلا من أهل العسكر

مازلت تركب كل شئ قائم * حتى اجترأت على ركوب المنبر
مازال منبرك الذى دنسته * بالامس منك كحائض لم تطهر

(وقال آخر) فامنبر دنسته باست افكل(٣) * بزاك ولو طهرته بابن طاهر

﴿باب﴾ اسحاق عبد الله بن المبارك عن بعض أشياخه عن الشعبى قال قال عيسى بن مريم عليه السلام البر ثلاثة المنطق والمنظر والصمت فمن كان منطقه فى غير ذكر فقد لغا ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته فى غير فكر فقد لها وقال على بن أبى طالب كرم الله تعالى وجهه أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج وقال يزيد بن المهلب وهو فى الحبس والهفاه على طلبة بمائة ألف وفرج فى جبهة الاسد وقال عمر رضى الله تعالى عنه استغزروا الدموع بالتذكر وقال الشاعر * ولا يبعث الاحزان مثل التذكر * حفص قال سمعت عيسى بن عمر يقول سمعنا الحسن يقول اقدعوا هذه النفوس فانها طلعة واعصوها فانكم ان أطعتموها تنزع بكم الى شر غاية وحادثوها بالذكر فانها سريعة الدثور اقدعوا كفوا طلعة أى تطلع الى كل شئ حادثوا أى اجلوا واشحذوا والدثور الدروس يقال دثر أثر فلان أى ذهب كما يقال درس وعفا قال فحدثت بهذا الحديث أبا عمرو بن العلاء فتعجب من كلامه وقال الشاعر سمعنا بهجا أوجفت فذكرته * ولا يبعث الاحزان مثل التذكر الوجيف السير الشديد يقال وجف الفرس والبعير وأوجفته ومثله الايضاع وهو الاسراع أراد بهجاء أقبلت سرعة ومن الاسجاع قول أيوب بن القرية وقد كان دعى للكلام فاحتبس القول عليه فقال قد طال السمر وسقط القمر واشتد المطر فماذا ينتظر فاجابه فتى من عبد القيس فقال قد طال الارق وسقط الشفق وكثر اللثق فلينطق من نطق اللثق الندى الوحل وقال اعرابى لرجل نحن والله آكل منكم للمأدوم وأكسب منكم للمعدوم وأعطى منكم

(١) هكذا بالاصل ولعله بنكر (٢) هو الاسد (٣) هو كاحد الرعدة وهو على حذف مضاف أى ذى افكل

للمعروم ووصف اعرابى رجلا فقال ان رفدك لنجيح وان خيرك لسريح وان منعك لمريح سريح عجل مريح أى مريح من كد الطلب وقال عبد الملك لاعرابى ما أطيب الطعام فقال بكرة سنمة فى قدور ذدمة بشفار خذمه فى غداة شبمة فقال عبد الملك وأبيك لقد أطبت وسئل اعرابى فقيل له ما أشد البرد فقال ريح جربيا(١) فى ظل عماء فى غب سماء ودعا اعرابى فقال اللهم انى أسألك البقاء والنماء وطيب الاناء وحط الاعداء ورفع الاولياء الاناء الرزق وقال ابراهيم النخعى لمنصور بن المعتمر سل مسألة الحمق واحفظ حفظ الكيسا ووصفت عمة حاجز اللص حاجزا فقضلته وقالت كان حاجز لا يشبع ليلة يضاف ولا ينام ليلة يخاف ووصف بعضهم فرسا فقال أقبل بزبرة الاسد وادبر بعجز الذئب الزبرة مغرز العنق ويقال الشعر الذى بين كتفيه ووصف بانه محطوط الكفل قال ولما اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة قام رجل يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال هذا أمير المؤمنين وأشار بيده الى معاوية فان مات فهذا وأشار بيده الى يزيد فمن أبى فهذا وأشار بيده الى سيفه فقال معاوية أنت سيد الخطباء قالوا ولما قامت خطباء نزار عند معاوية فذهبت فى الخطب كل مذهب قام صبرة بن شيمان فقال يا أمير المؤمنين انا حى فعال ولسنا حى مقال ونحن نبلغ بفعالنا أكثر من مقال غيرنا قال ولما وفد الاحنف فى وجوه أهل البصرة الى عبد الله بن الزبير تكلم أبو حاضر الاسيدى وكان خطيبا جميلا فقال له عبد الله بن الزبير اسكت فوالله لوددت ان لى بكل عشرة من أهل العراق رجلا من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم قال يا أمير المؤمنين ان لنا ولك مثلا أفتأذن فى ذكره قال نعم قال مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام قول الاعشى حيث يقول

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

وأحبك أهل العراق وأحببت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك بن مروان على بن مجاهد عن حميد ابن أبى البخترى قال ذكر معاوية لابن الزبير بيعة يزيد فقال ابن الزبير انى أناديك ولا أناجيك ان أخاك من صدقك فانظر قبل أن تقدم وتفكر قبل أن تندم فان النظر قبل التقدم والتفكر قبل التندم فضحك معاوية ثم قال تعلمت أبا بكر السجاعة عند الكبر ان فى دون ما سجعت به على أخيك ما يكفيك ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير أخبرنا ثمامة بن اشرس قال لما صرفت اليمانية من أهل مزة الماء عن أهل دمشق ووجهوه الى الصحارى كتب اليهم ابو الهيذام الى بنى أستها أهل مزة ليمسينى الماء أو لتصبحنكم الخيل قال فوافاهم الماء قبل أن يعتموا أى يصيرون فى وقت عتمة الليل وعتمة ظلامه يقال عتم الليل يعتم اذا أظلم واعتم الناس صاروا فى وقت العتمة فقال أبو الهيذام الصدق ينبى عنك لا الوعيد وحدثنى ثمامة عمن قدم عليه من أهل الشام قال لما بايع الناس يزيد

(١) هى الشمال أو الريح بين الجنوب والصبا

ابن الوليد وأتاه الخبر عن مروان بن محمد ببعض التلكؤ(١) والتحبس وكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد أما بعد فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا أتاك كتابى هذا فاعتمد على أيهما شئت والسلام وهاهنا مذاهب تدل على اصالة الرأى ومذاهب تدل على تمام النفس وعلى الصلاح والكمال لا أرى كثيرا من الناس يقفون عليها واستعمل عبد الملك بن مروان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث خال مروان على مكة فخطب ذات يوم وأبان بن عثمان بحذاء المنبر فشتم طلحة والزبير فلما نزل قال لابان أرضيتك من المدهنين(٢) فى أمير المؤمنين قال لا والله ولكن سؤتنى حسبى أن يكونا شركاء فى أمره فما أدرى أيهما أحسن كلام أبان بن عثمان هذا أم اسحق بن عيسى فانه قال أعيذ عليا بالله أن يكون قتل عثمان وأعيذ عثمان بالله أن يقتله على فمدح عليا بكلام سديد غير نافر ومقبول غير وحشى وذهب الى معنى الحديث فى قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أشد أهل النار عذابا من قتل نبيا أو قتله نبى يقول لا يتفق أن يقتله نبى بنفسه الا وهو أشد خلق الله معاندة وأجرؤهم على معصيته فيقول لا يجوز أن يقتله على الا وهو مستحق للقتل ﴿ خطبة ﴾ من خطب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال خطب النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعشر كلمات حمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم ان المؤمن بين مخافتين بين عاجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به وبين آجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبرة ومن الحياة قبل الموت فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار أبو الحسن المدائنى قال تكلم عمار بن ياسر يوما فأوجز فقيل له لو زدتنا قال أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم باطالة الصلاة وقصر الخطبة محمد بن اسحق عن يعقوب بن عتبة عن شيخ من الانصار من بنى زريق ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أتى بسيف النعمان بن المنذر دعا جبير بن مطعم فسلحه اياه ثم قال يا جبير ممن كان النعمان قال من أشلاء(٣) قنص بن معد وكان جبير أنسب العرب وكان أخذ النسب عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وعن جبير أخذه سعيد بن المسيب وروى عن بعض ولد طلحة قال قلت لسعيد بن المسيب علمنى النسب قال أنت رجل تريد ان تساب الناس قال وثلاثة فى نسق واحد كانوا أصحاب نسب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أخذ ذلك عن الخطاب وكان كثيرا ما يقول سمعت ذلك عن الخطاب ولم أسمع ذلك من الخطاب والخطاب بن نفيل ونفيل بن عبد العزى تنافر اليه عبد المطلب وحرب بن أمية فنفر عبد المطلب أى حكم لعبد المطلب والمنافرة المحاكمة قال

(١) هو التأخر (٢) لعله من ادهب بمعنى أزال مضمنا الطا (٣) جمع شلو وهو كل مسلوخ أكل منه شىء وبقيت منه بقية عنى

والنساب أربعة دغفل بن حنظلة وعميرة أبو ضمضام وصبح الحنفى وابن الكيس النمرى قال الاصمعى دغفل بن حنظلة والنساب البكرى وكان نصرانيا ولم يسمه

﴿ذكر كلمات خطب بها سليمان بن عبد الملك﴾

قال اتخذوا كتاب الله اماما وارضوا به حكما واجعلوه قائدا فانه ناسخ لما قبله ولم ينسخه كتاب بعده قال وأول كلام بارع سمعوه منه الكلام فيما يعنيك خير من السكوت عما يضرك والسكوت عما لا يعنيك خير من الكلام فيما يضرك خلاد بن يزيد الارقط قال سمعت من يخبرنا عن الشعبى قال ما سمعت متكلما على منبر قط تكلم فاحسن الا تمنيت ان يسكت خوفا من أن يسىء الا زيادا فانه كلما كان أكثر كان أجود كلاما وكان نوفل بن مساحق اذا دخل على امرأته صمت واذا خرج من عندها تكلم فرأته يوما كذلك فقالت اما عندى فتطرق وأما عند الناس فتنطق قال لانى أدق عن جليلك وتجلين عن دقيقى قال أبو الحسن قاد عياش بن الزبرقان بن بدر الى عبد الملك بن مروان خمسة وعشرين فرسا فلما جلس لينظر اليها نسب كل فرس منها الى جميع آبائه وأمهاته وحلف على كل فرس بيمين غير اليمين التى حلف بها على الفرس الآخر فقال عبد الملك بن مروان عجبى من اختلاف أيمانه أشد من عجبى من معرفته بانساب الخيل وقال كان للزبرقان بن بدر ثلاثة أسماء القمر والزبرقان والحصين وكانت له ثلاث كنى أبو شذرة وأبو عياش وأبو عباس وكان عياش ابنه خطيبا ماردا شديد العارضة شديد الشكيمة وجيها وله يقول جرير

أعياش قد ذاق القيون (١) مرارتى * وأوقدت نارا فادن دونك فاصطلى

فقال عياش انى اذا لمقرور قالوا فغلب عليه

﴿باب أسماء الخطباء والبلغاء والانبياء وذكر قبائلهم وأنسابهم﴾

كان التدبير فى أسماء الخطباء وحالاتهم وأوصافهم أن نذكر أسماء أهل الجاهلية على مراتبهم وأسماء أهل الاسلام على منازلهم ونجعل لكل قبيلة منهم خطباء ونقسم أمورهم بابا بابا على حدته ونقدم من قدمه الله عز وجل ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فى النسب وفضله فى الحسب ولكنى لما عجزت عن نظمه وتنضيده تكلفت ذكرهم فى الجملة والله المستعان وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله كان الفضل بن عيسى الرقاشى من اخطب الناس وكان متكلما وكان قاصا مجيدا وكان يجلس اليه عمرو بن عبيد وهشام بن حسان وأبان بن أبى عياش وكثير من الفقهاء وهو رئيس الفضلية واليه ينسبون وخطب اليه ابنته سوادة بنت الفضل سليمان بن طرخان التيمى فولدت له المعتمر بن سليمان وكان سليمان مباينا للفضل فى المقالة فلما ماتت سوادة شهد الجنازة المعتمر وأبوه فقدما الفضل وكان الفضل لا يركب الا الحمير فقال له عيسى بن حاضر انك لتؤثر الحمير على جميع المركوب فلم ذلك قال لما فيها من المرافق والمنافع قال قلت مثل أى شئ قال لا تستبدل

(١) هو جمع القين وهو الحداد والعبد

بالمكان

بالمكان على قدر اختلاف الزمان ثم هى أقلها داء وأيسرها دواء وأسلم صريعا وأكثر تصرفا وأسهل مرتقى وأخفض مهوى وأقل جماحا وأشهر فارها وأقل نظيرا يزهى راكبه وقد تواضع بركوبه ويكون مقتصدا وقد أسرف فى ثمنه قال ونظر يوما الى حمار تحت سالم بن قتيبة فقال قعدة نبى وبذلة جبار قال عيسى بن حاضر ذهب الى حمار عزير والى حمار مسيح الدجال والى حمار بلعم وكان يقول لو أراد أبو سيارة عميلة بن اعزلة أن يدفع بالموسم على فرس عربى أو جمل مهرى لفعل ولكنه ركب عيرا أربعين عاما لانه كان يتأله (١) وقد ضرب به المثل فقالوا أصح من عير سيار والفضل هو الذى يقول فى قصصه سل الارض فقل من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وكان عبد الصمد بن الفضل أغزر من أبيه وأعجب وأبين وأخطب قال وحدثنى أبو جعفر الصوفى القاص قال تكلم عبد الصمد فى خلق البعوضة وفى جميع شأنها ثلاثة مجالس تامة وكان يزيد بن ابان عم الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشى من أصحاب أنس والحسن كان يتكلم فى مجلس الحسن وكان زاهدا عابدا وعالما فاضلا وكان خطيبا وكان قاصا مجيدا قال أبو عبيدة وكان أبوهم خطيبا وكذلك جدهم وكانوا خطباء الاكاسرة فلما سبوا وولدلهم الاولاد فى بلاد الاسلام وفى جزيرة العرب نزعهم ذلك العرق فقاموا فى أهل هذه اللغة كقيامهم فى أهل تلك اللغة وفيهم شعر وخطب ومازالوا كذلك حتى اصهر الغرباء اليهم ففسد ذلك العرق ودخله الخور (٢) *ومن خطباء اياد قس بن ساعدة وهو الذى قال فيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت وهو القائل فى هذه آيات محكمات مطر ونبات وآباء وأمهات وذاهب وآت ونجوم تمور وبحور لا تغور وسقف مرفوع ومهاد موضوع وليل داج وسماء ذات أبراج مالى أرى الناس يموتون ولا يرجعون أرضوا فأقاموا أم حبسوا فناموا وهو القائل يا معشر اياد أين ثمود وعاد وأين الاباء والاجداد أين المعروف الذى لم يشكر والظلم الذى لم ينكر أقسم قس قسما بالله ان لله دينا هو أرضى له من دينكم هذا وانشدوا له هذه

في الذاهبين الاولين * من القرون لنا بصائر

لما رأيت مواردا * للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومى نحوها * تمضى الاكابر والاصاغر

لا يرجع الماضى ولا * يبقى من الباقين غابر

أيقنت انى لا محاله * حيث صار القوم صاير

ومن الخطباء زيد بن على بن الحسين وكان خالد بن عبد الله أقر على زيد بن على وداود بن على وأيوب بن سلمة المخزومى وعلى بن محمد بن عمر بن على وعلى بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن

(١) التأله التعبد (٢) الخور الضعف

عوف فسأل هشام زيدا عن ذلك فقال أحلف لك قال واذا حلفت أصدقك قال زيد اتق الله قال أومثلك يا زيد يأمرمثلى بتقوى الله قال زيد لا أحد فوق أن يوصى بتقوى الله ولا دون أن يوصى بتقوى الله قال هشام بلغنى انك تريد الخلافة ولا تصلح لها لانك ابن أمة قال زيد فقد كان اسمعيل بن ابراهيم صلوات الله عليه ابن أمة واسحاق عليه السلام ابن حرة فأخرج الله عز وجل من صلب اسماعيل عليه السلام خير ولد آدم محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم فعندها قال له قم قال اذا لا ترانى الا حيث تكره ولما خرج من الدار قال ما أحب أحد الحياة قط الا ذل فقال له سالم مولى هشام لا يسمعن هذا الكلام منك أحد وقال محمد بن عمران زيد لما رأى الارض قد طبقت جورا ورأى قلة الاعوان ورأى تخاذل الناس كانت الشهادة أحب المنيات اليه وكان زيد كثيرا ما ينشد

شرده الخوف وأزرى به * كذاك من يكره حر الجلاد
منخرق الخفين يشكو الوجى(١) * تنكبه أطراف مرو حداد
قد كان فى الموت له راحة * والموت حتم فى رقاب العباد

قال وكثيرا ما ينشد شعر العبسى فى ذلك

ان المحكم من لم يرتقب حسبا * أو يرهب السيف أو حد القنا جنفا(٢)
من عاذ بالسيف لاقى فرصة عجبا * موتا على عجل أو عاش منتصفا

ولما بعث يوسف بن عمر برأس زيد ونصر بن خزيمة مع شبة بن عقال وكلف آل أبى طالب ان يبرؤا من زيد ويقوم خطباؤهم بذلك فأول من قام عبد الله بن الحسن فأوجز فى كلامه ثم جلس ثم قام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر فأطنب فى كلامه وكان شاعرا بينا وخطيبا لسنا فانصرف الناس وهم يقولون ابن الطيار أخطب الناس فقيل لعبد الله بن الحسن فى ذلك فقال لو شئت أن أقول لقلت ولكن لم يكن مقام سرور فأعجب الناس ذلك منه ومن أهل الدهاء والنكراء ومن أهل اللسن واللقن والجواب العجيب والكلام الفصيح والامثال السائرة والمخارج العجيبة هند بنت الخس وهى الزرقاء وجمعة بنت حابس ويقال ان حابسا من اياد وقال عامر بن عبد الله الفزارى جمع بين هند وجمعة فقيل لجمعة أى الرجال أحب اليك قالت الشنق (٣) الكبد الظاهر الجلد الشديد الجذب بالمسد فقيل لهند أى الرجال أحب اليك قالت القريب الامد الواسع البلد الذى يوفد اليه ولا يفد وقد سئلت هند عن حر الصيف وبرد الشتاء فقالت من جعل بؤسا كأذى وقد ضرب بها المثل فمن ذلك قول ليلى بنت النضر الشاعرة

وكنز بن جدعان دلالة أمه * وكانت كبنت الخس أو هى أكبر

وقال ابن الاعرابى يقال بنت الخس وبنت الخص وهى الزرقاء وبنت الخسف وقال يونس

(١) هو الحفا أو أشد منه (٢) جمع مروة وهى الحجارة (٣) هو شديد الشوق

لا يقال الا بنت الاخس وهى الزرقاء وقال أبو عمرو بن العلاء داهيتا نساء العرب هند الزرقاء وعنز الزرقاء وهى زرقاء اليمامة قال القيطرى قيل لعبد الله بن الحسن ما تقول فى المراء قال ما عسى أن أقول فى شئ يفسد الصداقة القديمة ويحل العقدة الوثيقة وان كان لاقل ما فيه ان يكون دربة للمغالبة والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما أتاه السائب بن صيفى فقال أتعرفنى يا رسول الله قال كيف لا أعرف شريكى الذى كان لا يشارينى ولا يمارينى قال فتحولت الى زيد بن على فقلت له الصمت خير أم الكلام قال أخزى الله المساكتة فما أفسدها للبيان وأجلبها للحصر والله للمماراة أسرع فى هدم العى من النار فى يبس العرفج ومن السيل فى الحدور وقد عرف زيد ان المماراة مذمومة ولكنه قال المماراة على ما فيها أقل ضررا من المساكتة التى تورث البلدة وتحل العقدة وتفسد المنة وتورث عللا وتولد أدواء أيسرها العى فالى هذا المعنى ذهب زيد ومن الخطباء خالد بن سلمة المخزومى من قريش وأبو حاضر وسالم وقد تكلم عند الخلفاء ومن خطباء بنى اسيد الحكم ابن يزيد بن عمير وقد رأس ومن أهل اللسن منهم والبيان الحجاج بن عمير بن زيد ومن الخطباء سعيد بن سعيد بن العاصى بن سعيد بن العاصى بن أمية قال وقيل لسعيد بن المسيب من أبلغ الناس قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقيل له ليس عن هذا نسألك قال معاوية وابنه وسعيد وابنه وما كان ابن الزبير بدونهم ولكن لم يكن لكلامه طلاوة مقبولة فمن العجب أن ابن الزبير ملأ دفاتر العلماء كلاما وهم لا يحفظون لسعيد بن العاصى وابنه من الكلام الا ما له بال وكان سعيد جوادا ولم ينزع قميصه قط وكان اسود نحيفا وكان يقال له عكة العسل

وقال الحطيئة سعيد فلا يغررك قلة لحمه * تخدد(١) عنه اللحم وهو صليب

وكان أول من خش (٢) الابل فى نفس عظم الانف وكان فى تدبيره اضطراب وقال قائل من أهل الكوفة

يا ويلتا قد ذهب الوليد * وجاءنا مجوعا سعيد * ينقص فى الصاع ولا يزيد

قال والامراء تحبب الى الرعية بزيادة المكاييل ولو كان المذهب فى الزيادة فى الاوزان كالمذهب فى الزيادة فى المكاييل ما قصروا كما سأل الاحنف عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الزيادة فى المكاييل ولذلك اختلف أسماء المكاييل كالزيادى والفالج والخالدى حتى صرنا الى هذا الملجم اليوم ثم من الخطباء عمرو بن سعيد وهو الاشدق يقال ان ذلك انما قيل له لتشادقه فى الكلام وقال آخرون بل كان أفقم مائل الذقن ولذلك قال عبيد بن زياد حين أهوى الى عبد الله بن معاوية يدك عنه يا لطيم الشيطان ويا عاصى الرحمن

وقال الشاعر وعمرو لطيم الجن وابن محمد * بأسوأ هذا الامر ملتبسان

ذكر ذلك عن عوانة وهذا خلاف قول الشاعر

تشادق حتى مال بالقول شدقه * وكل خطيب لا أبا لك أشدق

(١) يقال تخدد لحمه اذا هزل نقص (٢) أى جعل فى انفها الخشاش وهو خشب ونحوه يجعل فى أنف البعير

قال وكان معاوية قد دعا به فى غلمة من قريش فلما استنطقه قال ان أول كل مركب صعب وان مع اليوم غدا وقال له الى من أوصى بك أبوك قال ان أبى أوصى الى ولم يوص بى قال وبأى شئ أوصاك قال بان لا يفقد اخوانه منه الا شخصه قال فقال معاوية عند ذلك ان ابن سعيد هذا الاشدق فهذا يدل عندهم على انه انما سمى بالاشدق لمكان التشادق ثم كان بعد عمرو بن سعيد سعيد بن عمرو بن سعيد وكان ناسبا خطيبا وأعظم الناس كبرا وقيل له عند الموت ان المريض ليستريح الى الانين والى أن يصف ما به الى الطبيب فقال

أجاليد من ريب المنون فلا ترى * على هالك عينا لنا الدهر تدمع

ودخل على عبد الملك مع خطباء قريش وأشرافهم فتكلموا من قيام وتكلم وهو جالس فتبسم عبد الملك وقال لقد رجوت عثرته ولقد أحسن حتى خفت عثرته فسعيد بن عمرو بن سعيد خطيب ابن خطيب ابن خطيب ومن الخطباء سهيل بن عمرو والاعلم أحد بنى حسل بن معيص وكان يكنى أبا يزيد وكان عظيم القدر شريف النفس صحيح الاسلام وكان عمر رضى الله تعالى عنه قال للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم يا رسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا أبدا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا أمثل فيمثل الله بى وان كنت نبيا دعه يا عمر فعسى أن يقوم مقاما نحمده فلما هاج أهل مكة عند الذى بلغهم من وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قام خطيبا فقال أيها الناس ان يكن محمد قد مات فان الله حى لم يمت وقد علمتم انى أكثركم قتبا فى بر وجارية فى بحر فأقروا أميركم وأنا ضامن ان لم يتم الامر أن أردها عليكم فسكن الناس وهو الذى قال يوم خرج اذن عمر وهو بالباب وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس وفلان وفلان فقال الآذن أين بلال أين صهيب أين سلمان أين عمار فتمعرت وجوه القوم فقال سهيل لم تتمعر وجوهكم دعوا ودعينا فاسرعوا وابطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم فى الجنة أكثر * ومن الخطباء عبد الله بن عروة بن الزبير قالوا وكان خالد بن صفوان يشبه به وما علمت انه كان فى الخطباء أحد أجود خطبا من خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة للذى يحفظ الناس ويدور على ألسنتهم من كلامهما وما علمنا ان أحدا ولد لهما حرفا واحدا ومن النسابين من بنى العنبر ثم من بنى المنذر الختف بن زيد بن جعونة وهو الذى تعرض له دغفل بن حنظلة العلامة عند ابن عامر بالبصرة فقال له متى عهدك بسجاح أم صادر فقال له مالى بها عهد منذ أضلت أم حلس وهى بعض أمهات دغفل فقال له أنشدتك بالله أنحن كنا لكم أكثر غزوا فى الجاهلية أم أنتم لنا قال بل أنتم فلم تفلحوا ولم تنجحوا غزانا فارسكم وسيدكم وابن سيدكم فهزمناه مرة وأسرناه مرة وقتلناه مرة وأخذنا فى فدائه خدر أمه وغزانا أكثركم غزوا وأنبهكم فى ذلك ذكرا فاعرجناه ثم أرجلناه فقال ابن عامر أسألكما بالله لما كففتما وكان عبد الله بن عامر ومصعب ابن الزبير يحبان أن يعرفا حالات الناس فكان يغريان بين الوجوه وبين العلماء فلا جرم

انهما

انهما كانا اذا سبا أوجعا وكان ابو بكر رضى الله تعالى عنه أنسب هذه الامة ثم عمر ثم جبير ابن مطعم ثم سعيد بن المسيب ثم محمد بن سعيد بن المسيب ومحمد هو الذى نفى الى عنكثة المخزوميين (١) فرفع ذلك الى والى المدينة فجلده الحد وكان ينشد

ويربوع بن عنكثة ابن أرض * واعتقه هبيرة بعد حين

يعنى هبيرة بن أبى وهب المخزومى ومن النسابين العلماء عتبة بن عمرو بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وكان من ذوى الرأى والدهاء وكان ذا منزلة من الحجاج بن يوسف وعمر بن عبد الرحمن خامس خمسة فى الشرف وكان هو الساعى بين الازد وتميم فى الصلح ومن بنى الحرقوص شعبة بن القلعم وكان ذا لسان وجواب عارضة وكان وصافا فصيحا وبنوه عبد الله وعمر وخالد كلهم كانوا فى هذه الصفة غير ان خالدا كان قد جمع بين بلاغة اللسان العلم والحلاوة والظرف وكان الحجاج لا يصبر عنه ومن بنى أسيد بن عمرو بن تميم ابو بكر بن الحكم كان ناسبا راوية شاعرا وكان أحلى الناس لسانا وأحسنهم منطقا وأكثرهم تصرفا وهو الذى يقول له رؤبة لقد خشيت أن تكون ساحرا * راوية طورا وطورا شاعرا ومنهم معالل بن خالد أحد بنى أنمار بن الهجيم وكان نسابة علامة راوية صدوقا مقلدا وذكر للمنتجع بن نبهان فقال كان لا يجارى ولا يمارى ومنهم من بنى العنبر ثم من بنى عمرو بن جندب أبو الخنساء عباد بن كسيب وكان شاعرا علامة وراوية نسابة وكانت له حرمة بابى جعفر المنصور (ومنهم) عمرو بن خولة كان ناسبا خطيبا وراوية فصيحا من ولد سعيد بن العاصى والذى أتى سعيد بن المسيب ليعلمه النسب هو اسحق بن يحيى بن طلحة وكان يحيى ابن عروة بن الزبير ناسبا عالما ضربه ابراهيم بن هشام المخزومى والى المدينة حتى مات لبعض القول وكان مصعب بن عبد الله بن ثابت ناسبا عالما ومن ولده الزبيرى عامل الرشيد على المدينة واليمن (ومنهم) ثم من قريش محمد بن جعفر بن حفص وهو ابن عائشة ويكنى أبا بكر وابنه عبيد الله كان يجرى مجراه يكنى أبا عبد الرحمن ومن خزاعة بن مازن أبو عمرو وأبو سفيان ابنا العلاء بن عمار بن العريان فأما أبو عمرو فكان اعلم الناس بامور العرب مع صحة سماع وصدق لسان وحدثنى الاصمعى قال جلست الى أبى عمرو عشر حجج ما سمعته يحتج ببيت اسلامى قال وقال مرة لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت ان آمر فتياننا بروايته يعنى شعر جرير والفرزدق وأشباههما وحدثنى أبو عبيدة قال كان أبو عمرو أعلم الناس بالعرب والعربية وبالقراءة والشعر وأيام الناس وكان داره خلف دار جعفر بن سليمان قال وكانت كتبه التى كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له الى قريب من السقف ثم انه تقرأ فاحرقها كلها فلما رجع بعد الى علمه الاول لم يكن عنده الا ما حفظه بقلبه وكان عامة اخباره عن اعراب قد أدركوا الجاهلية وفى أبى عمرو بن العلاء يقول الفرزدق

(١) هكذا هو بالاصل ولعل فيه تحريفا

مازلت أفتح أبوابا وأغلقها * حتى أتيت أبا عمرو بن عمار

فاذا كان الفرزدق وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم يقول فيه مثل هذا القول فهو الذى لا يشك فى خطابته وبلاغته وقال يونس لولا شعر الفرزدق لذهب نصف اخبار الناس وقال فى أبى عمرو مكى بن سوادة

الجامع العلم ننساه ويحفظه * والصادق القول ان انداده كذبوا

وكان أبو سفيان بن العلاء ناسبا وكلاهما كناهما اسماؤهما وكذلك أبو عمرو بن العلاء وأبو سفيان بن العلاء بن لبيد التغلبى خليفة عيسى بن شبيب المازنى على شرط البصرة وكان عقيل بن أبى طالب ناسبا عالما بالامهات بين اللسان شديد الجواب لا يقوم له أحد وكان أبو الجهم بن حذيفة العدوى ناسبا شديد المعارضة كثير الذكر للامهات بالمثال ورؤساء النسابين دغفل بن حنظلة أحد بنى عمرو بن شيبان لم يدرك الناس مثله لسانا وعلما وحفظا ومن هذه الطبقة زيد بن الكيس النمرى ومن نسابى كلب بن محمد بن السائب وهشام بن محمد بن السائب وشرقى بن القطامى وكان أعلاهم فى العلم ممن ضربت به المثل حماد بن بشر قال سماك العكلى

فسائل دغفلا وأخا هلال * وحمادا ينبؤك اليقينا

وقد ذكرنا دغفلا وأخو هلال هو زيد بن الكيس وبنو هلال حى من النمر بن قاسط وقال مسكين بن أنيف الدارمى فى ذلك

وعند الكيس النمرى علم * ولو أمسى بمخرق الشمال

وقال ثابت قطنة

فما العضان لو سئلا جميعا * أخو بكر وزيد بنى هلال

ولا الكلبى حماد بن بشر * ولا من فاد فى الزمن الخوالى

وقال زياد الاعجم

بل لو سألت أخا ربيعة دغفلا * لوجدت فى شيبان نسبة دغفل

ان الاحابين والذين يلونهم * شر الانام ونسل عبد الاعزل

يهجو فيها بنى الخنساء ومنهم اياس النمرى كان أنسب الناس وهو الذى قال كانوا يقولون أشعر العرب أبو داود الايادى وعدى بن زيد العبادى وكان أبو نوفل ابن أبى عقرب علامة ناسبا خطيبا فصيحا وهو رجل من كنانة أحد بنى عريج ومن بنى كنانة ثم من بنى ليث ثم من بنى الشداخ يزيد بن بكر بن داب وكان يزيد عالما ناسبا وراوية شاعرا وهو القائل

الله يعلم فى على علمه * وكذاك علم الله فى عثمان

وولد يزيد يحيى وعيسى هو الذى يعرف فى العامة بابن داب وكان من أحسن الناس حديثا وبيانا وكان شاعرا راوية وصاحب رسائل وخطب وكان يجيدها جدا ومن آل داب حذيفة ابن داب وكان عالما ناسبا وفى آل داب علم بالنسب والخبر وكان أبو الاسود الدؤلى واسمه ظالم ابن عمرو بن جندل بن سفيان خطيبا عالما وكان قد جمع شدة العقل وصواب الرأى وجودة

للسان وقول الشعر والظرف وهو يعد فى هذه الاصناف وفى الشيعة وفى العرجان وفى المفاليج وعلى كل شىء من هذا شاهد سيقع فى موضعه ان شاء الله تعالى وقال الحس لابنته هند أريد شراء فحل لابلى قالت ان اشتريته فاشتره اسجح الخدين غاير العينين أرقب أخرم اعكى أكوم ان عصى غشم وان أطيع تجرثم وهى التى قالت لما قيل لها ما حملك على ان زنيت بعبدك قالت طول السواد وقرب الوساد السواد السرار أسجح سهل واسع يقال ملكت فاسجح أرقب غليظ الرقبة أخرم منتفخ موضع الخرم أعكى العكوة مغرز الورك فى المؤخر تصفه بشدة الوركين ان عصى غشم ان عصته الناقة غصبها نفسها تجرثم أى بقى مأخوذ من الجرثومة وهى الطين والتراب يجمع حول النخلة ليقويها تصفه بالصبر والقوة على الضراب أكوم عظيم السنام وقال الشاعر فى السواد

ويفهم قول الحكل لو ان ذرة * تساود أخرى لم يفته سوادها

يقال فى لسان فلان حكلة اذا كان شديد الحبسة مع لثغ قالوا وعاتب هشام بن عبد الملك زيد ابن على فقال له بلغنى عنك شىء فقال يا أمير المؤمنين أحلف لك قال واذا حلفت لى أصدقك قال نعم ان الله لم يرفع أحدا فوق الا يرضى به ولم يضع أحدا دون الا يرضى منه به كان زياد بن ظبيان التيمى العايشى خطيبا فدخل عليه ابنه عبيد الله وهو يكيد بنفسه قال ألا أوصى بك الامير زيادا قال لا قال ولم قال اذا لم يكن للحى الا وصية الميت فالحى هو الميت وكان عبيد الله أفتك الناس وأخطب الناس وهو الذى أتى باب مالك بن مسمع ومعه نار ليحرق عليه داره وقد كان نابه أمر فلم يرسل اليه قبل الناس فأشرف عليه مالك فقال مهلا يا أبا مطر فوالله ان فى كنانتى سهم أنا به أوثق منى بك قال وانك لتعدنى فى كنانتك فوالله لو ان قمت فيها لطلتها ولو قعدت فيها لخرقتها قال مالك مهلا أكثر الله فى العشيرة مثلك قال لقد سألت الله شططا ودخل عبيد الله على عبد الملك بن مروان بعد ان أتاه برأس مصعب بن الزبير ومعه ناس من وجوه بكر بن وائل فأراد أن يقعده معه على سريره فقال له عبد الملك ما بال الناس يزعمون انك لا تشبه أباك قال والله لانا أشبه بأبى من الليل بالليل والغراب بالغراب والماء بالماء ولكن ان شئت انبأتك بمن لا يشبه أباه قال ومن ذاك قال من لم يولد لتمام ولم تنضجه الارحام ولم يشبه الاخوال والاعمام قال ومن ذاك قال ابن عمى سويد بن منجوف قال عبد الملك أو كذلك أنت يا سويد قال نعم فلما خرجا من عنده أقبل عليه سويد فقال وريت بك زنادى والله ما يسرنى انك نقصته حرفا واحدا مما قلت له وان لى حمر النعم قال وأنا والله ما يسرنى بحلمك اليوم عنى سود النعم قال وأتى عبيد الله عتاب بن ورقاء وعتاب على اصبهان فأعطاه عشرين ألف درهم فقال والله ما أحسنت فأحمدك ولا أسأت فأذمك وانى لاقرب البعداء وأبعد القرباء قال وقال أشيم بن شقيق بن ثور لعبيد الله بن زياد بن ظبيان ما أنت قائل لربك وقد حملت رأس مصعب بن الزبير الى عبد الملك بن مروان قال اسكت

فأنت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان اذا تكلمت الحوارج فما ظنك ببلاغة رجل مثل عبيد الله بن زياد و يضرب به المثل وانما أردنا بهذا الحديث خاصة الدلالة على تقديم صعصعة بن صوحان فى الخطب وأولى من كل دلالة استنطاق على له وكان عثمان بن عروة أخطب الناس وهو الذى قال والشكر وان قل ثمن لكل نوال وان جل وكان ثابت ابن عبد الله بن الزبير من أبين الناس ولم يكن خطيبا وكان قسامة بن زهير أحد بنى رزام بن مازن مع زهده ونسكه ومنطقه من أبين الناس وكان يعدل بعامر بن عبد قيس فى زهده ومنطقه وهو الذى قال روحوا هذه القلوب تعى الذكر وهو الذى قال يامعشر الناس ان كلامكم أكثر من صمتكم فاستعينوا على الكلام بالصمت وعلى الصواب بالفكر وهو الذى كان رسول عمر فى البحث عن شأن المغيرة وشهادة أبى بكرة وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا وفصيحا جامعا وجيد الرأى كثير الادب وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء ومن خطباء قريش خالد بن سلمة المخزومى وهو ذو الشفة وقال الشاعر فى ذلك

فما كان قائلهم دغفل * ولا الحيقطان ولاذو الشفة

ومن خطباء العرب عطارد بن حاجب بن زرارة وهو كان الخطيب عند النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال فيه الفرزدق بن غالب

ومنا خطيب لا يعاب وحامل * أغر اذا التفت عليه المجامع

ومن الخطباء عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وكان مع ذلك راوية ناسبا شاعرا ولما رجع عن قول المرجئة الى قول الشيعة قال

وأول مانفارق غير شك * نفارق مايقول المرجئونا
وقالوا مؤمن من آل جور * وليس المؤمنون بجائرينا
وقالوا مؤمن دمه حلال * وقد حرمت دماء المؤمنينا

وكان حين هرب الى محمد بن مروان فى فك ابن الاشعث ألزمه ابنه (١) يؤدبه و يقومه فقال له يوما كيف ترى ابن أخيك قال ألزمتنى رجلا ان غبت عنه عتب وان أتيته حجب وان عاتبته غضب ثم لزم عمر بن عبد العزيز وكان ذا منزلة منه قالوا وله يقول جرير

ياأيها الرجل المرخى عمامته * هذا زمانك انى قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا ان كنت لاقيه * انى لدى الباب كالمشدود فى قرن
وقدر آك وفود الحافقين معا * ومذ وليت أمور الناس لم ترنى

وكان الجارود بن أبى سبرة و يكنى أبا نوفل من أبين الناس وأحسنهم حديثا وكان راوية علامة شاعرا مفلقا وكان من رجال الشيعة ولما استنطقه الحجاج قال ماظننت ان بالعراق مثل هذا وكان يقول ماأمكننى وال قط من أذنه الا غلبت عليه ماخلا هذا اليهودى يعنى بلال بن

(١) ى جعل معه ابنه ليؤدبه فابنه مفعول ثان لالزم

ابى بردة وكان عليه متحاملا فلما بلغه انه دهق (١) حتى دقت ساقه وجعل الوتر فى خصيية أنشأ يقول

لقد قرعينى ان ساقيه دقتا * وان قوى الاوتار فى البيضة اليسرى
بخانت وراجعت الخيانة والخنا * فيسرك الله المقدس للعسرى
فاحذع سوء نخر السوس جوفه * يعالجه النجار (٢) يبرى كما تبرى

وانما ذكر الخصية اليسرى لان العامة تقول ان الولد منها يكون ومن الخطباء الذين لايضاهون ولايجارون عبد الله بن عباس قالوا خطبنا بمكة وعثمان رضى الله تعالى عنه محاصر خطبة لوشهدتها الترك والديلم لاسلمتا قال وذكره حسان بن ثابت فقال

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملتقطات لاترى بينها فضلا
كفى وشفى مافى النفوس ولم يدع * لذى اربة فى القول جدا ولاهزلا
سموت الى العليا بغير مشقة * فنلت ذراها لادنيا ولا وغلا

وقال الحسن كان عبد الله بن عباس أول من عرف بالبصرة صعد المنبر فقرأ البقرة وآل عمران ففسرهما حرفا حرفا وكان والله مثجا يسيل غربا وكان يسمى البحر وحبر قريش وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وقال عمر غص غواص ونظر اليه يتكلم فقال * شنشنة أعرفها من أخزم * الشعر لابى أخزم الطائى وهو جد أبى حاتم طى أو جد جده وكان له ابن يقال له أخزم فمات وترك بنين فوثبوا يوما على جدهم ابى أخزم فأدموه فقال

ان بنى زملونى بالدم * شنشنة أعرفها من أخزم

أى انهم أشبهوا أباهم فى طبيعته وخلقه واحسبه كان به عاقا فهكذا ذكر ابن الكلبى والشنشنة مثل الطبيعة والسجية فأراد عمر رضى الله تعالى عنه انى أعرف فيك مشابهة فى أبيك فى رأيه وعقله و يقال انه لم يكن لقرشى مثل رأى العباس ومن خطباء بنى هاشم أيضا داود بن على وكان يكنى أبا سليمان وكان أنطق الناس وأجودهم ارتجالا واقتضابا للقول و يقال انه لم يتقدم فى تحبير خطبة قط وله كلام كثير معروف محفوظ فمن ذلك خطبته على أهل مكة شكرا شكرا أما والله ماخرجنا لنحتفر فيكم نهرا ولا لنبنى فيكم قصرا أظن عدو الله ان لم نظفر به أن أرخى له فى زمامه حتى عثر فى فضل خطامه فالآن عاد الامر فى نصابه وطلعت الشمس من مطلعها وأخذ القوس باريها وعاد النبل الى النزعة ورجع الامر الى مستقره فى أهل بيت نبيكم أهل بيت الرأفة والرحمة ومن خطباء بنى هاشم عبد الله بن الحسن وهو القائل لابنه براهيم أو محمد أى بنى انى مؤد اليك حق الله فى تأديبك فأد الى حق الله فى حسن الاستماع أى بنى كف الاذى وارفض البذاء واستعن على الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسك فيها الى القول فان للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب واحذر مشورة

(١) الدهق محركة خشبتان يغمز بهما الساق فارسية اشكنجه (٢) هو خبر جذع أى فما الجذع الموصوف بتلك الصفة يبرى و يدق كما تبريك السقام

الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر مشورة العاقل اذا كان غاشا يوشك الى أن يورطاك بمشورتهما فيسبق اليك مكر العاقل وغرارة الجاهل قال الحسن بن خليل كان المأمون قد استثقل سهل بن هارون فدخل عليه سهل يوما والناس عنده على منازلهم فتكلم المأمون بكلام فذهب فيه كل مذهب فلما فرغ المأمون من كلامه أقبل سهل بن هارون على ذلك الجمع فقال مالكم تسمعون ولا تعون وتشاهدون ولا تفقهون وتفهمون ولا تعجبون وتنظرون ولا تبصرون والله انه ليفعل و يقول فى اليوم القصير مثل مافعل بنو امروان وقالوا فى الدهر الطويل عربكم كعجمهم وعجمكم كعبيدهم ولكن كيف يعرف الدواء من لايشعر بالداء قال فرجع له المأمون بعد ذلك الى الرأى الاول ومن خطباء بنى هاشم ثم من ولد جعفر بن سليمان سليمان بن جعفر والى مكة قال المكى سمعت مشايخنا من أهل مكة يقولون انه لم يرد عليهم امير منذ عقلوا الكلام الا وسليمان أبين منه قاعدا وأخطب منه قائما وكان داود بن جعفر اذا خطب اسحنفر (١) فلم يرده شئ وكان فى لسانه شبيه بالرتة وكان أيوب فوق داود فى الكلام والبيان ولم يكن له مقامات داود فى الخطب وقال عيسى بن اسحاق لداود بن جعفر بلغنى ان معاوية قال للنجار ابن أوس أبغنى محدثا قال ومعى ياأمير المؤمنين تريد محدثا قال نعم استريح منك اليه ومنه اليك وأنا الآن أستريح الى غير حديثك ولا يكون صمتك فى حال من الحالات أوفق لى من كلامك وكان اسمعيل بن جعفر من أدق الناس لسانا وأحسنهم بيانا ومن خطباء بنى هاشم جعفر بن حسن بن الحسن بن على وكان أحد من ينازع زيدا فى الوصية فكان الناس يجتمعون ليسمعوا محاوراتهما فقط وجماعة من ولد العباس فى عصر واحد لم يكن لهم نظراء فى اصالة الرأى وفى الكمال والجلالة وفى العلم بقريش والدولة وبرجال الدعوة مع البيان العجيب والغور البعيد والنفوس الشريفة والاقدار الرفيعة وكانوا فوق الخطباء وفوق أصحاب الاخبار وكانوا يجلون عن هذه الاسماء الا أن يصف الواصف بعضهم ببعض ذلك منهم عبد الملك بن صالح قال وسأله الرشيد وسليمان بن أبى جعفر وعيسى بن جعفر شاهدان فقال له كيف رأيت أرض كذا وكذا قال مسافى (٢) ريح ومنابت شيح قال فأرض كذا وكذا قال هضاب حمر وبراث عفر قال حتى أتى على جميع ما أراد قال فقال عيسى لسليمان والله ما ينبغى لنا أن نرتضى لانفسنا بالدون من الكلام الهضبة الجبل ينبسط على الارض وجمعها هضاب والبراث الاماكن اللينة السهلة واحدها برث وقوله عفر أى حمرتها كحمرة التراب والظبى الاعفر الاحمر لان حمرته كذلك والعفر والعفر التراب ومنه قيل ضربه حتى عفره أى ألحقه بالتراب ومن هؤلاء عبد الله بن صالح والعباس بن محمد واسحق بن عيسى واسحق بن سليمان وأيوب بن جعفر هؤلاء كانوا أعلم بقريش و بالدولة وبرجال الدعوة من المعمر وفين برواية الاخبار

(١) أى مضى مسرعا (٢) جمع مسفى وهو محل هبوب الريح

وكان ابراهيم بن السندى يحدثنى عن هؤلاء بشئ هو خلاف مافى كتب الهيثم بن عدى وابن الكلبى واذا سمعته علمت أنه ليس من المؤالف المزور وكان عبد الله بن على وداود بن على يعدلان بأمة من الامم ومن مواليهم ابراهيم ونصر ابنا السندى فاما نصر فكان صاحب أخبار وأحاديث وكان لا يعد وحديث ابن الكلبى والهيثم وأما ابراهيم فانه كان رجلا لانظير له وكان خطيبا وكان ناسبا وكان فقيها وكان نحويا عروضيا وحافظا للحديث راوية للشعر شاعرا وكان فخم الالفاظ شريف المعانى وكان كاتب القلم كاتب العمل وكان يتكلم بكلام رؤبة ويعمل فى الخراج بعمل زاذان فروخ الاعور وكان منجما طبيبا وكان من رؤساء المتكلمين وعالما بالدولة وبرجال الدعوة وكان أحفظ الناس لما سمع وأقلهم نوما وأصبرهم على السهر ومن خطباء تميم جحدب وكان خطيبا راوية وكان قضى على جرير فى بعض مذاهبه فقال جرير

قبح الاله ولا يقبح غيره * بظرا تفلق عن مفارق جحدب

وهو الذى كان لقيه خالد بن سلمة المخزومى الخطيب الناسب فقال والله ما أنت من حنظلة الاكرمين ولا سعد الاكثرين ولا عمرو الاسدين ومافى تميم خير بعد هؤلاء فقال له جحدب والله انك لمن قريش وما أنت من بيتها ولا نبوتها ولا من شوارها (١) وخلافتها ولا من أهل سدافتها (٢) وسقايتها وهو شبيه بما قال خالد بن صفوان للعبدرى فانه قال له هشمتك هاشم وأمتك أمية وخزمتك مخزوم وأنت من عبد دارها ومنتهى عارها تفتح لها الابواب اذا أقبلت وتغلقها اذا أدبرت ومن ولد المنذر عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن هبيرة بن المنذر وكان فقيها عالما قاضيا وكان راوية شاعرا وكان خطيبا ناسبا وكان حاضر الجواب مفوها (٣) وكان لاجتماع هذه الخصال فيه يشبه بعامر الشعبى وكان يكنى أبا شبرمة وقال يحيى بن نوفل

لما سألت الناس أين المكرمه * والعز والجرثومة المقدمه

وأين فاروق الامور والمحكمه * تتابع الناس على ابن شبرمه

وابن شبرمه الذى يقول فى أبى ليلى

وكيف ترجى لفصل القضاء * ولم تصب الحكم فى نفسكا

فتزعم انك لابن الجلاح * وهيهات دعواك من أصلكا

قال وقال رجل من فقهاء المدينة من عندنا خرج العلم قال فقال ابن شبرمه نعم ثم لم يرجع اليكم قال وقال عيسى بن موسى دلونى على رجل أوليه مكان كذا وكذا فقال ابن شبرمه أصلح الله الامير هل لك فى رجل ان دعوتموه أجابكم وان تركتموه لم يأتكم ليس بالملح طلبا ولا بالممعن هربا وسئل عن رجل فقال ان له شرفا وبيتا وقدما ونظروا فاذا هو ساقط من السفلة فقيل له فى ذلك فقال ما كذبت شرفه أذناه وقدمه التى يمشى عليها ولا بد من أن يكون بيت يأوى اليه

(١) هو بالفتح الحسن (٢) هو كذلك بالاصل ولعله سدانتها وهى حجابة البيت (٣) هو كمعظم المنطيق

قال أبو اسحاق بل كذبت انما هو كقول القائل حين سأله بعض من أراد تزويج حرمة عن رجل فقال هو يبيع الدواب فلما نظر وافى أمره وجدوه يبيع السنانير فلما سئل عن ذلك قال ما كذبت لان السنور دابة قال أبو اسحق بل لعمرى لقد كذبت وهذا مثل قول القائل حين سئل عن رجل فى تزويج امرأة فقال رزين المجلس نافذ الطعنة فحسبوه سيدا فارسا فنظروا فوجدوه خياطا فسئل عن ذلك فقال ما كذبت انه لطويل الجلوس جيد الطعن بالابرة فقال أبو اسحاق بل لعمرى لقد كذب لانه قد غرهم منه وكذلك لو سأله رجل عن رجل يريد أن يسلفه مالا عظيما فقال هو يملك مالا كان يبيعه بمائة ألف ومائة ألف فلما بايعه الرجل وجده معدما ضعيف الحيلة فلما قيل له فى ذلك قال ما كذبت لانه يملك عينيه وأذنيه وأنفه وشفتيه حتى عد جميع أعضائه وجوارحه ومن قال لمستشير هذا القول فقد غره وذلك مما لا يحل فى دين ولا يحسن فى الحرية وهذا القول معصية لله تعالى والمعصية لا تكون صدقا وأدنى منازل هذا الخبر لا يسمى صدقا فاما التسمية له بالكذب فان فيها كلاما يطول ومن الخطباء المشهورين فى العوام والمقدمين فى الخواص خالد بن صفوان الاهتمى زعموا جميعا انه كان عند أبى العباس أمير المؤمنين وكان من سماره وأهل المنزلة عنده ففخر عليه ناس من بلحارث بن كعب وأكثروا فى القول فقال أبو العباس لم لا تتكلم ياخالد فقال أخوال أمير المؤمنين وعصبته قال فأنتم أعمام أمير المؤمنين وعصبته قال خالد وما عسى أن أقول لقوم كانوا بين ناسج برد ودابغ جلد وسائس قرد وراكب عرد(١) دل عليهم هدهد وغرقتهم فأرة وملكتهم امرأة فلئن كان خالد قد فكر وتدبر هذا الكلام انه للراوية الحافظ والمؤالف المجيد ولئن كان هذا شيأ حضره حين حرك وبسط فماله نظير فى الدنيا فتأمل هذا الكلام فانك ستجده مليحا مقبولا وعظيم القدر جليلا ولو خطب اليمانى بلسان سحبان وائل حولا كريتا(٢) ثم صك بهذه الفقرة ماقامت له قائمة وكان أذكر الناس لاول كلامه وأحفظهم لكل شئ سلف من منطقه قال مكى بن سوادة فى صفته له

عليم بتنزيل الكلام ملقن * ذكور لما سداه أول أولا
يبذ قريع(٣) القوم فى كل محفل * وان كان سحبان الخطيب ودغفلا
ترى خطباء الناس يوم ارتجاله * كانهم الكروان عاين أجدلا

الكروان جمع كروان وهو ذكر الحبارى والاجدل الصقر وكان يقارض شبيب بن شيبة لاجتماعهما على القرابة والمجاورة والصناعة فذكر شبيب عنده مرة فقال ليس له صديق فى السر ولا عدو فى العلانية وهذا كلام ليس يعرف قدره الا الراسخون فى هذه الصناعة وكان خالد جميلا ولم يكن بالطويل فقالت له امرأة انك لجميل ياأباصفوان قال وكيف تقولين هذا ومافى عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه فقيل له ماعمود الجمال فقال الطول ولست

(١) هو الحمار (٢) عبارة القاموس سنة كريت تامة (٣) هو كفصيل السيد

بطويل ورداؤه البياض ولست بأبيض وبرنسه سواد الشعر وأنا أشمط ولكن قولى انك لمليح ظريف وخالد يعد فى الصلعان ولكلام خالد كتاب يدور فى أيدى الوراقين وكان الازهر بن عبد الحارث بن ضرار ابن عمرو الضبى عالما ناسبا ومن خطباء بنى ضبة حنظلة بن ضرار وقد أدرك الاسلام وطال عمره حتى أدرك يوم الجمل وقيل له مابقى منك قال أذكر القديم وأنسى الحديث وآرق بالليل وأنام وسط القوم ومن خطباء بنى ضبة وعلمائهم منجور ابن غيلان ابن خرشة وكان مقدما فى المنطق وهو الذى كتب الى الحجاج انهم قد عرضوا على الذهب والفضة فما ترى ان آخذ قال أرى ان تاخذ الذهب فذهب عنه هاربا ثم قتله بعد وذكره القلاخ بن حزن المنقرى فقال

امثال منجور قليل ومثله * فتى الصدق ان صفقته كل مصفق
وما كنت أشريه بدنيا عريضة * ولا بابن خال بين غرب ومشرق
اذا قال بذ القائلين مقاله * ويأخذ من أكفائه بالمخنق

* ومن خطباء الخوارج قطرى بن الفجاءة وله خطبة طويلة مشهورة وكلام كثير محفوظ وكانت له كنيتان كنية فى السلم وهو أبو محمد وكنية فى الحرب وهو أبو نعامة وكانت كنية عامر بن الطفيل فى الحرب غير كنيته فى السلم كان يكنى فى الحرب بأبى عقيل وفى السلم بأبى على وكان يزيد بن مزيد يكنى فى السلم بأبى خالد وفى الحرب بأبى الزبير وقال مسلم بن الوليد الانصارى

لولا سيوف أبى الزبير وخيله * بشر الوليد لسيفه الضحاكا

وفيه يقول

لولا يزيد ومقدار له سبب * عاش الوليد مع الغاوين اعواما
.ل الخليفة سيفا من بنى مطر * يمضى فيخترق الارواح والهاما
اذا الخلافة عدت كنت انت لها * عزا وكان بنو العباس حكاما

الانراه قد ذكر قتل الوليد وقد كان خالد بن يزيد اكتنى بها فى الحرب فى بعض أيامه بمصر وهذا الباب مستقصى مع غيره فى أبواب الكنى والاسماء وهو وارد عليكم ان شاء الله تعالى * ومن خطباء الخوارج ابن صديقة وهو القاسم بن عبد الرحمن بن صديقة وكان صفريا خطيبا ناسبا ويشوبه ببعض الظرف والهزل * ومن علماء الخوارج شبيل بن عزرة الضبعى صاحب الغريب وكان راوية خطيبا وشاعرا ناسبا وكان سبعين سنة رافضيا ثم انتقل خارجيا صفريا ومن علماء الخوارج الضحاك بن قيس الشيبانى ويكنى اباسعيد وهو الذى ملك العراق وسار فى خمسين الفا وبايعه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وسليمان ابن هاشم بن عبد الملك وصليا خلفه وقال شاعرهم

ألم تر أن الله أظهر دينه * وصلت قريش خلف بكر بن وائل

وكان ابن عطاء الليثى يسامر الرشيد وكان صاحب أخبار واسمار وعلم بالانساب وكان أظرف الناس وأحلاهم وكان عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كريز راوية ناسبا وعالما بالعربية

فصيحا وكان عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر من أبين الناس وافصحهم وكان مسلمة بن عبد الملك يقول انى لانحى كور العمامة عن اذنى لاسمع كلام عبد الاعلى بن عبد الله قال وقال بعض الامراء وأظنه بلال بن أبى بردة لابى نوفل الجارود بن أبى سبرة ماذا تصنعون عند عبد الاعلى اذا كنتم عنده قال يشاهدنا باحسن استماع وأحسن حديث ثم يأتى الطباخ فيمثل بين يديه فيقول ما عندك فيقول عندى لون كذا وجدى كذا ودجاجة كذا ومن الحلو كذا قال ولم يسأل عن ذلك قال ليقصر كل رجل عما لا يشتهى حتى يأتيه ما يشتهى ثم يأتون بالخوان فيتضايق ونتسع ويقصر ونجتهد فاذا شبعنا خوى تخوية الظليم ثم أقبل يأكل أكل الجائع المقرور قال والجارود هو الذى قال سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وهو الذى قال عليكم بالمربد فانه يطرد الفكر ويجلو البصر ويجلب الخبر ويجمع بين ربيعة ومضر قال وصعد عثمان المنبر فارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانتم الى امام عادل أحوج منكم الى امام خطيب وستأتيكم الخطب على وجهها وتعلمون ان شاء الله تعالى وشخص يزيد بن عمر بن هبيرة الى هشام بن عبد الملك فتكلم فقال هشام ما مات من خلف مثل هذا فقال الابرش الكلبى ليس هناك أما تراه يرشح جبينه لضيق صدره قال يزيد ما لذلك رشح ولكن لجلوسك فى هذا الموضع وكان الابرش ثلابة نسابة وكان مصاحبا لهشام بن عبد الملك فلما أفضت اليه الخلافة سجد وسجد من كان عنده من جلسائه والابرش شاهد لم يسجد فقال له هشام ما منعك ان تسجد يا أبرش قال ولم أسجد وانت اليوم معى ماشيا وغدا فوقى طائرا قال فان طرت بك معى قال أتراك فاعلا قال نعم قال فالآن طاب السجود قال دخل يزيد بن عمر على المنصور وهو يومئذ أمير فقال أيها الامير ان عهد الله لا ينكث وعقده لا يحل وان امارتكم بكر فاذيقوا الناس حلاوتها وجنبوهم مرارتها قال سهل بن هارون دخل قطرب النحوى على المخلوع فقال يا أمير المؤمنين كانت عدتك أرفع من جائزتك وهو يتبسم قال سهل فاغتاظ الفضل بن الربيع فقلت له ان هذا من الحصر والضعف وليس هذا من الجلد والقوة أما تراه يفتل أصابعه ويرشح جبينه قال وقال عبد الملك لخالد بن سلمة المخزومى من أخطب الناس قال أنا قال ثم من قال سيد جذام يعنى روح ابن زنباع قال ثم من قال أخيفش ثقيف يعنى الحجاج قال ثم من قال أمير المؤمنين قال ويحك جعلتنى رابع أربعة قال نعم هو ما سمعت ومن خطباء الخوارج وعلمائهم ورؤسائهم فى الفتيا وشعرائهم ورؤساء قعدهم عمران بن حطان ومن علمائهم وشعرائهم وخطبائهم حبيب بن خدرة الهلالى وعداده فى بنى شيبان وممن كان يرى رأى الخوارج أبو عبيدة النحوى معمر بن المثنى مولى تيم بن مرة ولم يكن فى الارض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلم منه وممن كان يرى رأى الخوارج الهيثم بن عدى الطائى ثم البحترى وممن كان يرى رأى الخوارج شعيب بن رباب الحنفى أبو بكار صاحب أحمد بن أبى خالد ومحمد بن حسان السكسكى ومن

الخوارج من علمائهم ورواتهم مسلم بن كرزين وكنيته أبو عبيدة وكان أباضيا ومن علمائهم الصفرية وممن كان متقنعا فى الاخبار لاصحاب الخوارج والجماعة جميعا مليل وأظنه من بنى ثعلبة ومن أهل هذه الصنعة أصفر بن عبد الرحمن من اخوال طوق بن مالك ومن خطبائهم وفقهائهم وعلمائهم المقعطل قاضى عسكر الازارقة أيام قطرى ومن شعرائهم ورؤسائهم وخطبائهم عبيدة بن هلال اليشكرى وكان فى بنى السمين ومن بنى شيبان خطباء العرب وكان فيهم ذلك فاشيا ولذلك قال الاخطل

فاين ابن السمين الا يقوم خطيبها * واين ابن ذى الجدين لا يتكلم

وقال سحيم بن حفص كان يزيد بن عبد الله بن رؤبة الشيبانى من اخطب الناس عند يزيد ابن الوليد فأمر للناس بعطاءين * ومن الخطباء معبد بن طوق العنبرى دخل على بعض الامراء فتكلم وهو قائم فأحسن قال فلما جلس تلهيع (١) فى كلامه فقال له ما أظرفك قائما وأموقك (٢) قاعدا قال انى اذا قمت جددت واذا قعدت هزلت قال ما أحسن ما خرجت منها * ومن خطباء عبد القيس مصقلة بن رقبة بن مصقلة وكرب بن رقبة والعرب قد ذكروا من خطب العرب العجوز وهى خطبة لآل رقبة ومتى تكلموا فلا بد لهم منها أو من بعضها والعذراء وهى خطبة قيس بن خارجة لانه كان ابا عذرها والشوهاء وهى خطبة سحبان وائل وقيل ذلك لها من حسنها وذلك انه خطب بها عند معاوية فلم ينشد شاعر ولم يخطب خطيب وكان أبو عمار الطائى خطيب مذحج كلها فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته وكان النعمان أحمر العينين أحمر الجلد أحمر الشعر وكان شديد العربدة قتالا للندماء فنهاه أبو قردودة الطائى عن منادمته فلما قتله رثاه فقال

انى نهيت ابن عمار وقلت له * لا تأمنن أحمر العينين والشعره
ان الملوك متى تنزل بساحتهم * تطر بنارك من نيرانهم شرره
يا جفنة كازاء الحوض قد هدموا * ومنطقا مثل وشى اليمنة الحبره

وقال الاصمعى هو كقوله

ومنطق خرق بالعواسل * لذ كوشى اليمنة المراجل

قال وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الاهتم عن الزبرقان بن بدر فقال انه لمانع لحوزته مطاع فى أدنيه قال الزبرقان يا رسول الله انه ليعلم منى أكثر مما قال ولكنه حسدنى يا رسول الله فى شرفى فقصر بى فقال عمرو هو والله زمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فى عينيه فقال يا رسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت وما كذبت فى الاولى ولقد صدقت فى الآخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال وتكلم رجل فى حاجة عند عمر بن عبد العزيز

(١) تلهيع فى كلامه أفرط (٢) ماق حمق

وكانت حاجته فى قضائها مشقة قال فتكلم الرجل بكلام رقيق موجز وتأنى لها فقال عمر والله ان هذا للسحر الحلال ومن أصحاب الاخبار والآثار أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبى سبرة وكان القاضى قبل أبى يوسف ومن أصحاب الاخبار والآثار أبو هنيدة وأبو نعامة العدويان ❊ ومن الخطباء أيوب بن القرية وهو الذى لما دخل على الحجاج قال ما أعددت لهذا الموقف قال ثلاثة مصروف كأنهن ركب وقوف دنيا وآخرة ومعروف ثم قال له فى بعض ما يقول أقلنى عثرتى واسغنى ريقى فانه لا بد للجواد من كبوة وللسيف من نبوة وللحليم من هفوة قال كلا والله حتى أوردك جهنم ألست القائل برستقاباذ تغدوا الجدى قبل أن يتعشاكم قال ومن خطباء غطفان فى الجاهلية خويلد بن عمرو والعشراء بن جابر بن عقيل بن هلال بن سمى بن مازن بن فزارة وخويلد خطيب يوم الفجار ومن أصحاب الاخبار والنسب والخطب وأهل البيان الوضاح ابن خيثمة ومن أصحاب الاخبار والنسب والخطب والحكام عند أصحاب النفورات بنو الكوا واياهم يعنى مسكين بن أنيف الدارمى حين ذكر أهل هذه الطبقة فقال

كلا نا شاعر من حى صدق ❊ ولكن الرحى فوق الثقال(١)
وحكم دغفلا وارحل اليه ❊ ولا ترح المطى من الكلال
تعال الى بنى الكوا يقضوا ❊ بعلمهم بانساب الرجال
تعال لى ابن مذعور شهاب ❊ ينبى بالسوافل والعوالى
وعند الكيس النمرى علم ❊ ولو أضحى بمخرق الشمال

ومن الخطباء القدماء كعب بن لؤى وكان يخطب على العرب عامة ويحض كنانة خاصة على البر فلما مات أكبروا موته فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب بن لؤى الى عام الفيل ومن الخطباء الابيناء العلماء الذين جروا من الخطابة على أعراق قديمة شبيب بن شيبة وهو الذى يقول فى صالح بن أبى جعفر المنصور وقد كان المنصور أقام صالحا فتكلم فقال شبيب ما رأيت كاليوم أبين بيانا ولا أجود لسانا ولا أربط جنانا ولا أبل ريقا ولا أحسن طريقا ولا أغمض عروقا من صالح وحق لمن كان أمير المؤمنين أباه والمهدى أخاه أن يكون كما قال زهير

يطلب شأو امرأين قد ما حسنا ❊ نالا الملوك وبذا هذه السوقا
هو الجواد فان يلحق بشأوهما ❊ على تكاليفه فمثله لحقا
أو سبقاه على ما كان من مهل ❊ فمثل ما قدما من صالح سبقا

قال وخرج شبيب من دار الخلافة يوما فقال له قائل كيف رأيت الناس قال رأيت الداخل راجيا والخارج راضيا وقال خالد بن صفوان اتقوا مجانيق الضعفاء يريد الدعاء قال وقال شبيب بن شيبة اطلب الادب فانه دليل على المروءة وزيادة فى العقل وصاحب فى الغربة وصلة فى المجالس وقال شبيب للمهدى يوما أراك الله فى بنيك ما أرى أباك فيك وأرى الله

(١) لعله بالفتح البعير البطيء

بنيك فيك ما أراك فى أبيك وقال أبو الحسن قال زيد بن على بن الحسين اطلب ما يعنيك واترك ما لا يعنيك فان فى ترك ما لا يعنيك دركا لما يعنيك وانما تقدم على ما قدمت ولست تقدم على ما أخرت فآثر ما تلقاه غدا على ما لا تراه أبدا أبو الحسن عن ابراهيم بن سعد قال قال خالد بن صفوان ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة أبو الحسن قال كان أبو بكر خطيبا وكان عمر خطيبا وكان عثمان خطيبا وكان على خطيبا وكان من الخطباء معاوية ويزيد وعبد الملك ومعاوية بن يزيد ومروان وسليمان بن الوليد ووليد بن يزيد والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ومن خطباء بنى هاشم زيد بن على وعبد الله بن حسن وعبد الله بن معاوية خطباء لا يجارون ومن خطباء النساك والعباد الحسن بن أبى الحسن البصرى ومطرف بن عبد الله الحرشى ومورق العجلى وبكر بن عبد الله المزنى ومحمد ابن واسع الازدى ويزيد بن أبان الرقاشى ومالك بن دينار السامى وليس الامر كما قال فى هؤلاء لقاص المجيد والواعظ البليغ وذو المنطق الوجيز فأما الخطب فانا لا نعلم أحدا يتقدم الحسن البصرى فيها وهؤلاء وان لم يسموا خطباء فان الخطيب لم يكن يشق غبارهم أبو الحسن قال حدثنى أبو سليمان الحميرى قال كان هشام بن عبد الملك يقول انى لاستصفق العمامة الرقيقة أن تكون على أذنى اذا كان عبد الاعلى بن عبد الله بن عامر يتكلم مخافة أن يسقط عنى من حديثه شئ ومن الخطباء من بنى عبد الله بن غطفان أبو البلاد وكان راوية ناسبا ومنهم هاشم بن عبد الاعلى القرارى ❊ ومن الخطباء حفص بن معاوية الغلابى وكان خطيبا وهو الذى قال حين أشرك سليمان بن على بينه وبين مولى له على دارة القتب قال حفص أشركت بينى وبين غير الكفى ووليتنى غير السنى ومن بنى هلال بن عامر زرعة بن ضمرة وهو الذى قيل له لولا غلو فيه ما كان كلامه الا الذهب وقام عند معاوية بالشام خطيبا فقال معاوية يا أهل الشام هذا خالى فأتونى بخال مثله وكان ابنه النعمان بن زرعة بن ضمرة من أخطب الناس وهو أحد من كان تخلص من الحجاج من فل ابن الاشعث بالكلام اللطيف قال سحيم بن حفص ومن الخطباء عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالى تكلم هو وعبد الله بن الاهتم عند عمر بن هبيرة يفضل عاصما عليه وقال سحيم فقال قائل يومئذ الخل الحامض ما لم يكن ماء ❊ ومن خطباء بنى تميم عمرو بن الاهتم وكان يدعى المكحل لجماله وهو الذى قيل فيه انما شعره حلل منشرة بين أيدى الملوك تأخذ منه ما شاءت ولم يكن فى بادية العرب فى زمانه أخطب منه ومن بنى منقر عبد الله بن الاهتم وكان خطيبا ذا مقامات ووفادات ومن الخطباء صفوان بن عبد الله ابن الاهتم وكان خطيبا رئيسا وابنه خالد بن صفوان وقد وفد الى هشام وكان من سمار أبى العباس ومنهم عبد الله بن عبد الله بن الاهتم قد ولى خراسان ووفد على الخلفاء وخطب عند الملوك ومن ولده شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عبد الله بن الاهتم وعبد الله بن عبد الله ابن عبد الله بن الاهتم وخاقان بن الاهتم وهو عبد الله بن عبد الله ابن عبد الله الاهتم ومن

خطبائهم محمد الاحول بن خاقان وكان خطيب بنى تميم وقد رأيته وسمعت كلامه ومن خطبائهم معمر بن خاقان وقد وفد ومن خطبائهم مؤمل بن خاقان وقال أبو الزبير الثقفى ما رأيت خطيبا من خطباء الامصار أشبه بخطباء البادية من المؤمل بن خاقان ومن خطبائهم خاقان بن المؤمل بن خاقان وكان صباح بن خاقان ذا علم وبيان ومعرفة وشدة عارضة وكثرة رواية مع سخاء واحتمال وصبر على الحق ونصرة للصديق وقيام لحق الجار ومن بنى منقر الحكم بن النضر وهو أبو العلاء المنقرى وكان يصرف لسانه حيث شاء من جهارة واقتدار ومن خطباء بنى صريم ابن الحارث الخزرج بن الصدى ومن خطباء بنى تميم ثم من مقاعس عمارة بن أبى سليمان ومن ولد بنى مالك بن سعيد بن عبد الله وخير أبناء حبيب كانا ناسبين عالمين أديبين دينين ومن ولد مالك بن سعيد عبد الله والعباس أبناء رؤبة وكان العباس علامة عالما ناسبا راوية وكان عبد الله أرجز الناس وأفصحهم وكان يكنى أبا الشعثاء وهو العجاج ومن أصحاب الاخبار والنسب أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثم جبير بن مطعم ثم سعيد بن المسيب ثم محمد بن سعيد بن المسيب ثم قتادة وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة المسعودى الذى قال فى كلمات له فى عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان رضى الله عنه

فيا تراب الارض منه خلقتما * وفيه المعاد والمصير الى الحشر
ولا تأنفا أن ترجعا فتسلما * فما حشى الانسان شرا من الكبر
فلو شئت أولى فيكما غير واحد * علانية أو قال عندى فى سر
فان أنا لم آمر ولم أنه عنكما * ضحكت له حتى يلج ويستشرى

وهو الذى قيل له كيف تقول الشعر مع النسك والفقه فقال ان المصدور لا يملك أن ينفث وقد ذكر المصدور(١) أبو زبيد الطائى فى صفة الاسد فقال

للصدر منه عويل فيه حشرجة(٢) * كأنما هو من أحشاء مصدور

ومن خطباء هذيل أبو المليح الهذلى أسامة بن عمير ومنهم أبو بكر الهذلى كانا خطيبا قاصا وعالما بينا وعالما بالاخبار والآثار وهو الذى لما فاخر أهل الكوفة قال لنا الساج والعاج والديباج والخراج والنهر العجاج

﴿ باب من أسماء الكهان والحكام والخطباء والعلماء من قحطان ﴾

قالوا أكهن العرب وأسجعهم سلمة بن أبى حية وهو الذى يقال له غرى سلمة * ومنهم ومن خطباء عمان مرة بن فهم التليد وهو الخطيب الذى أوفده المهلب الى الحجاج ومن العتيك بشر بن المغيرة بن أبى صفرة وهو الذى قال لبنى المهلب يا بنى عمى انى والله قد قصرت عن

(١) هو الذى أ[illegible]ب صدره (٢) هى الغرغرة عند الموت وتردد النفس

شكاة العاتب وجاوزت شكاة المستعتب حتى كأنى لست موصولا ولا محروما فعدونى امرأ خفتم لسانه أو رجوتم شكره وانى وان قلت هذا فلما أبلانى الله بكم أعظم مما أبلاكم بى ومن خطباء اليمن ثم من حمير الصباح بن شفى الحميرى كان أخطب العرب ومنهم ثم من الانصار قيس بن الشماس ومنهم ثابت بن قيس بن الشماس خطيب النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم روح بن زنباع وهو الذى لما همّ به معاوية قال لا تشمتن بى عدوا أنت وقمته (١) ولا تسوأن بى صديقا أنت سررته ولا تهدمن منى ركنا أنت بنيته هلا أتى حلمك واحسانك على جهلى واساءتى ومن خطبائهم الاسود بن الكذاب كعب العنسى وكان طليحة خطيبا وشاعرا وسجاعا كاهنا ناسبا وكان مسيلمة الكذاب بعيدا من ذلك كله وثابت بن قيس بن شماس هو الذى قال لعامر حين قال أما والله لئن تعرضت لعنى (٢) وفنى (٣) وذكاء سنى لتولين عنى فقال له ثابت أما والله لئن تعرضت لسانى وشبا نابى وسرعة جوابى لتكرهن جنابى قال فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يكفيك الله وابناء قيله وأخذت هذا الحديث من رجل يصنع الكلام فأنا أتهمه ومن خطباء الانصار سعد بن الربيع وهو الذى اعترضت ابنته النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقال لها من أنت فقالت ابنة الخطيب النقيب الشهيد سعد بن الربيع ومنهم خال حسان بن ثابت وفيه يقول حسان

ان خالى خطيب جابيته الجو * لان عند النعمان حيث يقوم

واياه يعنى حسان بقوله

رب خال لى لو أبصرته * سبط المشية فى اليوم الخصر (٤)

ومنهم من الرواة والنسابين والعلماء شرقى بن القطامى الكلبى ومحمد بن السائب الكلبى وعبد الله بن عياش الهمدانى وهشام بن محمد السائب الكلبى والهيثم بن عدى الطائى أبو روق الهمدانى واسمه عطية بن الحارث وأبو مخنف لوط بن يحيى الازدى ومحمد بن عمر الاسلمى الواقدى وعوانة الكلبى وابن عيينة المهلبى والخليل بن أحمد الغراهيدى وخلف بن حيان الاحمر الاشعرى قالوا ومنا فى الجاهلية عبيد بن شرية ومنا شق بن الصعب ومنا زبيع بن ربيعة السطيح الذئبى ومنا المأمور الحارثى والديان بن عبد المدان الحارثى الشريفان الكاهنان ومنهم عمرو بن حنظلة بن نهد الحكم وله يقول القائل

حنظلة بن نهد * خير ناس من معد

ومنهم أبو الشطاح اللخمى وجمع معاوية بينه وبين دغفل بن حنظلة البكرى ومنهم أبو الكناس الكندى ومنهم أبو مخوس الكندى وكانا ناسبين عالمين ومن أصحاب الاخبار والآثار عبد الله بن عتبة بن لهيعة ويكنى أبا عبد الرحمن ومن القدماء فى الحكمة والخطابة والرياسة عبيد بن شرية الجرهمى وأسقف نجران وأكيدر صاحب دومة الجندل

(١) وقمه كوعده قهره وأذله (٢) هو المعارضة (٣) هو الكلام المنبج (٤) هو كثيف اليوم البارد

وأفيعى نجران وذرب بن حوط وعليم بن جناب وعمرو بن ربيعة وهو لحى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وجذيمة بن مالك الابرش وهو أول من أسرج الشمع ورمى بالمنجنيق

﴿باب ذكر النساك والزهاد من أهل البيان﴾

عامر بن عبد قيس وصلة بن أشيم وعثمان بن أدهم وصفوان بن محرز والاسود بن كلثوم والربيع ابن خيثم وعمرو بن عتبة بن فرقد وهرم بن حيان ومورق العجلى بكر بن عبد الله بن الشخير الحرشى وبعد هؤلاء مالك بن دينار وحبيب أبو محمد ويزيد الرقاشى وصالح المرى وأبو حازم الاعرج وزياد مولى عياش بن أبى ربيعة وعبد الواحد بن زيد وحيان أبو الاسود ودهثم أبو العلاء ومن النساء رابعة القيسية ومعاذة العدوية امرأة صلة بن أشيم وأم الدرداء ومن نساء الخوارج البلجاء وغزالة وقطام وحمادة وكحيلة ومن نساء الغالية ليلى الناعطية والصدوق وهند وممن كان من النساك ممن أدركناه أبو الوليد وهو الحكم الكندى ومحمد ابن محمد الحمرانى ومن القدماء ممن كان يذكر بالقدر والرياسة والبيان والخطابة والحكمة والدهاء والنكراء لقمان بن عاد ولقيم بن لقمان ومجاشع بن دارم وسليط بن كعب بن يربوع سموه بذلك لسلاطة لسانه وقال جرير

* ان سليطا كاسمه سليط * ولؤى بن غالب وقيس بن ساعدة وقصى بن كلاب ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكثم بن صيفى وربيعة بن حذار وهرم بن قطبة وعامر بن الظرب ولبيد بن ربيعة وكان من الشعراء وأسماء الصوفية من النساك ممن يجيد الكلام كلاب وكليب وهاشم الاوقص وأبو هاشم الصوفى وصالح بن عبد الجليل ومن القدماء العلماء بالنسب وبالغريب الخطفى وهو جد جرير بن عطية بن الخطفى وهو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع وانما سمى الخطفى لابيات قالها

يرفعن بالليل اذا ما أسدفا * أعناق جنان وهاما رجفا(١)

* وعنقا باقى الرسيم خيطفا *

العنق ضرب من السير وهو المسبطر فاذا ارتفع عن العنق قليلا فهو التزيد فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل والرسيم فوق الذميل والخيطف السريع أى يخطف كما يخطف البرق وخيطف من الخطف والياء زائدة فى خيطف كما قالوا رجل صيرف من الصرف ورجل جيدر من الجدر وهو القصر وأصل الخطف الاخذ فى سرعة ثم استعير لكل سريع * ذكر القصاص قص الاسود بن سريع وهو الذى قال

فان تنج منها تنج من ذى عظيمة * والا فانى لا اخالك ناجيا

وقص الحسن وسعيد بن أبى الحسن وكان جعفر بن الحسن أول من اتخذ فى مسجد البصرة حلقة وأقرأ القرآن فى مسجد البصرة وقص ابراهيم التيمى وقص عبيد الله بن عمير الليثى

(١) يقال أرجفت الناقة اذا جاءت معيية أذناها ترجف بهما

وجلس

وجلس اليه عبد الله بن عمر حدثنى بذلك عمرو بن فائد باسناد له ومن القصاص أبو بكر الهذلى وهو عبد الله بن أبى سليمان وكان خطيبا بيناصاحب أخبار وآثار وقص ابنه مطرف ابن عبد الله بن الشخير فى مكان أبيه ومن كبار القصاص ثم من هذيل مسلم بن جندب وكان قاص مسجد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالمدينة وكان امامهم وقارئهم وفيه يقول عمر بن عبد العزيز من سره ان يسمع القرآن غضا فليسمع قراءة مسلم بن جندب ومن القصاص عبد الله بن عرادة بن عبد الله بن الوضين وله مسجد فى بنى شيبان ومن القصاص موسى الاسوارى وكان من أعاجيب الدنيا كانت فصاحته بالفارسية فى وزن فصاحته بالعربية وكان يجلس فى مجلسه المشهور به فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ثم يحول وجهه الى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية فلا يدرى بأى لسان هو أبين واللغتان اذا التقتا فى اللسان الواحد ادخلت كل واحدة منهما الضيم على صاحبتها الا ما ذكروا من لسان موسى بن سيار الاسوارى ولم يكن فى هذه الامة بعد أبى موسى الاشعرى اقرأ فى محراب من موسى بن سيار ثم عثمان بن سعيد بن أسعد ثم يونس النحوى ثم المعلى ثم قص فى مسجده ابو على الاسوارى وهو عمرو بن فائد ستا وثلاثين سنة فابتدأ لهم فى تفسير سورة البقرة فما ختم القرآن حتى مات لانه كان حافظا للسير ولوجوه التأويلات فكان ربما يفسر آية واحدة فى عدة اسابيع كأن الآية ذكر فيها يوم بدر وكان هو يحفظ مما يجوز أن يلحق فى ذلك من الاحاديث الكثيرة وكان يقص فى فنون كثيرة من القصص ويجعل للقرآن نصيبا من ذلك وكان يونس بن حبيب يسمع منه كلام العرب ويحتج به وخصاله المحمودة كثيرة ثم قص من بعده القاسم بن يحيى وهو أبو العباس الضرير لم يدرك فى القصاص مثله وكان يقص معهما وبعدهما مالك بن عبد الحميد المكفوف ويزعمون ان أبا على لم يسمع منه كلمة غيبة قط ولا عارض أحدا من المخالفين والحساد والبغاة بشئ من المكافأة فاما صالح المرى فانه كان يكنى أبا بشر وكان صحيح الكلام رقيق المجلس فذكر أصحابنا ان سفيان بن حبيب لما دخل البصرة وتوارى عند مرحوم العطار قال له مرحوم هل لك ان تأتى قاصا عندنا فتتفرج بالخروج والنظر الى الناس والاستماع منه فاتاه على تنكره كانه ظنه كبعض من يبلغه شانه فلما أتاه وسمع منطقه وسمع تلاوته للقرآن وسمعه يقول حدثنا سعيد عن قتادة وحدثنا قتادة عن الحسن رأى بيانا لم يحتسبه ومذهبا لم يكن يدانيه فاقبل سفيان على مرحوم فقال هذا ليس قاصا هذا نذير

﴿باب ما قيل فى المخاصر(١) والعصى وغيرهما﴾

كانت العرب تخطب بالمخاصر وتعتمد على الارض بالقسى وتشير بالعصى والقنا نعم حتى كانت المخاصر لا تفارق أيدى الملوك فى مجالسها ولذلك قال الشاعر

المخاصر جمع مخصرة بكسر الميم قضيب يشير به الخطيب اذا خاطب الناس

فى كفه خيز ران ريحها عبق * بكف أروع (١) فى عرنينه شمم
يغضى حياء و يغضى من مهابته * فما يكلم الا حين يبتسم
ان قال قال بما يهوى جميعهم * وان تكلم يوما ساخت الكلم
يكاد يمسكه عرفان راحته * زكن الحطيم اذا ما جاء يستلم
كم هاتف لك من داع وداعية * يدعون يا قثم الخيرات يا قثم

وقال الشاعر قولا فسر فيه ما قلنا قال

مجالسهم خفض الحديث وقولهم * اذا ما قضوا فى الامر وحى المخاصر

وقال الكميت بن زيد ويذود مسلمة المهذ * ب بالمؤيدة السرائر
بالمذهبات المحبا * ت لهم مناو شاعر
أهل التجاوب والمحا * فل والمقاول بالمخاصر
فهم كذلك فى المجا * لس والمحافر والمشاعر

وكما قال الانصارى فى الجامع حيث يقول

وسارت بنا سيارة ذات سورة * بكوم (٢) المطايا والخيول الجماهر
يؤمون ملك الشام حتى تمكنوا * ملوكا بارض الشام فوق المنابر
يصيبون فصل القول فى كل خطبة * اذا وصلوا ايمانهم بالمخاصر

وفى المخاصر والعصى وفى خدوجه الارض باطراف القسى قال الحطيئة

أمن لخصم مضجعين قسيهم * صعر خدودهم عظام المفخر

وقال لبيد بن ربيعة فى الاشارة

غلب تشذر بالدخول كانها * جن البدى رواسيا أقدامها

وقال فى خدوجه الارض بالعصى والقسى

يشين صحاح البيد كل عشية * بعوج السراء عند باب محجب

عوج جمع عوجاء وهى ههنا القوس والسراء شجر يعمل منه القوس وفى مثله يقول الشاعر

اذا اقتسم الناس فضل الفخار * أطلناه لى الارض ميل العصا

(وقال الآخر) كتبت لنا فى الارض يوم محرق * أيامنا فى الارض يوما قيصلا

وقال لبيد بن ربيعة فى ذكر القسى

ما ان أهاب اذا السرادق غمه * قرع القسى وأرعش الرعديد

وقال معن بن أوس المزنى

الا من مبلغ عنى رسولا * عبيد الله اذ عجل الرسالا
تغافل دوننا أبناء نور * ونحن الاكثرون حصى ومالا

(١) الاروع من يعجبك بحسنه أو شجاعته (٢) جمع كوما وهى الناقة

اذا اجتمع القبائل جئت ردفا * امام الماسحين لك السبالا
فلا تعطى عصا الخطباء فيهم * وقد تكفى المقادة والمقالا

ومما قالوا فى حمل القناة قوله

* الى امرئ لا تخطاه الرقاب ولا * حدب الحوان اذا ما استنشئ العرق
صاب الحيازيم لا هذر الكلام اذا * هز القناة ولا مستعجل زهق

وكما قال جرير الخطفى من للقناة اذا ما عى قائلها * أم للاعنة يا شبيب بن عمار

قال ومثل هذا قول أبى الجحيب الربعى ما تزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القناة فعند ذلك يفضحك أو يسرك يقول اذا قام يخطب وفى كتاب جبل بن يزيد احفظ أخاك الا من نفسه وقال عبد الله بن رؤبة سأل رجل رؤبة عن أخطب بنى تميم فقال خداش بن لبيد بن بيلبة يعنى البعيث وانما قيل له البعيث لقوله

تبعث منى ما تبعث بعدما * أمرت حبالى كل مرتها شزرا

وزعم سحيم بن حفص انه كان يقال أخطب بنى تميم البعيث اذا أخذ القناة وقال يونس لعمرى لئن كان مغلبا فى الشعر لقد كان غلب فى الخطب ومن الشعراء من يغلب شئ قاله فى شعره على اسمه وكنيته فيسمى به بشر كثير فمنهم البعيث هذا ومنهم عوف بن حصين بن حذيفة بن بدر غلب عليه عويف القوافى لقوله

سأكذب من قد كان يزعم أننى * اذا قلت شعرا لا اجيد القوافيا

فسمى عويف القوافى ومنهم يزيد بن ضرار التغلبى غلب عليه المزرد لقوله

فقلت تزردها (١) عبيد فاننى * (٢) لدرد الموالى فى السنين مزرد

فسمى المزرد ومنهم عمرو بن سعد بن مالك غلب عليه لمرقش وذلك لقوله

الدار قفر والرسوم كما * (٣) رقش فى ظهر الاديم قلم

فسمى مرقشا ومنهم سالم بن نهار العبدى غلب عليه الممزق لقوله

فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فادركنى ولما أمزق

فسمى الممزق ومنهم جرير بن عبد المسيح الضبعى غلب عليه المتلمس لقوله

فهذا اوان العرض طن ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

ومنهم عمرو بن رباح بن عمرو السلمى أبو خنساء بنت عمرو وغلب الشريد على اسمه لقوله

تولى اخوتى وبقيت فردا * وحيدا فى ديارهم شريدا

فسمى الشريد وهذا كثير قال ودخل رجل من قيس غيلان على عبد الملك بن مروان فقال زبيرى عمرى والله لا يحبك قلبى أبدا قال يا أمير المؤمنين انما يجزع من فقدان الحب من المرأة ولكن عدل وانصاف قال عمر لابى مريم الحنفى السلولى قاتل زيد بن الخطاب لا يحبك

(١) زرد بمعنى بلع والمزرد المبلغ (٢) الدرد ذهاب الاسنان (٣) الترقيش التزيين

قلبي أبدا حتى تحب الارض الدم المسفوح قلع الصمغة وهذا مثل قول الحجاج والله لاقلعنك لان الصمغة اليابسة اذا فرقت عن الشجرة انقلعت انقلاع الجلبة والارض لا تنشف الدم المسفوح ولا تمصه فتى جف الدم وتجلب (١) لم تره أخذمن الارض شيأ ومن الخطباء الغضبان ابن القبعثرى وكان محبوسا فى سجن الحجاج فدعى به يوما فلما رآه قال انك لسمين قال القيد والرتعة (٢) ومن يكن ضيفا للامير يسمن وقال يزيد بن عياض لما نقم الناس على عثمان خرج يتوكأ على مروان وهو يقول لكل أمة آفة ولكل نعمة عاهة وان آفة هذه الامة عيابون طعانون يظهرون لكم ما تحبون ويسرون ما تكرهون طغام مثل النعام يتبعون أول ناعق لقد نقموا على ما نقموه على عمر ولكن قمعهم ووقمهم والله انى لاقرب ناصرا وأعز نفرا فضل فضل من مالى فمالى لا أفعل فى الفضل ما أشاء قال ورأيت الناس يتداولون رسالة يحيى بن يعمر على لسان يزيد بن المهلب انا لقينا العدو فقتلنا طائفة وأسرنا طائفة ولحقت طائفة بعرائر الاودية واهضام الغيطان وبتنا بعرعرة الجبل وبات العدو بحضيضه قال فقال الحجاج ما يزيد بأبى عذرة هذا الكلام فقيل له ان معه يحيى بن يعمر فحمل اليه فلما أتاه قال أين ولدت قال بالاهواز قال فانى لك هذه الفصاحة قال أخذتها عن أبى عرائر الاودية أسافلها وعراعر الجبال أعاليها وأهضام الغيطان مداخلها والغيطان جمع غائط وهو الحائط ذو الشجر ورأيتهم يديرون فى كتبهم ان امرأة خاصمت زوجها الى يحيى بن يعمر فانتهرها مرارا فقال له يحيى ان سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها قالوا الضهل القليل والشكر الجماع والشبر البضع تطلها تذهب بحقها يقال دم مطلول ويقال بئر ضهول أى قليلة الماء قال فان كانوا انما رووا هذا الكلام لانه يدل على فصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة وان كانوا انما دونوه فى الكتب وتذاكروه فى المجالس لانه غريب فابيات من شعر العجاج أو شعر الطرماح أو اشعار هذيل تأتى لهم مع حسن الوصف على أكثر مما ذكروا ولو خاطب بقوله ان سألتك ثمن شكرها وشبرك أنشأت تطلها وتضهلها الاصمعى لظننت انه سيجهل بعض ذلك فهذا ليس من اخلاق الكتاب ولا من آدابهم أبو الحسن كان غلاما يقعر فى كلامه فأتى أبا الاسود الدؤلى يلتمس بعض ما عنده فقال له أبو الاسود ما فعل أبوك قال أخذته الحمى فطبخته طبخا وفنخته فنخا وفضخته فضخا فتركته فرخا فنخته أضعفته والفنيخ الرخو الضعيف وفضخته دقته فقال أبو الاسود فما فعلت امرأته التى كانت تشاره وتمارة وتهاره وتزاره (٣) قال طلقها وتزوجت غيره فرضيت وحظيت (٤) وبظيت قال أبو الاسود وقد علمنا رضيت وحظيت فما بظيت قال بظيت حرف من الغريب لم يبلغك قال أبو الاسود يا بنى كل كلمة لا يعرفها عمك فاسترها كما تستر السنور خرأها قال أبو الحسن مر أبو علقمة النحوى ببعض

(١) يقال جلب الدم نشق (٢) هو بفتح فسكون الخصب والسعة هو مثل الحسن الحال والقيد بمعنى عدم الخروج والسعى على المعاش (٣) تعدل عنه وتنحرف (٤) هو اتباع مثل حسن بسن

طرق البصرة وهاجت به مرة فوثب عليه قوم منهم فأقبلوا يعضون ابهامه ويؤذنون فى أذنه فأفلت من أيديهم فقال ما لكم تتكأكؤن على كما تتكأكؤن على ذى جنة افرنقعوا عنى قالوا دعوه فان شيطانه يتكلم بالهندية وقال أبو الحسن هاج بأبى علقمة الدم فأتوا بحجام فقال للحجام اشدد قصب الملازم وارهف ظبات المشارط واسرع الوضع وعجل النزع وليكن شرطك وخزا ومصك نهزا ولا تكرهن أبيا ولا تردن آتيا فوضع الحجام محاجمه فى جونته وانصرف فحديث أبى علقمة فيه غريب وفيه انه لو كان حجاما مرة ما زاد على ما قال وليس فى كلام يحيى بن يعمر شئ من الدنيا الا انه غريب وهو أيضا من الغريب بغيض وذكروا عن محمد بن اسحاق قال لما جاء ابن الزبير وهو بمكة قتل مروان الضحاك بمرج راهط قام فينا خطيبا فقال ان ثعلب بن ثعلب حفر بالصحصحة (١) فأخطأت أسته الحفرة والهف أم لم تلدنى على رجل من محارب كان يرعى فى جبال مكة فيأتى بالشربة من اللبن فيبيعها بالقبضة من الدقيق فيرى ذلك سدادا من عيش ثم أنشأ يطلب الخلافة ووراثة النبوة واول هذا الكلام مستكره وهو موجود فى كل كتاب وجار على لسان كل صاحب خبر وقد سمعت لابن الزبير كلاما كثيرا ليس هذا فى سبيله ولا يتعلق به وقال أبو يعقوب الاعور السلمى

وخلجة ظن يسبق الطرف حزمها * تشيف على غيم وتمكن من زحل
صدعت بها والقوم فوضى كأنهم * بكارة مرباع تبصبص للفحل

خلجة ظن أى ظن سريع تشيف تشرف بكارة مرباع أى نوق صغار قد اذلت للفحل مرباع أى نوق ربيع والمرباع ربع الغنيمة فى الجاهلية لصاحب الجيش قال ابن عثمة

لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول

(وقال رجل من بنى يربوع)

الى الله أشكو ثم أشكو اليكما * وهل تنفع الشكوى الى من يزيدها
حزازات حب فى الفؤاد وعبرة * أظل باطراف البنان أذودها
يحن فؤادى من مخافة بينكم * حنين المزجا وجهة لا يريدها

(وقد أحسن الآخر حيث يقول)

وأكرم نفسى عن منا كح جمة * ويقصر مالى ان أنال الغواليا

(وقال الآخر)

واذا العبد أغلق الباب دونى * لم يحرم على متن الطريق

وقال الخليع العطاردى كنا بالبادية اذ نشأ عارض وما فى السماء قزعة معلقة وجاء السيل فاكتسح (٢) أبياتا من بنى سعد فقلت

(١) هو المستوى من الارض (٢) أى اقتلعها وأخذها

فرحنا بوسمى تالق ودقه * عشاء فأبكانا صباحا فأسرعا
له ظلة كأن ريقو بلها * عجاجة صيف أودخان ترفعا
فكان على قوم سلاماونعمة * والحق عاذا آخرين وتبعا

﴿وقال أبو عطاء السندى لعبيد الله بن عباس الكندى﴾

الى معشر أردوا أخاك وكفروا * أباك فماذا بعد ذاك تقول
وقل لعبيد الله لو كان جعفر * هو الحى لم يبرح وأنت قتيل

فقال عبيد الله أقول عض أبو عطاء ببظر امه فغلب عليه قال أبو عبيدة قال أبو البصير فى أبى رهم السدوسى وكان يلى الاعمال لابى جعفر

رأيت أبا رهم يقرب منجعا * غلام أبى بشر ويجفو أبا بشر
فقلت ليحيى كيف قرب منجعا * فقال له اير يزيد على شبر

قال أبو عثمان وقد طعنت الشعوبية على أخذ العرب المخصرة فى خطبها والقنا والقضيب والاتكاء والاعتماد على القوس والخد فى الارض والاشارة بالقضيب بكلام مستكره نذكره ان شاء الله تعالى فى الجزء الثالث ولا بد أن نذكر فيه بعض كلام معاوية ويزيد وعبد الملك وابن الزبير وسليمان وعمر بن عبد العزيز والوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد لان الباقين من ملوكهم لم يذكر لهم من الكلام الذى يلحق بالخطب وبصناعة المنطق الا اليسير ولا بد من ان نذكر فيه أقسام تأليف جميع الكلام وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور وهو منثور غير مقفى على مخارج الاشعار والاسجاع وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج ولا بد من أن يكون فيه ذكر شأن اسماعيل على نبينا وعليه السلام وانقلاب لغته وبيانه بعد اربع عشرة سنة وكيف نسى لغته التى ربى فيها وجرى على اعراقها وكيف لفظ بجميع حاجاته بالعربية من غير تلقين ولا ترتيب وحتى لم تدخله عجمة ولا لكنة ولا حبسة ولا تعلق بلسانه شئ من تلك العادة ولا بد من ذكر بعض كلام المأمون ومذاهبه وبعض ما يحضرنى من كلام آبائه وجلة (١) رهطه ولا بد أيضا من ذكر من صعد المنبر فحصر (٢) وخلط أو قال فأحسن ليكون الكتاب أكمل ان شاء الله تعالى ولا بد من ذكر المنابر ولم اتخذت وكيف كانت الخطباء من العرب فى الجاهلية وفى صدور الاسلام وهل كانت المنابر لامة غير أمتنا وكيف كانت الحال فى ذلك وقد ذكرنا ان الامم التى فيها الاخلاق والآداب والحكم والعلم أربع وهى العرب والهند وفارس والروم وقال حكيم بن عياش الكلبى

ألم يك ملك أرض الله طرا * لاربعة لهم متميزينا
لحمير والنجاشى وابن كسرى * وقيصر غير قول الممترينا

(١) اكابر قومه (٢) منع عن الكلام

فما أدرى بأى سبب وضع الحبشة فى هذا الموضع وأما ذكره لحمير فان كان انما ذهب الى تبع نفسه فى الملوك فهذا له وجه وأما النجاشى فليس هو عند الملوك فى هذا المكان ولو كان النجاشى فى نفسه فوق تبع وكسرى وقيصر لما كان أهل مملكته من الحبش فى هذا الموضع وهو لم يفضل النجاشى لمكان اسلامه يدل على ذلك تفضيله لكسرى وقيصر وكان وضع كلامه على ذكر الممالك ثم ترك الممالك وأخذ فى ذكر الملوك والدليل على ان العرب أنطق وان لغتها أوسع وان لفظها أدل وان أقسام تأليف كلامها أكثر والامثال التى ضربت أجود وأسير (١) والدليل على ان البديهة مقصورة عليها وان الارتجال والاقتضاب خاص فيها وما الفرق بين اشعارهم وبين الكلام الذى تسميه الفرس والروم شعرا وكيف صار النسيب فى أشعارهم وفى كلامهم الذى أدخلوه فى غنائهم وفى الحانهم انما يقال على ألسنة نسائهم وهذا لا يصاب فى العرب الا القليل اليسير وكيف صارت العرب تقطع الالحان الموزونة على الاشعار الموزونة فتضع موزونا على موزون والعجم تمطط الالفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل فى وزن اللحن فتضع موزونا على غير موزون وسنذكر فى الجزء الثانى من أبواب اللحن والعى والغلط والغفلة أبوابا ظريفة ونذكر فيه النوكى من الوجوه ومجانين العرب ومن ضرب به المثل منهم ونوادر من كلامهم ومجانين الشعراء لست أعنى مثل مجنون بنى عامر ومجنون بنى جعدة وانما أعنى مثل أبى حية فى أهل البادية ومثل جعيفران فى أهل الامصار ومثل أرسيموس اليونانى وسنذكر أيضا بقية أسماء الخطباء والنساك وأسماء الظرفاء والملحاء ان شاء الله سبحانه وتعالى وسنذكر من كلام الحجاج وغيره ما أمكننا فى بقية هذا الجزء ان شاء الله تعالى وقال أبو الحسن المداينى قال الحجاج لانس بن مالك حين دخل عليه فى شأن ابنه عبد الله وكان خرج مع ابن الاشعث لا مرحبا بك ولا أهلا لعنة الله عليك من شيخ جوال فى الفتنة مرة مع أبى تراب ومرة مع ابن الاشعث والله لاقلعنك قلع الصمغة ولاعصبنك (٢) عصب السلمة ولاجردنك تجريد الضب قال أنس من يعنى الامير ابقاه الله قال اياك أعنى أصم الله صداك قال فكتب أنس بذلك الى عبد الملك فكتب عبد الملك الى الحجاج بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن المستفرمة (٣) بعجم الزبيب والله لقد هممت أن اركلك (٤) برجلى ركلة تهوى بها فى نار جهنم قاتلك الله اخيفش العينين أصك الرجلين اسود الجاعرتين (٥) والسلام وكان الحجاج اخيفش مساق الاجفان ولذلك قال امام بن أرقم النميرى وكان الحجاج جعله على بعض شرط أبان بن مروان ثم حبسه فلما خرج قال

طليق الله لم يمنن عليه * أبو داود وابن أبى كثير
ولا الحجاج عينى بنت ماء * تقلب طرفها حذر الصقور

(١) أى أشهر (٢) العصب ضم ما تفرق من الشجر والسلمة شجر (٣) هى التى تجعل فى فرجها دواء تضيقه به (٤) الركل ضربك الفرس برجلك ليعدو (٥) هما موضع الرادفة بين است الحمار

لان طير الماء لا يكون أبدا الامنساق الاجفان والخفش دون العمش والعصب ان تعصب الشجرة ذات الشوك بالعصاب وأصك الرجلين تصك احداهما الاخرى قال وخطب الحجاج يوما فقال فى خطبته والله مابقى من الدنيا الامثل مامضى ولهو اشبه به من الماء بالماء والله ما احب أن مامضى من الدنيا لى بعمامتى هذه المفضل ابن محمد الضبى قال كتب الحجاج الى قتيبة بن مسلم ان ابعث الى بالآدم الجعدى الذى يفهمنى ويفهم عنى فبعث اليه غدام بن شتير فقال الحجاج لله دره ما كتبت اليه فى أمر قط الافهم عنى وعرف ما اريد قال أبو الحسن وغيره اراد الحجاج الحج فخطب الناس فقال أيها الناس انى اريد الحج وقد استخلفت عليكم ابنى محمدا هذا واوصيته فيكم بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصار ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أوصى ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم الاوانى قد أوصيته ان لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الاوانكم ستقولون بعدى مقالة ما يمنعكم من اظهارها الامخافتى الاوانكم ستقولون بعدى لا أحسن الله له الصحابة الاوانى معجل لكم الاجابة لا أحسن الله الخلافة عليكم ثم نزل وكان يقول فى خطبته أيها الناس ان الكف عن محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله وقال عمرو بن عبيد رحمه الله كتب عبد الملك بن مروان وصية زياد بيده وأمر الناس بحفظها وتدبر معانيها ان الله عز وجل جعل لعباده عقولا عاقبهم بها على معصيته واثابهم بها على طاعته فالناس بين محسن بنعمة الله عليه ومسىء بخذلان الله اياه ولله النعمة على المحسن والحجة على المسىء فما اولى من تمت عليه النعمة فى نفسه ورأى العبرة فى غيره بأن يضع الدنيا بحيث وضعها الله فيعطى ما عليه منها ولا يتكثر بما ليس له منها فان الدنيا دار فناء ولا سبيل الى بقائها ولا بد من لقاء الله فاحذركم الله الذى حذركم نفسه وأوصيكم بتعجيل ما أخرته العجزة قبل ان تصيروا الى الدار التى صاروا اليها فلا تقدرون على توبة وليس لكم منها أوبة وأنا استخلف الله عليكم واستخلفه (١) منكم وقد روى هذا الكلام عن الحجاج وزياد أحق به منه

﴿باب﴾ ماذكروا فيه من ان أثر السيف يمحو أثر الكلام قال جرير

يكافنى رد العواقب بعدما * سبقن كسبق السيف ماقال عاذله

وقال الكميت بن معروف

خذوا العقل ان أعطاكم العقل قومكم * وكونوا كمن سيم الهوان فاربعا
ولا تكثروا فيه الضجاج فانه * محا السيف ماقال ابن دارة أجمعا

والمثل السائر من قبل هذا سبق السيف العذل ومن أهل الادب زكريا بن درهم مولى بنى سليم بن منصور صاحب سعيد بن عمرو الحرشى وزكريا هو الذى يقول

لا تنكروا لسعيد فضل نعمته * لا يشكر الله من لا يشكر الناسا

(١) أجعله خليفة على بدلكم

ومن أهل الادب ممن وجهه هشام الى الحرشى السرادق بن عبد الله السدوسى الفارسى ولما ظفر مسلم بن قتيبة بالازد كان من الجند فى دور الازد انتهاب واحراق وآثار قبيحة فقام شبيب ابن شيبة الى مسلم بن قتيبة فقال أيها الامير ان هريم بن عدى بن أبى طلحة وكان غير منطيق قال ليزيد بن عبد الملك فى شأن المهالبة يا أمير المؤمنين أنا والله ما رأينا أحدا ظلم ظلمك ولا نصر نصرك فافعل الثالثة نقلها قال الهيثم بن عدى قام عبد الله بن الحجاج التغلبى الى عبد الملك بن مروان وقد كان أراد الاتصال به وقد كان عبد الملك حنقا عليه فاقام ببابه حولا لا يصل ثم نار فى وجهه فى بعض ركباته فقال

أدنو لترحمنى وترتق خلتى * وأراك تدفعنى فاين المدفع

فقال عبد الملك الى النار فقال

ولقد أذقت بنى سعيد حرها * وابن الزبير فرأسه متضعضع

فقال عبد الملك قد كان بعض ذلك وانا استغفر الله وقال أبو عبيدة كان بين الحجاج وبين العديل بن فرخ العجلى بعض الامر فتوعده الحجاج بالقتل فقال العديل

اخوف بالحجاج حتى كأنما * يحرك عظم فى الفؤاد مهيض
ودون يد الحجاج من ان تنالنى * بساط لايدى اليعملات عريض
مهامه أشباه كأن سرابها * ملاء بأيدى الغاسلات رحيض

ثم ظفر به الحجاج فقال له ياعديل هل نجاك بساطك العريض فقال أيها الامير أنا الذى أقول فيك

ولو كنت بالعنقاء او باسومها * لكان لحجاج على دليل
خليل أمير المؤمنين وسيفه * لكل امام مصطفى وخليل
بنى قبة الاسلام حتى كأنما * هدى الناس من بعد الضلال رسول

فقال له الحجاج اربح نفسك واحقن دمك واياك واختها فقد كان الذى بينى وبين قتلك أقصر من ابهام الحبارى قال أبو الحسن وقام الوليد بن عتبة بن أبى سفيان خطيبا بالمدينة وكان واليها ينعى معاوية ويدعو الى بيعة يزيد فلما رأى روح بن زنباع ابطاءهم قال أيها الناس انا لا ندعوكم الى لخم وجذام وكلب ولكنا ندعوكم الى قريش ومن جعل الله له هذا الامر واختصه به وهو يزيد بن معاوية ونحن ابناء الطعن والطاعون وفضلات الموت وعندنا ان اجبتم واطعتم من المعونة والفائدة ماشئتم فبايع الناس قال وخطب ابراهيم بن اسماعيل من ولد المغيرة المخزومى فقال

انا ابن الوحيد من شاء أحرز نفسه * صقر يلوذ حمامة بالعرفج

(ثم قال) استوسقى أحمرة الوجين * سمعن حس أسد حرون
فهن يضرطن وينتزين

ثم قال والله انى لابغض القرشى ان يكون فظا يا عجبا القوم يقال لهم من أبوكم فيقولون أمنا من

قريش فتكلم رجل من عرض الناس وهو يخطب فقال له غيره صه فان الامام يخطب فقال انما أمرنا بالانصات عند قراءة القرآن لا عند ضراط أحمرة الوجين وقال آخر سمعت ابن هبيرة على هذه الاعواد وهو يقول فى دعائه اللهم انى أعوذبك من عدو يسرى ومن جليس يغرى ومن صديق يطرى قال أبو الحسن كان نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان ابن محرث خال مروان واليا على مكة والمدينة وكان شاهرا سيفه لا يغمده وبلغه أن فتى من بنى سهم يذكره بكل قبيح فلما أتى به وأمر بضرب عنقه قال له الفتى لا تعجل على ودعنى أتكلم قال أو بك كلام قال نعم وأزيد يا نافع وليت الحرمين تحكم فى دمائنا وأموالنا وعندك أربع عقائل من العرب وبنيت ياقوتة بين الصفا والمروة يعنى داره وأنت نافع بن علقمة بن نضلة بن صفوان بن محرث أحسن الناس وجها وأكرمهم حسبا وليس لنا من ذلك الا التراب فلم نحسدك على شئ منه ولم ننفسه عليك ونفست علينا ان نتكلم فقال تكلم حتى تنفك فكك على بن مجاهد عن جعد بن أبى الجعد قال صعصعة بن صوحان ما أعيانى جواب أحد ما أعيانى جواب عثمان دخلت عليه فقلت له أخرجنا من ديارنا وأموالنا ان قلنا ربنا الله قال نحن الذين أخرجنا من ديارنا وأموالنا ان قلنا ربنا الله فمنا من مات بارض الحبشة ومنا من مات بالمدينة قال وقال الحجاج على منبره والله لالحونكم لحو العصا ولاعصبنكم عصب السلمة ولاضربنكم ضرب غرائب الابل يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق انى سمعت تكبيرا ليس بالتكبير الذى يراد به الله فى الترغيب ولكنه التكبير الذى يراد به الترهيب وقد عرفت أنها عجاجة تحتها قصف فتنة أى بنى اللكيعة وعبيد العصا وبنى الاماء والله لئن قرعت عصا لاتركنكم كامس الدابر مالك بن دينار قال ربما سمعت الحجاج يخطب ويذكر ما صنع به أهل العراق وما صنع بهم فيقع فى نفسى أنهم يظلمونه وأنه صادق لبيانه وحسن تخلصه بالحجج قال وقسم الحجاج مالا فاعطى منه مالك بن دينار فقبل وأراد أن يدفع منه الى حبيب أبى محمد فابى أن يقبل منه شيأ ثم مر حبيب بمالك واذا هو يقسم ذلك المال فقال له مالك أبا محمد لهذا قبلناه فقال له حبيب دعنى مما هنالك أسألك بالله الحجاج اليوم أحب اليك أم قبل اليوم قال بل اليوم فقال حبيب فلا خير فى شئ حبب اليك الحجاج ومر غيلان بن خرشة الضبى مع عبد الله بن عامر على نهر عبد الله الذى يشق البصرة فقال عبد الله ما أصلح هذا النهر لاهل هذا المصر فقال غيلان أجل أيها الامير يعلم القوم فيه صبيانهم السباحة ويكون لشفاههم ومسيل مياههم وتأتيهم فيه ميرتهم قالوا ثم مر غيلان يساير زيادا على ذلك النهر وكان قد عادى ابن عامر فقال زياد ما أضر هذا النهر بأهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الامير تنز منه دورهم ويغرق فيه صبيانهم ومن أجله تكثر بعوضهم فالذين كرهوا البيان انما كرهوا مثل هذا المذهب فامانفس حسن البيان فليس يذمه الا من عجز عنه ومن ذم البيان مدح العى وكفى بذلك جهلا وخبالا ولخالد

ابن

ابن صفوان فى الجبن المأكول كلام ذهب فيه شبيها بهذا المذهب قال ورجع طاووس عن مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والى اليمن فقال ما ظننت ان قول سبحان الله يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلا أبلغ ابن يوسف عن رجل كلاما فقال له رجل فى المجلس سبحان الله كالمستعظم لذلك الكلام فغضب ابن يوسف قال أبو الحسن وغيره قالوا دخل يزيد ابن أبى مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دميما فلما رآه قال على رجل أجرك رسنك وسلطك على المسلمين لعنة الله فقال يا أمير المؤمنين انك رأيتنى والامر عنى مدبر ولو رأيتنى والامر على مقبل استعظمت من امرى ما استصغرت قال فقال سليمان افترى الحجاج بلغ قعر جهنم بعد فقال يزيد يا أمير المؤمنين يجئ الحجاج يوم القيامة بين أبيك وأخيك قابضا على يمين أبيك وشمال أخيك فضعه من النار حيث شئت قال وذكر يزيد بن المهلب يزيد ابن أبى مسلم بالعفة عن الدينار والدرهم وهم بأن يستكفيه مهما من أمره فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ألا أدلك على من هو أزهد فى الدينار والدرهم منه وهو شر الخلق قال بلى قال ابليس قال وقال أسيلم بن الاحنف للوليد بن عبد الملك قبل ان يستخلف أصلح الله الامير اذا ظننت ظنا فلا تحققه واذا سألت الرجال فسلهم عما تعلم فاذا رأوا اسرعة فهمك لما تعلم ظنوا بك ذلك فيما لا تعلم ودس من يسأل لك عما لا تعلم وكان أسيلم بن الاحنف الاسدى ذا بيان وأدب وعقل وجاه وهو الذى يقول فيه الشاعر

الا أيها الركب المخبون هل لكم * بسيد أهل الشام تحبوا وترجعوا

أسيلم ذاكم لا خفا بمكانه * لعين ترجى أولاذن تسمع

من النفر البيض الذين اذا انتموا * وهاب الرجال حلقة الباب قعقعوا

جلا الاذفر الاحوى من المسك فرقه * وطيب الدهان رأسه فهو أنزع

اذا النفر السود اليمانون حاولوا * له حوك برديه ارقوا واوسعوا

وهذا الشعر من اشعار الحفظ والمذاكرة الهيثم بن عدى قال قدمت وفود العراق على سليمان بن عبد الملك بعد ما استخلف فأمرهم بشتم الحجاج فقاموا يشتمونه فقال بعضهم ان عدو الله الحجاج كان عبدا زبابا (١) قنور بن قنور (٢) لا نسب له فى العرب قال سليمان اى شتم هذا ان عدو الله الحجاج كتب الى انما أنت نقطة من مداد فان رأيت فى ما رأى أبوك وأخوك كنت لك كما كنت لهما والا فانا الحجاج وأنت النقطة فان شئت محوتك وان شئت أثبتك فالعنوه لعنه الله فاقبل الناس يلعنونه فقام ابن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى فقال يا أمير المؤمنين انا نخبرك عن عدو الله بعلم قال هات قال كان عدو الله يتزين تزين المومسة ويصعد المنبر فيتكلم بكلام الاخيار واذا نزل عمل عمل الفراعنة وأكذب فى حديثه من الدجال فقال سليمان لرجاء بن حيوة هذا وأبيك الشتم لا ما تأتى به السفلة وعن عوانة قال قطع ناس

(١) هو كسحاب فأر عظيم أصم (٢) هو بتشديد الواو مع فتح القاف والنون الشرس الصعب

من عمرو بن تميم وحنظلة على الحجاج بن يوسف فكتب اليهم من الحجاج بن يوسف اما بعد فانكم استخلصتم الفتنة فلا عن حق تقاتلون ولا عن منكر تنهون وايم الله انى لاهم أن يكون أول ما يرد عليكم من قبلى خيل تنسف الطارف والتالد وتدع النساء أيامى والابناء يتامى والديار خرابا والسواد بياضا فايما رفقة مرت باهل ماء فاهل ذلك الماء ضامنون لها حتى تصير الى الماء الذى يليه تقدمة منى اليكم والسعيد من وعظ بغيره والسلام مسلمة بن محارب قال كان الحجاج يقول أخطب الناس صاحب العمامة السوداء بين اخصاص البصرة اذا شاء خطب واذا شاء سكت يعنى الحسن يقول انه لم ينصب نفسه للخطب قال ولما اجتمعت الخطباء عند معاوية فى شأن يزيد وفيهم الاحنف قام رجل من حمير فقال انا لا نطيق أفواه الكمال يريد الجمال عليهم المقال وعلينا الفعال وهذا من الحميرى يدل على تشادق خطباء نزار سفيان بن عيينة قال قال عباس اذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله من قال لا أدرى فقد أحرز نصف العلم لان الذى له على نفسه هذه القوة فقد دلنا على جودة التثبت وكثرة الطلب وقوة المنة قال وقيل للمسيح بن مريم صلوات الله عليه من نجالس قال من يزيد فى علمكم منطقه وتذكركم الله رؤيته ويرغبكم فى الآخرة عمله قال ومر المسيح بقوم يبكون فقال مالهؤلاء يبكون قالوا يخافون ذنوبهم فقال اتركوها يغفر لكم قال الوصافى دخل الهيثم بن الاسود بن العريان وكان شاعرا خطيبا على عبد الملك بن مروان فقال له كيف تجدك قال أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحب أن يسود واسود منى ما كنت أحب ان يبيض واشتد منى ما كنت أحب أن يلين ولان منى ما كنت أحب ان يشتد ثم أنشد

اسمع أنبيك بآيات الكبر * نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة النوم اذا الليل اعتكر * وقلة الطعم اذا الزاد حضر
وسرعة الطرف وتحميج(١) النظر * وحذرا أزداده الى حذر
وتركى الحسناء فى قبل الطهر * والناس يبلون كما يبلى الشجر

وقالوا مروا الاحداث بالمراء والكهول بالفكر وقال عبد الله بن الحسن المراء رائد فى الغضب فاخزى الله عقلا يأتيك به الغضب وقالوا أربعة تشتد معاشرتهم الرجل المتوانى والرجل العالم والفرس المرح(٢) والملك الشديد المملكة وقال غازا بو مجاهد يعارضه أربعة تشتد مؤنتهم النديم المعربد والجليس الاحمق والمغنى التائه والسفلة اذا تغروا وقال أبو شمر الغسانى أقبل على فلان باللحظ واللفظ وما الكلام الازجر أو وعيد وقال عمير بن الحباب وروى ذلك عنه معمر ما أغرب على حى فى الجاهلية أحزم امرأة ولا أعجز رجلا من كلب وأحزم رجلا وأعجز امرأة من تغلب قال وقامت امرأة من تغلب الى الجحاف بن حكيم حين

(١) التحميج شدة النظر وغؤور العين (٢) أى المختال والمتبختر

اوقع

أوقع بالبشر فقتل الرجال وبقر بطون النساء فقالت له فض الله فاك واصمك واعماك وأطال سهادك وأقل رقادك فوالله ان قتلت الا نساء أسافلهن دمى وأعاليهن ثدى فقال الجحاف لمن حوله لولا ان تلد مثلها لخليت سبيلها فبلغ ذلك الحسن فقال انما الجحاف جذوة من نار جهنم قال وكان عامر بن الظرب العدوانى حكيما وكان خطيبا رئيسا وهو القائل يا معشر عدوان ان الخير ألوف عزوف(١) ولن يفارق صاحبه حتى يفارقه وانى لم أكن حكيما حتى اتبعت الحكماء ولم أك سيدكم حتى تعبدت لكم وقال الاعشى بن شيبان

ولا أنا فى أمرى ولا فى خليقتى * لمهتضم حقى ولا قارع سنى
ولا مسلم مولاى من شر ما جنى * ولا خائف مولاى من شر ما أجنى
وان فؤادا بين جنبى عالم * بما أبصرت عينى وما سمعت أذنى
وفضلنى فى القول والشعر اننى * أقول بما أهوى وأعرف ما أعنى

وقال رجل من ولد العباس ليس ينبغى للقرشى ان يستغرق فى شئ من العلم الا علم الاخبار فاما غير ذلك فالنتف والشذر(٢) من القول وقال آخر

وصافية تعشى العيون رقيقة * رهينة عام فى الدنان وعام
أدرنا بها الكأس الروية بيننا * من الليل حتى انجاب كل ظلام
فما ذر قرن الشمس حتى كأننا * من العى نحكى أحمد بن هشام

ومر رجل من قريش بفتى من ولد عتاب بن أسيد وهو يقرأ كتاب سيبويه فقال أف لكم علم المؤدبين وهمة المحتاجين وقال ابن عتاب يكون الرجل نحويا عروضيا وقساما فرضيا وحسن الكتابة جيد الحساب حافظا للقرآن راوية للشعر وهو يرضى ان يعلم أولادنا بستين درهما ولو ان رجلا كان حسن البيان حسن التخريج للمعانى ليس عنده غير ذلك لم يرض بالف درهم لان النحوى الذى لا امتناع عنده كالنجار الذى يدعى ليعلق بابا وهو أحذق الناس ثم يفرغ من تعليقه ذلك الباب فيقال له انصرف وصاحب الامتاع يراد فى الحالات كلها وقال عبد الله بن يزيد السفيانى عود نفسك الصبر على الجليس السوء فانه لا يكاد يخطئك وقال سهل بن عبد العزيز من ثقل عليك بنفسه وغمك فى سؤاله فالزمه أذنا صما وعينا عميا سهيل بن أبى صالح عن أبيه قال كان أبو هريرة اذا استثقل رجلا قال اللهم اغفر له وأرحنا منه وقال ابن أبى أمية شهدت الرقاشى فى مجلس وكان الى بغيضا مقيتا

فقال اقترح كل ما تشتهى * فقلت اقترحت عليك السكونا

وقال ابن عباس العلم أكثر من ان يحصى فخذوا من كل شئ أحسنه المداينى عن العباس بن عامر قال خطب محمد بن الوليد بن عتيبة الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله أخته فقال الحمد لله رب العزة والكبرياء وصلى الله على محمد خاتم الانبياء أما بعد فقد أحسن بك ظنا من أودعك حرمته

(١) يقال عزفت نفسى عنه اذا أزهدت فيه (٢) أى يكفى من باقى العلوم قليلها

واختارك ولم يختر عليك وقد زوجناك على ما فى كتاب الله فى امساك بمعروف أو تسريح باحسان قال وخطب اعرابى وأعجله القول وكره أن تكون خطبته بلا تحميد ولا تمجيد فقال الحمد لله غير ملال لذكر الله ولا ايثار غيره عليه ثم ابتدأ القول فى حاجته وسأل اعرابى ناسا فقال جعل الله حظكم فى الخير ولا جعل حظ السائل منكم عذرة صادقة وكتب ابراهيم ابن سيابة الى صديق له كثير المال كثير الدخل كثير النض اما مستلفا واما سائلا فكتب اليه الرجل العيال كثير والدين ثقيل والدخل قليل والمال مكذوب عليه فكتب اليه ابراهيم ان كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وان كنت محجوجا فجعلك الله محذورا وقال الشاعر

لعل مفيدات الزمان يفدننى * بنى(١) صامت فى غير شئ يضيرها

وقال اعرابى اللهم لا تنزلنى ماء سوء فأكون امرأ سوء وقال اعرابى اللهم قنى عثرات الكرام قال وسمع مجاشع الربعى رجلا يقول الشحيح اعذر من الظالم فقال أخزى الله شيئين خيرهما الشح قال وأنشدنا أبو فروة

انى مدحتك كاذبا فاثبتنى * لما مدحتك ما يثاب الكاذب

وأنشد على بن معاذ

ثالبنى عمرو وثالبته * فاثم المثلوب والثالب

قلت له خيرا وقال الخنا * كل على صاحبه كاذب

أبو معشر قال لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد قام خطيبا فقال ان أبا ذبان قتل لطيم الشيطان كذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ولما جلس عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه على المنبر قال يا أيها الناس ان الله قد فتح عليكم افريقية وقد بعث اليكم ابن أبى سرح عبد الله بن الزبير بالفتح قم يا ابن الزبير قال فقمت وخطبت فلما نزلت قال يا أيها الناس انكحوا النساء على آبائهن واخواتهن فانى لم أر لابى بكر الصديق ولدا أشبه به من هذا وقال الحريمى

أعددته ذخرا لكل ملمة * سهم المنايا بالذخائر مولع

وذكر أبو العيزار جماعة من الخوارج بالادب والخطب

ومسوم للموت يركب درعه * بين القواضب والقنا الخطار

يدنو وترفعه الرماح كانه * شلو(٢) تنشب فى مخالب ضار

فثوى صريعا والرماح تنوشه * ان الشراة(٣) قصيرة الاعمار

أدباء اما جئتهم خطباؤا * ضمناء كل كتيبة جرار

ولما خطب سفيان بن الابرد الاصم الكلبى فبلغ فى الترغيب والترهيب المبالغ ورأى عبد

(١) مفعول ثان ليفد أى تجعل هؤلاء القوم فائدته (٢) هو العضو وجسد الانسان بعد بلاه (٣) هو بالضم قوم من الخوارج لجوانى الخصام فسموا بذلك

الله

الله بن هلال اليشكرى ان ذلك قد فت فى اعضاد أصحابه أنشأ يقول

لعمرى لقد قام الاصم بخطبة * لها فى صدور المسلمين غليل

لعمرى لئن أعطيت سفيان بيعتى * وفارقت دينى اننى لجهول

فت فى عضدى اى غرنى وخوفنى وقال أحد الخطباء الذين تكلموا عند الاسكندر ميتا كان أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس فاخذ أبو العتاهية هذا المعنى بعينه فقال

بكيتك يا على بدمع عينى * فلم يغن البكاء عليك شيا

طوتك خطوب دهرك بعد نشر * كذاك خطوبه نشرا وطيا

كفى حزنا بدفنك ثم انى * نفضت تراب قبرك من يديا

وكانت فى حياتك لى عظات * وأنت اليوم أوعظ منك حيا

قال ومن الاسجاع الحسنة قول الاعرابية لابنها حين خاصمته الى عامل الماء اما كان بطنى لك وعاء اما كان حجرى لك فناء اما كان ثديى لك سقاء فقال ابنها أصبحت خطيبة رضى الله تعالى عنك لانها قد أتت على حاجتها بالكلام الوجيز المتخير كما يبلغ ذلك الخطيب بخطبته وقال النمر بن تولب

وقالت الا فاسمع للفظى وخطبتى * فقلت سمعنا فانطقى وأصيبى

فلم تنطقى حقا ولست باهله * فعجت من قائل وخطيب

وقال أبو عباد كاتب أبى خالد ما جلس أحد قط بين يدى الا تمثل لى انى سأجلس بين يديه قال الله عز وجل وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا ليس يريد بلاغة اللسان وان كان اللسان لا يبلغ من القلوب حيث يريد الا بالبلاغة قال وكانت خطبة قريش فى الجاهلية يعنى خطبة النساء باسمك اللهم ذكرت فلانة وفلان بها مشغوف باسمك اللهم لك ما سألت ولنا ما أعطيت ولما مات عبد الملك بن مروان صعد المنبر الوليد ابنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لم أر مثلها مصيبة ولم أر مثلها ثوابا موت أمير المؤمنين والخلافة بعده انا لله وانا اليه راجعون على المصيبة والحمد لله على النعمة انهضوا فبايعوا على بركة الله رحمكم الله فقام اليه عبد الله بن همام فقال

الله أعطاك التى لا فوقها * وقد أراد الملحدون عوقها

عنك ويأبى الله الا سوقها * اليك حتى قلدوك طوقها

فبايع الناس وقيل لعمرو بن العاصى فى مرضه الذى مات فيه كيف تجدك قال أجدنى أذوب ولا أثوب(١) وأجد نجوى(٢) أكثر من رزئى فابقاء الشيخ على ذلك وقيل لاعرابى كانت به أمراض عدة كيف تجدك قال أما الذى يعمدنى فحصر وأسر وقال مقاتل سمعت يزيد بن

(١) الاوب الرجوع (٢) النجو هو الخارج من الانسان والرزء بالضم الاصابة ومراده ان ما يخرج منه أكثر مما يصيبه من الطعام

المهلب يخطب بواسط فقال يا أهل العراق يا أهل السبق والسباق ومكارم الاخلاق ان أهل الشام فى أفواههم لقمة دسمة قد رتبت (١) لها الاشداق وقاموا لها على ساق وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال فألبسوا لهم جلود النمور

﴿أول الثلث الثانى﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال أبو عثمان الجاحظ الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على محمد خاصة وعلى أنبيائه عامة أردنا أبقاك الله ان نبتدئ صدر هذا الجزء الثانى من البيان والتبيين بالرد على الشعوبية فى طعنهم على خطباء العرب اذ وصلوا ايمانهم بالمخاصر واعتمدوا على وجه الارض باطراف القسى والعصا أشاروا عند ذلك بالقضبان والقنا وفى كل ذلك قد روينا الشاهد الصادق والمثل السائر ولكنا أحببنا أن نصدر هذا الجزء بكلام من كلام رسول رب العالمين والسلف المتقدمين والجلة من التابعين الذين كانوا مصابيح الظلام وقادة هذا الانام وملح الارض وحلى الدنيا والنجوم التى لا يضل معها السارى والمنار الذى اليه يرجع الباغى والحزب الذى كثر الله به القليل وأعز به الذليل وزاد الكثير فى عدده والعز يز فى ارتفاع قدره وهم الذين جلوا بكلامهم الابصار العليلة وشحذوا بمنطقهم الاذهان الكليلة فنبهوا القلوب من رقدتها ونقلوها من سوء عادتها وشفوها من داء القسوة وغباوة الغفلة وداووا من العى الفاضح ونهجوا الطريق الواضح ولولا الذى أملت فى تقديم ذلك وتعجيله من العمل بالصواب وجزيل الثواب لقد كنت بدأت بالرد عليهم وبكشف قناع دعاويهم على انا سنقول فى ذلك بعد الفراغ مما هو أولى بنا وأوجب علينا والله الموفق والمستعان وعلى ان خطباء السلف الطيب وأهل البيان من التابعين باحسان مازالوا يسمون الخطبة التى لم يبتدئ صاحبها بالتحميد ويستفتح كلامه بالتمجيد البتراء ويسمون التى لم توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الشوهاء وقال عمران بن حطان خطبت عند زياد خطبة ظننت انى لم أقصر فيها عن غاية ولم أدع لطاعن علة فمررت ببعض المجالس فسمعت شيخا يقول هذا الفتى أخطب العرب لو كان فى خطبته شئ من القرآن وخطب أعرابى فلما أعجله بعض الامر عن التصدير بالتحميد والاستفتاح بالتمجيد فقال أما بعد بغير ملال لذكر الله ولا ايثار غيره عليه فانا نقول كذا ونسأل كذا فرارا من أن تكون خطبته بتراء وشوهاء وقال شبيب بن شيبة الحمد لله وصلى الله على رسوله أما بعد فانا نسأل كذا ونبذل كذا وبنا حفظك الله أشد الحاجة الى أن يسلم كتابنا هذا من البتر القبيح واللقب السميج المعيب بل قد نحب ان يزيد فى بهائه

(١) يقال رتب اذا ثبت ولم يتحرك

ونستميل القلوب الى اجتبائه اذ كان الامل فيه بعيدا وكان معناه شريفا ثم اعلم بعد ذلك ان جميع خطب العرب من أهل المدر والوبر والبدو والحضر على ضربين منها الطوال ومنها القصار ولكل ذلك مكان يليق به وموضع يحسن فيه ومن الطوال ما يكون مستويا فى الجودة ومشاكلا فى استواء الصنعة ومنها ذوات الفقر الحسان والنتف الجياد وليس فيها بعد ذلك شئ يستحق الحفظ وانما حظها التخليد فى بطون الصحف ووجدنا عدد القصار أكثر رواة العلم الى حفظها أسرع وقد أعطينا كل شكل من ذلك قسطه من الاختيار ووفيناه حقه من التمييز ونرجو أن لا نكون قصرنا فى ذلك والله الموفق هذا سوى ما رسمناه فى كتابنا هذا من مقطعات كلام العرب الفصحاء وجل كلام الاعراب الخلص وأهل اللسن من رجالات قريش والعرب أهل الخطابة من أهل الحجاز ونتف من كلام النساك ومواعظ من كلام الزهاد مع قلة كلامهم وشدة توقيهم ورب قليل يغنى عن الكثير كما أن رب كثير لا يتعلق به صاحب القليل بل رب كلمة تغنى عن خطبة وتنوب عن رسالة بل رب كناية تربى على افصاح ولحظ يدل على ضمير وان كان ذلك الضمير بعيد الغاية على النهاية ومتى شاكل أبقاك الله ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه وكان لتلك الحال وفقا ولذلك القدر لفقا وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف كان قمينا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين ويحمى عرضه من اعتراض العائبين ولا تزال القلوب به معمورة والصدور مأهولة ومتى كان اللفظ أيضا كريما فى نفسه متخيرا فى جنسه وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد حبب الى النفوس واتصل بالاذهان والتحم بالعقول وهشت اليه الاسماع وارتاحت له القلوب وخف على ألسن الرواة وشاع فى الآفاق ذكره وعظم فى الناس خطره وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ورياضة للمتعلم الريض فان أراد صاحب الكلام صلاح شأن العامة ومصلحة حال الخاصة وكان ممن يعم ولا يخص وينصح ولا يغش وكان مشغوفا بأهل الجماعة شنقا لاهل الاختلاف والفرقة جمعت له الحظوظ من أقطارها وسيقت اليه القلوب بأزمتها وجمعت النفوس المختلفة الاهواء على محبته وجبلت على تصويب ادارته ومن أعاره الله من معرفته نصيبا وأفرغ عليه من محبته ذنوبا جنحت اليه المعانى وسلس له نظام اللفظ وكان قد أغنى المستمع من كد التكلف وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهم ولم أجد فى خطب السلف الطيب والاعراب الاقحاح ألفاظا مسخوطة ولا معانى مدخولة ولا طبعا رديا ولا قولا مستكرها وأكثر ما نجد ذلك فى خطب المولدين البلديين المتكلفين ومن أهل الصنعة المتأدبين وسواء كان ذلك منهم على جهة الارتجال والاقتضاب أو كان من نتاج التخير والتفكر ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا وزمنا طويلا يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه اتهاما لعقله وتتبعا على نفسه فيجعل عقله

ذماما على رأيه ورأيه عيارا على شعره اشفاقا على أدبه واحرازا لما خوله الله من نعمته وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمقلدات والمنقحات والمحكمات ليصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا وفي بيوت الشعر الامثال والاوابد ومنها الشواهد ومنها الشوارد والشعراء عندهم أربع طبقات فأولهم الفحل الخنذيذ والخنذيذ هو التام قال الاصمعي قال رؤبة هم الفحولة الرواة دون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق ودون ذلك الشاعر فقط والرابع الشعرور ولذلك قال الاول في هجاء بعض الشعراء

يارابع الشعراء فيم هجوتني * وزعمت انى مفحم لاأنطق

فجعله سكيتا مخلفا ومسبوقا مؤخرا وسمعت بعض العلماء يقول طبقات الشعراء ثلاثة شاعر وشويعر وشعرور وقال والشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران سماه بذلك امرؤ القيس ابن حجر ومنهم ثم من بني ضبة المفوف شاعر بني حميس وهو الشويعر ولذلك قال العبدى

ألا تنهى سراة بني حميس * شويعرها فويلية الافاعى
قبيلة تردد حيث شاءت * كزائدة النعامة في الكراع (١)

فويلية الافاعى دويبة سوداء فوق الخنفساء والشويعر أيضا صفوان بن عبد ياليل من بني سعد بن ليث ويقال ان اسمه ربيعة بن عثمان وهو الذي يقول

فسائل جعفرا وبني أبيها * بني البرا بطخفة (٢) والملاح
وأفلتنا أبو ليلى طفيل * صحيح الجلد من أثر السلاح

وقد زعم ناس ان الخنذيذ من الخيل هو الخصى وكيف يكون ذلك كذلك مع قول الشاعر

يالبلى يالبيت لم أرمثلها * أمرقرى منها وأكثر باقيا
وأكثر خنذيذا يجر عنانه * الى الماء لم يترك له الموت ساقيا

﴿وقال بشر بن خازم﴾

وخنذيذ ترى الغرمول (٤) منه * كطي الزق علقه التجار

وأبين من ذلك قول البرجمى * وخناذيذ خصية وفحولا *

ويدل على ماقلنا قول العبسي

دعوت بني سعد الى فشمرت * خناذيذ من سعد طوال السواعد

وكان زهير بن أبي سلمى يسمى كبار قصائده الحوليات وقد فسر سويد بن كراع العكلى ماقلنا في قوله

أبيت بأبواب القوافي كأنما * أصادى بها سربا من الوحش نزعا
أكالئها حتى أعرس بعدما * يكون سحيرا أو بعيدا فأهجعا
عواصى الا ماجعلت امامها * عصا مربد تغشى نحورا وأذرعا

(١) هو قوائم الدابة (٢) هو بالفتح والكسر اسم موضع واسم يوم لبني يربوع (٣) هو الذكر وهو بالضم

اهبت

أهبت بغر الآبدات وراجعت * طريقا أملته القصائد مهيعا
بعيدة شأو لا يكاد يردها * لها طالب حتى يكل ويظلعا
اذا خفت أن تردى على رددتها * وراء التراقي خشية ان تطلعا
وجشمنى خوف ابن عفان ردها * فثقفتها حولا جريدا ومربعا
وقد كان في نفسي عليها زيادة * فلم أر الا أن أطيع وأسمعا

ولا حاجة بنا مع هذه الفقر الى الزيادة في الدليل على ماقلنا ولذلك قال الحطيئة خير الشعر الحولي المحكك وكان الاصمعي يقول زهير بن أبي سلمى والحطيئة واشباههما عبيد الشعر وكذلك كل من يجود في جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يخرج ابيات القصيدة كلها مستوية في الجودة وكان يقال لولا ان الشعر قد كان استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب الصنعة ومن يلتمس قهر الكلام واغتصاب الالفاظ لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعاني سهوا ورهوا وتنثال عليهم الالفاظ انثيالا وانما الشعر المحمود كشعر النابغة الجعدي ورؤبة ولذلك قالوا في شعره مطرف بآلاف وخمار بواف وكان يخالف في جميع ذلك الرواة والشعراء وكان أبو عبيدة يقوله ويحكى ذلك عن يونس ومن تكسب بشعره والتمس به صلات الاشراف والقادة وجوائز الملوك والسادة في قصائد السماطين وبالطوال التي تنشد يوم الحفل لم يجد بدا من صنيع زهير والحطيئة واشباههما واذا قالوا في غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود ولم نرهم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد وفي صنعة طوال الخطب بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب اقتدارا عليه وثقة بحسن عادة الله عندهم فيه وكانوا مع ذلك اذا احتاجوا الى الرأى في معاظم التدبير ومهمات الامور ميثوه في صدورهم وقيدوه على انفسهم فاذا قومه الثقاف (١) وأدخل الكير وقام على الخلاص ابرزوه محككا منقحا ومصفى من الادناس مهذبا وقال الربيع بن أبي الحقيق لابي ياسر النضيرى

فلا تكثر النجوى وأنت محارب * تؤامر فيها كل نكس (٢) مقصر

وكان عبد الله بن وهب الراسبي يقول اياى والرأى الفطير (٣) وكان يستعيذ بالله من الرأى الدبرى وقال سحبان وائل شر خليطيك السؤوم المحزم لان السؤوم لايصبر وانما التفاضل في الصبر والمحزم صعب لايعرف مايراد به وليس الحزم الا بالتجارب ولان عقل الغريزة سلم على عقل التجربة ولذلك قال على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه رأى الشيخ أحب الى من جلد الشاب ولذلك كرهوا ركوب الصعب حتى يذل والمهر الارن (٤) الا بعد طول الرياضة ولم تحول المعانيق همالييج الا بعد طول التخليع ولم يحلبوا الزبون (٥) الا بعد الابساس

(١) هو التجارب (٢) هو المقصر من غاية الكرم (٣) هو كل ماأعجل عن ادراكه (٤) يقال ارن كفرح اذا نشط (٥) يقال ناقة زبون أى دفوع

ونذكر من كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما لم يسبقه اليه عربى ولم يشاركه فيه عجمى ولم يدع لاحد ولا ادعاه أحد مما صار مستعملا ومثلا سائرا فمن ذلك قوله يا خيل الله اركبى ومن ذلك قوله مات حتف أنفه ومن ذلك قوله لا ينتطح فيه عنزان ومن ذلك قوله الآن حمى الوطيس ولما قال عدى بن حاتم فى قتل عثمان رضى الله تعالى عنه لا تحبق(١) فيه عناق قال له معاوية بن أبى سفيان رحمهما الله بعد أن فقئت عينه وقتل ابنه يا ابا طريف هل حبقت فى قتل عثمان عناق قال أى والله والتيس الاعظم فلم يصر كلامه مثلا وصار كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا ومن ذلك قوله لابى سفيان بن حرب كل الصيد فى جوف الفرا ومن ذلك قوله هدنة على دخن وجماعة على اقذاء ومن ذلك قوله لا يلسع المؤمن من جحر مرتين ألا ترى ان الحارث بن خذان حين أمر بالكلام عند مقتل يزيد بن المهلب قال يا أيها الناس اتقوا الفتنة فانها تقبل بشبهة وتدبر ببيان وان المؤمن لا يلسع من جحر مرتين فضرب بكلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المثل ثم قال اتقوا عصبا تأتيكم من الشام كأنها دلاء قد انقطع وذمها(٢) وقال ابن الاشعث لاصحابه وهو على المنبر قد علمنا ان كما نعلم وفهمنا ان كنا نفهم ان المؤمن لا يلسع من جحر مرتين وقد والله لسعت بكم من جحر ثلاث مرات وأنا أستغفر الله من كل ما خالف الايمان واعتصم به من كل ما قرب من الكفر وأنا أذكر بعد هذا فنا آخر من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الكلام الذى قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف وكان كما قال الله تبارك وتعالى قل يا محمد وما أنا من المتكلفين فكيف وقد عاب التشديق وجانب أصحاب التقعير واستعمل المبسوط فى موضع البسط والمقصور فى موضع القصر وهجر الغريب الوحشى ورغب عن الهجين السوقى فلم ينطق الا عن ميراث حكمة ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق وهذا الكلام الذى ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الافهام وقلة عدد الكلام ومع استغنائه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا أفحمه خطيب بل يبذ الخطب الطوال بالكلام القصير ولا يلتمس اسكات الخصم الا بما يعرفه الخصم ولا يحتج الا بالصدق ولا يطلب الفلج(٣) الا بالحق ولا يستعين الا بالخلابة ولا يستعمل المؤاربة(٤) ولا يهمز ولا يلمز ولا يبطئ ولا يعجل ولا يسهب ولا يحصر ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلبا ولا أحسن موقعا ولا أسهل مخرجا ولا أفصح عن معناه ولا أبين من فحواه من كلامه صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا ولم أرهم يذمون المتكلف للبلاغة فقط بل كذلك يرون

(١) يقال حبق بالفتح يحبق بالكسر بمعنى ضرط (٢) هو السيور بين آذان الدلو والعراقى (٣) هو بالسكون الظفر والفوز (٤) هى المداهاة والمخاتلة

المتظرف والمتكلف للغناء ولا يكادون يضعون اسم المتكلف الا فى المواضع التى يذمونها قال قيس بن خطيم

فما المال والاخلاق الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود

وانى لاغنى الناس عن متكلف * يرى الناس ضلالا وليس بمهتد

وقال ابن قيئة وجمال أثقال اذا هى أعرضت * عن الاصل لا يستطيعها المتكلف

وقال محمد بن سلام قال يونس بن حبيب ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد جمعنا فى هذا الكتاب جملا التقطناها من أفواه أصحاب الاخبار ولعل بعض من لم يتسع فى العلم ولم يعرف مقادير الكلام يظن ان تكلفنا له من الامتداح والتشريف ومن التزين والتجويد ما ليس عنده ولا يبلغه قدره كلا والذى حرم التزيد على العلماء وقبح التكلف عند الحكماء وبهرج الكذابين عند الفقهاء لا يظن هذا الا من ضل سعيه فمن كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين ذكر الانصار فقال أما والله ما علمتكم الا لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع وقال الناس كلهم سواء كأسنان المشط والمرء كثير بأخيه ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما يرى لنفسه وقال الشاعر

سواء كأسنان الحمار فلا ترى * لذى شيبة منهم على ناشئ فضلا

وقال آخر

شبابهم وشيبهم سواء * فهم فى اللون أسنان الحمار

واذا حصلت تشبيه الشاعر وحقيقته وتشبيه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وحقيقته علمت فضل ما بين الكلامين وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المسلمون تتكافى دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ويرد عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم فتفهم رحمك الله قلة حروفه وكثرة معانيه وقال عليه السلام اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقال لا تجن يمينك على شمالك وذكر الخيل فقال بطونها كنز وظهورها حرز وقال خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة وقال خير المال عين ساهرة لعين نائمة وقال نعمت العمة لكم النخلة تغرس فى أرض خوارة(١) وتشرب من عين خرارة وقال المطعمات فى المحل الراسخات فى الوحل وقال الحمى فى أصول النخل وذكر الخيل فقال اعرافها ادفاؤها وأذنابها مذابها والخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة وقال ليس منا من حلق أو صلق(٢) أو شق وقال نهيتكم عن عقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات وقال الناس كالابل المائة لا تجد فيها راحلة وقال ما أملق تاجر صدوق وجاء فى الحديث ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وقال يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخير فى السيف والخير مع السيف والخير بالسيف وقال لا يوردن ممرض على مصح

(١) الخرير صوت الماء عند نزوله (٢) أى صاحت صوتا شديدا

وقال لا تزال أمتي صالحا أمرها ما لم تر الامانة مغنما والصدقة مغرما ورأس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس ولن يهلك امرؤ بعد مشورة وقال المستشار مؤتمن وقال المستشار بالخيار ان شاء قال وان شاء أمسك وقال رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم وقال افصلوا بين حديثكم بالاستغفار وقال استعينوا على طول المشي بالسعي وقال للختانة باأم عطية أشميه ولا تنهكيه فانه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج وقال لا تجلسوا على ظهور الطريق فان أبيتم فغضوا الابصار وردوا السلام واهدوا الضال وأعينوا الضعيف وقال ان الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وان تعتصموا بحبله جميعا ولا تتفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله أمركم ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال قال ويقول ابن آدم مالي مالي وانما لك من مالك ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو وهبت فأمضيت وقال لو ان لابن آدم واديين من ذهب لسأل اليهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستعملكم فيها فناظر كيف تعملون وقال ان أحبكم الي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون (١) المتشدقون المتفيهقون وقال اياي والتشادق وقال اياي الفرج في الصلاة وقال لا يؤمن ذو سلطان في سلطانه ولا يجلس على تكرمته الا باذنه وقال اياكم والمشارة فانها تميت الغرة وتحيي العرة وقال لا ينبغي لصديق أن يكون لعانا وقال أعوذ بالله من الاعميين وبوار الايم وكان يقول أعوذ بالله من دعاء لا يسمع وقلب لا يخشع وعلم لا ينفع وقال رجل يارسول الله أوصني بشئ ينفعني الله به قال أكثر ذكر الموت يسلك عن الدنيا وعليك بالشكر فان الشكر يزيد في النعمة وأكثر الدعاء فانك لا تدري متى يستجاب لك وقال أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم واياك والبغي فان الله قد قضى انه من بغي عليه لينصرنه الله واياك والمكر فان الله قد قضى لا يحيق المكر السئ الا بأهله وقيل يارسول الله أي العمل أفضل فقال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله وقيل له أي الاصحاب أفضل فقال الذي اذا ذكرت أعانك واذا نسيت ذكرك وقيل أي الناس شر قال العلماء اذا فسدوا وقال دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء والبغضاء هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تؤمنون حتى تحابوا أولا أنبئكم بأمر اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم وقال تهادوا تحابوا وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أوصاني ربي بتسع أوصاني بالاخلاص في السر والعلانية وبالعدل في الرضا والغضب وبالقصد في الغنى والفقر وان أعفو عمن ظلمني وأعطي من حرمني وأصل من قطعني وان يكون صمتي فكرا ونطقي ذكرا ونظري

(١) كثيروا الكلام في غير داعية

عبرا وثلاث كلمات رويت مرسلة وقد رويت لاقوام شتى وقد يجوز أن يكون انما حكوهم ولم يبتدؤها منها قوله لو تكاشفتم لما تدافنتم ومنها قوله الناس بازمانهم أشبه منهم بآبائهم ومنها قوله ما هلك امرؤ عرف قدره وقال اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار قال وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله كره لكم العبث في الصلاة والرفث في الصيام والضحك عند المقابر وقال اذا أذنت فترسل واذا أقمت فاجزم وحدثنا اسماعيل بن عياش الحمصي عن الحسن بن دينار عن الخصيب بن جحدر وهو من حديث معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليس من أخلاق المؤمن الملق الا في طلب العلم ومن حديث أنس ابن مالك ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال قيدوا العلم بالكتابة قال ويقول الله لولا رجال خشع وصبيان رضع وبهائم رتع لصببت عليكم العذاب صبا ومن حديث عبد الله بن المبارك رفعه قال اذا ساد القبيل فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل اتقاء شره فلينتظر والبلاء ومن حديث ابن أبي ذئب عن المغيرة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال صلى الله تعالى عليه وسلم ستحرصون على الامارة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومن حديث عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يحكم الحاكم بين اثنين وهو غضبان ومن حديث عبد الله بن المبارك قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان قوما ركبوا سفينة في البحر فاقتسموا فصار لكل رجل منهم موضع فنقر رجل منهم موضعه بفأس فقالوا له ما تصنع فقال هو مكاني أصنع فيه ما شئت فان أخذوا على يديه نجا ونجوا وان تركوه هلك وهلكوا وقال علق سوطك حيث يراه أهلك ودخل السائب بن أبي صيفي على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يارسول الله أتعرفني قال كيف لا أعرف شريكي الذي كان لا يشاريني ولا يماريني وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يؤتى بالوالي يجلد فوق ما أمر الله به فيقول له الرب عبدي لم جلدت فوق ما أمرتك به فيقول رب غضبت لغضبك فيقول أكان ينبغي لغضبك أن يكون أشد من غضبي ثم يؤتى بالمقصر فيقول عبدي لم قصرت عما أمرتك به فيقول رب رحمته فيقول أكان ينبغي لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتي قال فيأمر فيهما بشئ قد ذكره لا أعرفه الا انه صيرهما الى النار قال وكيع حدثنا عبد العزيز بن عمر عن قزعة قال قال لي ابن عمر اودعك كما ودعني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وقال كل أرض بسمائها وروى سعيد بن عفير عن ابن لهيعة عن أشياخه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كتب لوائل بن حجر الحضرمي ولقومه من محمد رسول الله الى الاقيال (١) العباهلة من أهل حضرموت باقام الصلاة وايتاء الزكاة على التيعة (٢)

(١) هم الملوك والعباهلة هم الاقيال المقرون على ملكهم (٢) هي بالكسر الاربعون من الغنم والتيمة بالكسر الشاة الزائدة على الاربعين حتى تبلغ الفريضة الاخرى

شاة والتيمة لصاحبها وفى السيوب(١) الخمس لاخلا(٢) ولا وراط(٣) ولا شناق(٤) ولا شغار فمن جبى فقد أربى وكل مسكر حرام ومن حديث راشد بن سعد أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لا تغالوا فى النساء فانما هن سقيا الله وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خير نساء ركبن الابل صوالح نساء قريش أحناه على ولد فى صغره وارعاه على بعل فى ذوات يده وقال مجالد عن الشعبى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اذهب ملك غسان وضع مهور كندة والذى يدلك على ان الله قد خصه من الايجاز وقلة عدد اللفظ مع كثرة المعانى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم نصرت بالصبا وأعطيت جوامع الكلم (ومما) روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم من استعمال الاخلاق الكريمة والافعال الشريفة وكثرة الامر بها والنهى عما خالف عنها قوله من لم يقبل عذرا من متنصل صادقا كان أو كاذبا لم يرد على الحوض وقال فى آخر وصيته اتقوا الله فى الضعيفين وكلمته جارية فى السبى فقال لها من أنت قالت أنا بنت الرجل الجواد حاتم فقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ارحموا عزيزا ذل ارحموا غنيا افتقر ارحموا عالما ضاع بين جهال ﴿وقال﴾ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سرعة المشى تذهب ببهاء المؤمن ﴿وعن﴾ أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الاحاديث ستكثر عنى بعدى كما كثرت عن الانبياء من قبلى فما جاءكم عنى فاعرضوا على كتاب الله فما وافق كتاب الله فهو عنى قلته أو لم أقل وسئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن خلق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالت خلق القرآن وتلت قول الله وانك لعلى خلق عظيم ﴿وقال﴾ محمد بن على أدب الله محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم باحسن الآداب فقال خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين فلما وعى قال ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ﴿قال﴾ حدثنا على بن مجاهد قال حدثنا هشام بن عروة قال سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا ينشد

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

فقال عمر ذاك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد كان الناس يستحسنون قول الاعشى

تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق

فلما قال الحطيئة البيت الذى كتبناه قبل هذا سقط بيت الاعشى ﴿وقال﴾ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يزال المسروق منه فى تهمة من هو برىء حتى يكون أعظم جرما من السارق ﴿وقال﴾ أبو الحسن أجرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الخيل وسابق بينها فجاء فرس له أدهم سابقا فجثا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ركبتيه وقال ما هو الا

(١) فى الركاز (٢) هو الخلط لاجل خفة الزكاة (٣) هو الجمع بين متفرق وعكسه (٤) هو أخذ شئ من الشنق وهو ما بين الفريضتين

البحر ﴿وقال﴾ عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كذب الحطيئة حيث يقول

وان جياد الخيل لا تستفزنا * ولا جاعلات العاج فوق المعاصم

وقد زعم ناس من العلماء أنه لم يستفزه سبق فرسه ولكنه أراد اظهار حب الخيل وتعظيم شأنها وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يأكل على الارض ويجلس على الارض ويلبس العباء ويجالس المساكين ويمشى فى الاسواق ويتوسد يده الشريفة ويقص من نفسه ويلطع(١) أصابعه ولا يأكل متكأ ولم ير قط ضاحكا ملء فيه وكان يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأشرب كما يشرب العبد ولو دعيت الى ذراع لاجبت ولو أهدى الى كراع(٢) لقبلت لم يأكل قط وحده ولا ضرب عبده ولا ضرب أحدا بيده الا فى سبيل ربه ولو لم يكن من كرم عفوه ورجاحة حلمه الا ما كان منه يوم فتح مكة لقد كان ذلك من أكمل الكمال وذلك أنه حين دخل مكة عنوة وقد قتلوا اعمامه وبنى اعمامه وأولياءه وقادة أنصاره بعد ان حصروه فى الشعاب وعذبوا أصحابه بانواع العذاب وجرحوه فى بدنه وأذوه فى نفسه وسفهوا عليه وأجمعوا على كيده فلما دخلها بغير جهدهم وظهر عليهم على صغر منهم قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ﴿ثم قال﴾ أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وانما نقول فى كل باب بالجملة من ذلك المذهب واذا عرفتم أول كل باب كنتم خلقاء أن تعرفوا الاواخر بالاوائل والمصادر بالموارد ﴿ومن﴾ خطبه صلى الله تعالى عليه وسلم خطبة حجة الوداع ﴿وهى﴾ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أوصيكم عباد الله بتقوى الله واحثكم على طاعته واستفتح بالذى هو خير أما بعد أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم فانى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا ﴿أيها الناس﴾ ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت اللهم اشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها ﴿وان﴾ ربا الجاهلية موضوع ﴿وان﴾ أول ربا ابدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب ﴿وان﴾ دماء الجاهلية موضوعة (وان) أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب (وان) مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية ﴿أيها الناس﴾ ان الشيطان قد يئس ان يعبد فى أرضكم هذه ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم ﴿أيها الناس﴾ انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله ﴿وان﴾ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات

(١) أى يلحسها (٢) هو الرجل

والارض (وان) عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى وشعبان ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق لكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم الا باذنكم ولا يأتين بفاحشة فان فعلن فان الله قد أذن لكم ان تعضلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وانما النساء عندكم عوان (١) لا يملكن لانفسهن شيأ أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه الا عن طيب نفس منه ألا هل بلغت اللهم اشهد فلا ترجعن بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فانى قد تركت فيكم ما ان أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم وليس لعربى على عجمى فضل الا بالتقوى الا هل بلغت اللهم اشهد قالوا نعم قال فليبلغ الشاهد الغائب (أيها الناس) ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ولا يجوز لوارث وصيته ولا يجوز وصيته فى أكثر من الثلث والولد للفراش وللعاهر الحجر من ادعى الى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله (وعن الحسن) قال جاء قيس بن عاصم المنقرى الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما نظر اليه قال هذا سيد أهل الوبر فقال يارسول الله خبرنى عن المال الذى لا تكون على فيه تبعة من ضيف ضافنى أو عيال ان كثروا على قال نعم المال الاربعون والاكثر الستون وويل لاصحاب المئين الا من أعطى فى رسلها (٢) ونجدتها وأطرق فحلها وأفقر ظهرها ونحر سمينها وأطعم القانع والمعتر قال يارسول الله ما أكرم هذه الاخلاق وأحسنها وما يحل بالوادى الذى أكون فيه أكثر من ابلى (قال) فكيف تصنع بالطروقة قال تغدو الابل ويغدو الناس فمن شاء أخذ برأس بعير فذهب به (قال) فكيف تصنع بالافقار قال انى لافقر (٣) البكر الضرع والناب المسنة قال فكيف تصنع بالمنيحة (٤) (قال) انى لامنح فى كل سنة مائة قال فاى المال أحب اليك امالك ام مال مواليك قال بل مالى قال فمالك من مالك الا ما أكلت فافنيت أولبست فابليت أو أعطيت فامضيت وما سوى ذلك للمواريث وذكر أبو المقدام هشام بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال دخلت على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى مرضه الذى مات فيه فجعلت أحد النظر اليه فقال لى يا ابن كعب مالك تحد النظر الى قلت لما نحل من جسمك وتغير من لونك قال فكيف لو رأيتنى بعد ثلاثة فى قبرى وقد سالت حدقتاى على وجنتى وابتدرنى وأنفى صديدا ودودا كنت الى أشد نكرة

(١) هى من النساء ما كان لها زوج (٢) هو اللبن (٣) يقال افقرك بعيره أعارك ظهره (٤) هى التى تحلب

أعدها على حديثا كنت حدثتنيه عن ابن عباس قلت سمعت ابن عباس يقول كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان لكل شئ شرفا وان أشرف المجالس ما استقبل به القبلة ومن أحب أن يكون أعز الناس فليتق الله ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون اغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يده ثم قال ألا أنبئكم بشرار الناس قالوا بلى يارسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده (١) وجلد عبده ثم قال ألا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يارسول الله قال من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ثم قال ألا انبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره ثم قال ألا أنبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه ان عيسى بن مريم قام خطيبا فى بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل لا تكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ولا تكافؤا ظالما فيبطل فضلكم يا بنى اسرائيل الامور ثلاثة أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه فاجتنبوه وأمر اختلف فيه فالى الله ردوه وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كل قوم على زينة من أمرهم ومفلحة فى أنفسهم يزرون على من سواهم ويتبين الحق من ذلك بالمقايسة بالعدل عند ذوى الالباب من الناس وقال من رضى رفيقه فليمسكه ومن لم يرض فليبعه ولا تعذبوا عباد الله وقال فى آخر ما أوصى به اتقوا الله فى الضعيفين بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية وفتح قسطنطينية خروج الدجال ثم ضرب بيده على فخذ الذى حدثه أو منكبه ثم قال ان هذا الحق كما انك ههنا أو كما انك قاعد يعنى معاذا صالح المرى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا امراضكم بالصدقة واستقبلوا البلاء بالدعاء كثير بن هشام عن عيسى بن ابراهيم عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الجمعة حج المساكين عوف عن الحسن أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال اتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عوان وانما اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله الواقدى عن موسى بن محمد بن ابراهيم التيمى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله يحب الجواد من خلقه (أبو عبد الرحمن) الاشجعى عن يحيى بن عبد الله عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما خلا يهودى بمسلم قط الا هم بقتله ويقال حدث نفسه بقتله أبو عاصم النبيل قال حدثنا عبد الله بن أبى زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت قال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من ذب عن لحم أخيه بظهر الغيب كان حقا على الله ان يحرم لحمه على النار اسماعيل بن عياش عن الحسن بن دينار عن الخصيب بن جحدر عن

(١) هو العطاء

رجل عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ليس من أخلاق المؤمن الملق (١) الا في طلب العلم عبد ربه ابن أعين عن عبد الله بن ثمامة بن أنس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قيدوا العلم بالكتاب وقال فضل جاهك تعود به على أخيك الذي لا جاه له صدقة منك عليه وفضل لسانك تعبر به عن أخيك الذي لا لسان له صدقة منك عليه وفضل قوتك تعود بها على أخيك الذي لا قوة له صدقة منك عليه وفضل علمك تعود به على أخيك الذي لا علم له صدقة منك عليه واماطتك الاذى عن الطريق صدقة منك على أهله وانما مدار الامر والغاية التي يجري اليها الفهم ثم الافهام والطلب ثم التثبت وقال عمرو بن العاص ثلاثة لا أملهم جليسي ما فهم عني ودابتي ما حملت رحلي وثوبي ما ستر عورتي وذكر الشعبي ناسا فقال ما رأيت مثلهم أشد تناوبا في مجلس لا أحسن تفهما عن محدث ووصف سهل بن هارون رجلا فقال لم أر أحسن منه فهما لجليل ولا أحسن تفهما لدقيق وقال سعيد بن سلم لامير المؤمنين المأمون لو لم أشكر الله الا على حسن ما بلاني في أمير المؤمنين من قصده الي بحديثه واشارته الي بطرفه لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة وتوجبه الحرية قال المأمون لان أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الافهام اذا حدثت وحسن الفهم اذا حدثت ما لم يجده عند أحد فيمن مضى ولا يظن أنه يجده فيمن بقي وقال له مرة والله انك لتستقفي حديثي وتقف عند مقاطع كلامي وتخبر عنه بما كنت قد أغفلته قال أبو الحسن قالت امرأة لزوجها ما لك اذا خرجت الى أصحابك تطلقت وتحدثت واذا كنت عندي تعقدت واطرقت قال لاني أجل عن دقيقك وتدقين عن جليلي وقال أبو مسهر بن المبارك ما حدثت رجلا قط الا أعجبني حسن اصغائه حفظ عني أم ضيع وقال أبو عقيل بن درست نشاط القائل على قدر فهم المستمع وقال أبو عباد كاتب ابن أبي خالد للقائل على المستمع ثلاث جمع البال والكتمان وبسط العذر وقال أبو عباد اذا أنكر القائل عيني المستمع فليستفهمه عن منتهى حديثه وعن السبب الذي أجرى ذلك القول له فان وجده قد أخلص له الاستماع أتم له الحديث وان كان لاهيا عنه حرمه حسن الحديث ونفع المؤانسة وعرفه بسوء الاستماع والتقصير في حق المحدث وأبو عباد هذا هو الذي قال ما جلس بين يدي رجل قط الا تمثل لي اني سأجلس بين يديه وذكر رجل من القرشيين عبد الملك بن مروان وعبد الملك يومئذ غلام فقال انه لآخذ بأربع وتارك لأربع آخذ بأحسن الحديث اذا حدث وبأحسن الاستماع اذا حدث وبأيسر المؤنة اذا خولف وبأحسن البشر اذا لقي وتارك لمحادثة اللئيم ومنازعة اللجوج ومداراة السفيه ومصاحبة المأفون (٢) وذم بعض الحكماء رجلا فقال يجزم قبل أن يعلم ويغضب قبل أن يفهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في بعض رسائله الى قضاته الفهم الفهم مما يختلج في صدرك ولا يمكن تمام الفهم الامع

(١) هو الود واللطف وان تعطى بلسانك ما ليس في قلبك (٢) هو الضعيف العقل والرأي الممتدح بما ليس عنده

تمام

تمام فراغ البال وقال مجنون بني عامر

أتاني هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبي فارغا فتمكنا

وكتب مالك بن أسماء بن خارجة الى أخيه عيينة بن أسماء

أعيينه لا انشغفت بها * كنت استعنت بفارغ العقل
أقبلت ترجو الغوث من قبلي * والمستغاث اليه في شغل

وقال صالح المري سوء الاستماع نفاق وقد لا يفهم المستمع الا بالتفهم وقد يتفهم أيضا من لا يفهم وقال الحارث بن حلزة

وحبست فيها الركب أحدس في * كل الامور وكنت ذا حدس

(وقال النابغة الجعدي)

أبالي البلاء واني امرؤ * اذا ما تبينت لم أرتب

(وقال آخر) تحلم عن الادنين واستبق ودهم * ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

والمثل السائر على وجه الدهر قولهم العلم بالتعلم واذا كانت البهيمة اذا أحست بشيء من أسباب القانص (١) أحدت نظرها واستفرغت قواها في الاستروح وجمعت بالها للتسمع كان الانسان العاقل أولى بالتثبت وأحق بالتعرف ولما اتهم قتيبة بن مسلم أبا مجلز لاحق بن حميد ببعض الامر قال له أبو مجلز أيها الامير تثبت فان التثبت نصف العفو وقال الاحنف تعلمت العلم من قيس بن عاصم وقال فيروز بن حصين كنت أختلف الى دار الاستخراج اتعلم الصبر وقال سهل بن هرون بلاغة الانسان رفق والعي خرق وكان كثيرا ينشد قول شتيم بن خويلد

ولا يشعبون (٢) الصدع بعد تفاقم * وفي رفق أيديكم لذي الصدع شاعب

وقال ابراهيم الانصاري هو ابراهيم بن محمد المفلوج من ولد أبي زيد القاري الخلفاء والائمة وأمراء المؤمنين ملوك وليس كل ملك يكون خليفة واماما قال ولذلك فصل بينهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه في خطبته فانه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك فرفع الناس رؤسهم فقال ما لكم أيها الناس انكم لطعانون عجلون ان من الملوك من اذا ملك زهده الله فيما عنده ورغبه فيما في يدي غيره وانتقصه شطر أجله وأشرب قلبه الاشفاق فهو يحسد على القليل ويتسخط الكثير ويسأم الرخاء وتنقطع عنه لذة البهاء لا يستعمل العبرة ولا يسكن الى الثقة فهو كالدرهم القسي (٣) والسراب الخادع جذل الظاهر حزين الباطن فاذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحى ظله حاسبه الله فأشد حسابه وأقل عفوه الا ان الفقراء هم المرحومون وخير الملوك من آمن بالله وحكم بكتابه وسنة نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم وانكم اليوم على خلافة النبوة ومفرق المحجة وسترون بعدي ملكا عضوضا وملكا عنودا وأمة شعاعا (٤) ودما مفاحا فان كانت

(١) هكذا هو بالنسخ ولعله القنص يعني السكاري (٢) هو الاصلاح (٣) هو الردىء وتخفف سينه وتشدد
(٤) الشعاع التفرق أي أمة متفرقة

للباطل نزوة (١) ولاهل الحق جولة يعفو بها الاثر ويموت لها البشر فالزموا المساجد واستشيروا القرآن والزموا الطاعة ولا تفارقوا الجماعة وليكن الابرام بعد التشاور والصفقة بعد طول التناظر أى بلادكم خرسة ان الله سيفتح عليكم أقصاها كما فتح عليكم أدناها

﴿ كلام أبي بكر لعمر رضى الله تعالى عنهما عند موته ﴾

انى مستخلفك من بعدى وموصيك بتقوى الله ان لله عملا بالليل لا يقبله بالنهار وعملا بالنهار لا يقبله بالليل وانه لا تقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يكون خفيفا ان الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيآتهم واذا ذكرتهم قلت انى أخاف ان لا أكون من هؤلاء وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم فاذا ذكرتهم قلت أنى لا ارجو ان لا اكون من هؤلاء وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقى بيده الى التهلكة فاذا حفظت وصيتى فلا يكن غائب أحب اليك من الموت وهو آتيك وان ضيعت وصيتى فلا يكن غائب أبغض اليك من الموت ولست بمعجز الله

﴿ وأوصى عمر رضى الله تعالى عنه ﴾ الخليفة من بعده فقال أوصيك بتقوى الله لا شريك له وأوصيك بالمهاجرين الاولين خيرا أن تعرف لهم سابقتهم وأوصيك بالانصار خيرا فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم وأوصيك بأهل الامصار خيرا فانهم ردء العدو وجباة الفىء لا تحمل فيئهم الا عن فضل منهم وأوصيك بأهل البادية خيرا فانهم أصل العرب ومادة الاسلام أن تأخذ من حواشى اموال اغنيائهم فترد على فقرائهم وأوصيك بأهل الذمة خيرا ان تقاتل من ورائهم ولا تكلفهم فوق طاقتهم اذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعا أو عن يد وهم صاغرون وأوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة وأوصيك بتقوى الله أن تخشى الله فى الناس وتخشى الناس فى الله وأوصيك بالعدل فى الرعية والتفرغ لحوائجهم وثغورهم ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم فان ذلك بأذن الله سلامة لقلبك وحط لوزرك وخير فى عاقبة أمرك حتى تفضى من ذلك الى من يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك وآمرك ان تشد فى أمر الله وفى حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم ثم لا تأخذك فى أحد رأفة حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرم الله واجعل الناس عندك سواء لا تبالى على من وجب الحق ثم لا تأخذك فى الله لومة لائم واياك والاثرة والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء الله على المؤمنين فتجور وتظلم وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسعه الله عليك وقد أصبحت

(١) توثب وسور

بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة فان اقترفت لدنياك عدلا وعفة عما بسط الله لك اقترفت به ايمانا ورضوانا وان غلبك الهوى اقترفت به سخط الله وأوصيك ان لا ترخص لنفسك ولا لغيرك فى ظلم أهل الذمة وقد أوصيتك وحضضتك ونصحتك فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة واخترت من دلالتك ما كنت دالا عليه نفسى وولدى فان عملت بالذى وعظتك وانتهيت الى الذى أمرتك أخذت به نصيبا وافرا وحظا وافيا وان لم تقبل ذلك ولم يهمك ولم تنزل معاظم الامور عند الذى يرضى الله به عنك يكن ذلك بك انتقاصا ورأيك فيه مدخولا لان الاهواء مشتركة ورأس كل خطيئة ابليس وهو داع الى كل هلكة وقد أضل القرون السالفة قبلك فأوردهم النار ولبئس الثمن أن يكون حظ امرىء موالاة عدو الله الداعى الى معاصيه ثم اركب الحق وخض اليه الغمرات وكن واعظا لنفسك أنشدك الله لما ترحمت على جماعة المسلمين فأجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم ووقرت عالمهم ولا تضربهم فيذلوا ولا تستأثر عليهم بالفىء فتغضبهم ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم ولا تجمرهم فى البعوث فتقطع نسلهم ولا تجعل المال دولة (٢) بين الاغنياء منهم ولا تغلق بابك دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم هذه وصيتى اياك واشهد الله عليك وأقرأ عليك السلام ﴿ رسالة عمر رضى الله تعالى عنه الى أبي موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه ﴾ رواها ابن عيينة وابو بكر الهذلى ومسلمة بن محارب رووها عن قتادة ورواها أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم عن عبيد الله بن حميد الهذلى عن أبى المليح بن أسامة ان ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتب الى أبى موسى الاشعرى بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا أدلى (٢) اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له آس بين الناس فى مجلسك ووجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ولا يخاف ضعيف من جورك والبينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا حرم حلالا أو أحل حراما ولا يمنعك قضاء قضيته بالامس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن ترجع عنه فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل الفهم الفهم عندما يتلجلج فى صدرك مما لم يبلغك فى كتاب الله ولا سنة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اعرف الامثال والاشباه وقس الامور عند ذلك ثم اعمد الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق فيما ترى واجعل للمدعى حقا (٣) غائبا أو بينة أمدا ينتهى اليه فان أحضر بينته أخذت له بحقه والا وجهت عليه القضاء فان ذلك أنفى للشك وأجلى للعمى وأبلغ فى العذر المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا فى حد أو مجربا عليه شهادة زور أو ظنينا (٤) فى ولاء أو قرابة فان الله قد تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالشبهات ثم اياك والقلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله بها الاجر ويحسن بها الذخر فانه من يخلص نيته فيما

(١) هى بالفتح وبضم العقبة فى المال ان يعقب الشخص آخر (٢) اى اذا رفع لك الامر وجىء به اليك (٣) هو مفعول المدعى وأمدا هو المفعول الثانى (٤) هو المتهم بسبب قرابته كان يشهد لولده

بينه وبين الله تبارك وتعالى ولو على نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله خلافه منه هتك الله ستره وأبدى فعله والسلام عليك وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى اول خطبة خطبها على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال أما بعد فلا يرعين مرع الا على نفسه فان من ارعى على غير نفسه شغل عن الجنة والنار امامه ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر فى النار ثلاثة واثنان ملك طار بجناحيه ونبى أخذ الله بيده ولا سادس هلك من ادعى وردى من اقتحم فان اليمين والشمال مضلة والوسطى الجادة منهج عليه باقى الكتاب والسنة وآثار النبوة ان الله داوى هذه الامة بدواءين السوط والسيف فلا هوادة (١) عند الامام فيهما استتروا ببيوتكم واصلحوا فيما بينكم والتوبة من ورائكم من ابدى صفحته للحق هلك قد كانت أمور لم تكونوا عندى فيها محمودين أما انى لو أشاء لقلت عفا الله عما سلف سبق الرجلان ونام الثالث كالغراب همته بطنه يا ويحه لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيرا له انظروا ان أنكرتم فانكروا وان عرفتم فآزروا حق وباطل ولكل أهل ولئن كثر أمر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق لربما ولعل ما أدبر شئ فأقبل ولئن رجعت عليكم أموركم انكم لسعداء وانى لاخشى أن تكونوا فى فترة وما علينا الا الاجتهاد قال أبو عبيدة وروى فيها جعفر بن محمد ان ابرار عترتى وأطايب أرومتى (٢) أحلم الناس صغارا وأعلمهم كبارا الا وانا من أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا ومن قول صادق سمعنا وان تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا وان لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا معنا راية الحق من تبعنا لحق ومن تأخر عنا غرق الا وان بنا تردد برة (٣) كل مؤمن وبنا تخلع ربقة الذل من أعناقكم وبنا فتح وبنا ختم لا بكم * ومن خطب على أيضا رضى الله تعالى عنه قالوا أغار سفيان بن عوف الازدى ثم الغامدى على الانبار زمان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وعليها ابن حسان أو حسان البكرى فقتله وازال تلك الخيل عن مسالحها فخرج على حتى جلس على باب السدة فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال اما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلة وشمله البلاء والزمه الصغار وسيم الخسف ومنع النصف الا وانى قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا سرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم فوالله ما غزى قوم قط فى عقر دارهم الا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولى واتخذتموه وراءكم ظهريا حتى شنت عليكم الغارات هذا أخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتل حسان أو ابن حسان البكرى وأزال خيلكم عن مسالحها وقتل منكم رجالا صالحين وقد بلغنى أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع أحجالها (٤) وقلبها ورعثها ثم انصرفوا وافرين ما كلم رجل منهم كلما فلو أن

(١) هى اللين (٢) هى بالفتح والضم الاصل (٣) هى نقيض الدولة (٤) هو جمع حجل وهو الخلخال والقلب بالضم السوار وقوله ورعثها لعله ورعاثها جمع رعثة وهو القرط واما الرعث فله معان لا تناسب هنا

امر

امرأ مسلما مات من بعدها أسفا ما كان عندى ملوما بل كان عندى بها جديرا فيا عجبا من جد هؤلاء القوم فى باطلهم وفشلكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى وفيئا ينهب يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون (١) ويعصى الله وترضون فاذا أمرتكم بالسير اليهم فى الحر قلتم حمارة القيظ أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر واذا أمرتكم بالسير فى البرد قلتم أمهلنا حتى ينسلخ عنا القر كل هذا فرارا من الحر والقر فاذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم والله من السيف أفر يا أشباه الرجال ولا رجال ويا احلام الاطفال وعقول ربات الحجال وددت ان الله قد أخرجنى من بين ظهرانيكم وقبضنى الى رحمته من بينكم والله لوددت انى لم أركم ولم أعرفكم معرفتكم والله جرت ندما وورثتم صدرى غيظا وجرعتمونى الموت أنفاسا وأفسدتم على رأيى بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش ان ابن أبى طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم وهل منهم أحد اشد لها مراسا وأطول لها تجربة منى لقد مارستها وما بلغت العشرين فها أنا قد نيفت على الستين ولكنه لا رأى لمن لا يطاع قال فقام رجل من الازد يقال له فلان بن عفيف ثم أخذ بيد أخ له فقال يا أمير المؤمنين أنا وأخى كما قال الله رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فمرنا بامرك فوالله لنضربن دونك وان حال دونك جمر الغضا وشوك القتاد قال فاثنى عليهما وقال لهما خيرا وقال أين تقعان مما أريد ثم نزل * وخطبة أخرى بهذا الاسناد فى شبيه بهذا المعنى قام فيهم خطيبا فقال أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم كلامكم يوهى الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم عدوكم تقولون فى المجالس كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم حيدى (٢) حياد ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم اعاليل بأضاليل وسألتمونى التأخير دفاع ذى الدين المطول هيهات لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الا بالجد اى دار بعد داركم تمنعون أم مع أى امام بعدى تقاتلون المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع فى نصرتكم فرق الله بينى وبينكم وأعقبنى بكم من هو خير لى منكم لوددت ان لى بكل عشرة منكم رجلا من بنى فراس بن غنم صرف الدينار بالدرهم * وخطب أيضا على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال أما بعد فان الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع وان الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وان المضمار اليوم والسباق غدا الا وانكم فى أيام أمل من ورائه أجل فمن أخلص فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضره أمله ومن قصر فى أيام أمله قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أمله الا فاعملوا لله فى الرغبة كما تعملون له فى الرهبة الا وانى لم أر كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل ومن لم يستقم بالهدى يجر به الضلال الا وانكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد وان أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الامل * خطبة عبد الله بن مسعود رضى

(١) ولا تغزون (٢) هو على صيغة أمر المؤنث وحياد بالبناء على الكسر معناه اتسعى اتساعا

الله تعالى عنه ﴾ أصدق الحديث كتاب الله تعالى وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة ابراهيم عليه السلام وأحسن السنن سنة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وخير الامور عزائمها ماقل وكفى خير مما كثر وألهى نفس تنجيها خير من امارة لاتحصيها خير الغنى غنى النفس خير ما ألقى فى القلب اليقين الخمر جماع الآثام النساء حبالة الشيطان الشباب شعبة من الجنون حب الكفاية مفتاح المعجزة من الناس من لا يأتى الجماعة الا دبرا ولا يذكر الله الا هجرا أعظم الخطايا اللسان الكذوب سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية من يتألى على الله يكذبه ومن يغفر يغفر له مكتوب فى ديوان المحسنين من عفا عفى عنه الشقى من شقى فى بطن أمه السعيد من وعظ بغيره الامور بعواقبها ملاك العمل خواتيمه أحسن الهدى هدى الانبياء أقبح الضلالة الضلالة بعد الهدى أشرف الموت الشهادة من يعرف البلاء يصبر عليه ومن لا يعرف البلاء ينكره ﴿ خطبة عتبة بن غزوان السلمى ﴾ بعد الايلة حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال أما بعد فان الدنيا قد تولت حذاء مدبرة وقد آذنت أهلها بصرم وانما بقى منها صبابة كصبابة الاناء يصطبها صاحبها ألا وانكم مفارقوها لا محالة ففارقوها بأحسن ما يحضركم ألا وان من العجب انى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ان الحجر الضخم يلقى فى النار من شفيرها فيهوى فيها سبعين خريفا ولجهنم سبعة أبواب ما بين البابين منها مسيرة خمسمائة سنة ولتأتين عليه ساعة وهو كظيظ (١) بالزحام ولقد كنت مع رسول الله سابع ستة ما لنا طعام الا ورق البشام حتى قرحت أشداقنا فوجدت أنا وسعد بن مالك نمرة فشققتها بينى وبينه بنصفين والتقطت بردة فشققتها بينى وبينه فاتزرت بنصفها واتزر بنصفها وما منا أحد اليوم الا وهو أمير على مصر من الامصار وانه لم يكن نبوة قط الا تناسختها جبرية وأنا أعوذ بالله أن أكون فى نفسى عظيما وفى أعين الناس صغيرا وستجربون الامراء من بعدى فتعرفون وتنكرون ﴿ خطبة من خطب معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما ﴾ رواها شعيب بن صفوان وزاد فيها اليقطرى وغيره قالوا لما حضرت معاوية الوفاة قال لمولى له من بالباب قال نفر من قريش يتباشرون بموتك فقال ويحك ولم قال لا أدرى قال فوالله ما لهم بعدى الا الذى يسوءهم وأذن للناس فدخلوا فحمد الله وأثنى عليه وأوجز ثم قال يا أيها الناس انا قد أصبحنا فى دهر عنود وزمن شديد يعد فيه المحسن مسيأ ويزداد فيه الظالم عتوا لا ننتفع بما علمناه ولا نسأل عما جهلناه ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا فالناس على اربعة أصناف منهم من لا يمنعه من الفساد فى الارض الا مهانة نفسه وكلال حده ونضيض (٢) وفره ومنهم المصلت لسيفه المجلب بخيله ورجله والمعلن بشره قد أشرط نفسه وأوبق دينه لحطام ينتهزه أو مقنب يقوده أو منبر يفرعه ولبئس المتجران تراها لنفسك ثمنا ولما لك عند الله عوضا ومنهم من يطلب الدنيا

(١) هو من تبهظه الامور حتى يعجز عنها (٢) قلة ماله

بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا فقد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف نفسه للامانة واتخذ ستر الله ذريعة للمعصية ومنهم من قد أقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه وانقطاع سببه فقصرت به الحال عن أمله فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس الزهاد وليس من ذلك فى مراح ولا مغدى وبقى رجال غض أبصارهم ذكر المرجع وأراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد نافر وخائف منقمع وساكت مكعوم (١) وداع مخلص وموجع ثكلان قد أخملتهم التقية وشملتهم الذلة فهم بحر أجاج أفواههم ضامرة وقلوبهم قرحة قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا فى أعينكم أصغر من حثالة (٢) القرظة وقراضة الجلمين (٣) واتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم وارفضوها ذميمة فانها قد رفضت من كان أشغف بها منكم وفى هذه الخطبة أبقاك الله ضروب من العجب منها ان هذا الكلام لا يشبه السبب الذى من أجله دعاهم معاوية ومنها ان هذا المذهب فى تصنيف الناس وفى الاخبار عنهم وعما هم عليه من القهر والاذلال ومن التقية والخوف أشبه بكلام على وبمعانيه وبحاله منه بحال معاوية ومنها انا لم نجد معاوية فى حال من الحالات يسلك فى كلامه مسلك الزهاد ولا يذهب مذاهب العباد وانما نكتب لكم ونخبر بما سمعناه والله أعلم بأصحاب الاخبار وبكثير منهم ﴿ خطبة زياد بالبصرة البتراء ﴾ قال أبو الحسن المدائنى ذكر ذلك عن مسلمة بن محارب وعن أبى بكر الهذلى قالا قدم زياد البصرة واليا لمعاوية بن أبى سفيان وضم اليه خراسان وسجستان والفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر قالا فخطب خطبة بتراء لم يحمد الله فيها وقال غيرهما بل قال الحمد لله على افضاله واحسانه ونسأله المزيد من نعمه واكرامه اللهم كما زدتنا نعما فألهمنا شكرا أما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والغى الموفى باهله على النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حلماؤكم من الامور العظام ينبت فيها الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كأنكم لم تقرؤا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته فى الزمن السرمدى الذى لا يزول أتكونون كمن طرفت عينيه الدنيا وسدت مسامعه الشهوات واختار الفانية على الباقيه ولا تذكرون انكم أحدثتم فى الاسلام الحدث الذى لم تسبقوا اليه من ترككم الضعيف يقهر ويؤخذ ماله هذه المواخير المنصوبة والضعيفة المسلوبة فى النهار المبصر والعدد غير قليل ألم تكن منكم نهاة تمنع الغواة عن دلج الليل وغارة النهار قربتم القرابة وباعدتم الدين تعتذرون بغير العذر وتغضون على المختلس كل امرئ منكم يذب عن سفيهه صنيع من لا يخاف عاقبة ولا يرجو معادا ما أنتم بالحلماء ولقد اتبعتم السفهاء فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام

(١) مشدود مأخوذ من كعم المتاع شده بثوب (٢) الحثالة الغلث والقرظة النبات الذى يدبغ به (٣) قرد تى المقص

ثم اطرقوا وراءكم كنوسا فى مكانس الريب حرام على الطعام والشراب حتى اسويها بالارض هدما واحراقا انى رأيت آخر هذا الامر لا يصلح الا بما صلح به أوله لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف وانى أقسم بالله لآخذن الولى بالمولى والمقيم بالظاعن والمقبل بالمدبر والمطيع بالعاصى والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول انج سعد فقد هلك سعيد او تستقيم قناتكم ان كذبة المنبر بلقاء مشهورة فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتى فاذا سمعتموها منى فاغتمزوها فى واعلموا ان عندى أمثالها من نقب منكم عليه فانا ضامن لما ذهب منه فاياى ودلج (١) الليل فانى لا أوتى بمدلج الا سفكت دمه وقد أجلتكم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة ويرجع اليكم واياى ودعوى الجاهلية فانى لا أجد أحدا دعا بها الا قطعت لسانه وقد أحدثتم احداثا لم تكن وقد احدثنا لكل ذنب عقوبة فمن غرق قوما غرقناه ومن احرق قوما احرقناه ومن نقب بيتا نقبنا عن قلبه ومن نبش قبرا دفناه حيا فيه فكفوا عنى أيديكم وألسنتكم اكفف عنكم يدى ولسانى ولا تظهر من احد منكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم الا ضربت عنقه وقد كانت بينى وبين اقوام احن (٢) فجعلت ذلك دبر اذنى وتحت قدمى فمن كان منكم محسنا فليزدد احسانا ومن كان منكم مسيأ فلينزع من اساءته انى لو علمت أن احدكم قد قتله السل من بغضى لما كشفت له قناعا ولم اهتك له سترا حتى يبدى لى صفحته فاذا فعل ذلك لم اناظره فاستأنفوا أموركم واعينوا على انفسكم فرب مبتئس بقدومنا سيسر ومسرور بقدومنا سيبتئس أيها الناس انا اصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة (٣) نسوسكم بسلطان الله الذى اعطانا ونذود عنكم بفيء الله الذى خولنا فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا واستوجبوا عدلنا وفيأنا بمناصحتكم لنا واعلموا انى مهما قصرت عنه فلن اقصر عن ثلاث لست محتجبا عن طالب حاجة منكم ولو اتانى طارقا بليل ولا حابسا عطاء ولا رزقا عن ابانه ولا مجمرا لكم بعثا فادعوا الله بالصلاح لائمتكم فانهم ساستكم المؤدبون لكم وكهفكم الذى اليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا ولا تشربوا قلوبكم بغضهم فيشتد لذلك غيظكم ويطول له حزنكم ولا تدركوا له حاجتكم مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرا لكم أسأل الله ان يعين كلا على كل واذا رأيتمونى انفذ فيكم الامر فانفذوه على اذلاله وأيم الله ان لى فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم ان يكون من صرعاى قال فقام اليه عبد الله بن الاهتم فقال اشهد أيها الامير لقد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب فقال له كذبت ذاك نبى الله داود صلوات الله عليه قال فقام الاحنف بن قيس فقال انما الثناء بعد البلاء والحمد بعد العطاء وانا لن نثنى حتى نبتلى فقال له زياد صدقت فقام ابو بلال مرداس بن أمية وهو يهمس ويقول انبأنا الله بغير ما قلت قال الله وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأنت تزعم أنك تأخذ البرىء بالسقيم والمطيع بالعاصى

(١) الخروج فيه (٢) هى جمع أحنة وهى العداوة (٣) هو جمع ذائد بمعنى دافع

والمقبل

والمقبل بالمدبر فسمعها زياد فقال انا لا نبلغ ما نريد فيك وفى أصحابك حتى نخوض اليكم الباطل خوضا خلاد بن يزيد الارقط قال سمعت من يخبر ان الشعبى قال ما سمعت متكلما على منبر قط تكلم فاحسن الا أحببت ان يسكت خوفا من ان يسىء الا زيادا فانه كان كلما اكثر كان اجود كلاما أبو الحسن المدائنى قال قال الحسن اوعد عمر فعفا واوعد زياد فابتلى قال وقال الحسن تشبه زياد بعمر فافرط وتشبه الحجاج بزياد فاهلك الناس قال ابو عثمان قد ذكرنا من كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وخطبه صدرا وذكرنا من خطب السلف جملا وسنذكر من مقطعات الكلام وتجاوب البلغاء ومواعظ النساك ونقصد من ذلك الى القصار دون الطوال ليكون ذلك أخف على القارئ وأبعد من السآمة والملال ثم نعود بعد ذلك الى الخطب المنسوبة الى أهلها ان شاء الله تعالى ولا قوة الا بالله قال ابو الحسن المدائنى قدم عبد الرحمن بن سليم الكلبى على المهلب بن أبى صفرة فى بعض أيامه مع الازارقة فرأى بنيه قد ركبوا عن آخرهم فقال آنس الله الاسلام بتلاحقكم فوالله لئن لم تكونوا أسباط نبوة انكم لاسباط ملحمة قال ابو الحسن دخل الهذيل بن زفر الكلابى على يزيد بن المهلب فى حمالات لزمته ونوائب نابته فقال أصلحك الله انه قد عظم شأنك عن ان يستعان عليك ولست تصنع شيأ من المعروف الا وأنت اكبر منه وليس العجب بان تفعل ولكن العجب بان لا تفعل فقال يزيد حاجتك فذكرها فامر بها وأمر له بمائة الف درهم فقال اما الحمالات فقد قبلتها وأما المال فليس هذا موضعه عيسى بن يزيد بن دأب عمن حدثه عن رجل كان يجالس ابن عباس قال قال عثمان بن ابى العاص الثقفى لبنيه يا بنى انى قد مجدتكم فى امهاتكم واحسنت فى مهنة أموالكم وانى ما جلست فى ظل رجل من ثقيف أشتم عرضه والناكح مغترس فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه والعرق السوء قلما ينجب ولو بعد حين قال فقال ابن عباس يا غلام اكتب لنا هذا الحديث قال ولما همت ثقيف بالارتداد قال لهم عثمان معاشر ثقيف لا تكونوا آخر العرب اسلاما وأولهم ارتدادا قال وسمعت اعرابيا ذكر يوما قريشا فقال كفى بقريش شرفا انهم أقرب الناس نسبا برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واقربهم بيتا من بيت الله الاصمعى قال قيل لعقيل بن علفة لم تهجو قومك قال الغنم اذا لم يصفر لها لم تشرب قال وقيل لعقيل بن علفة لم لا تطيل الهجاء قال يكفيك من القلادة ما احاط بالعنق قال وسأل عمر رضى الله عنه عمرو بن معديكرب الزبيدى عن سعد فقال كيف أميركم قال خير أمير نبطى (١) فى حبوته عربى فى نمرته أسد فى تامورته يعدل فى القضية ويقسم بالسوية وينفر بالسرية وينقل الينا حقنا كما تنقل الذرة فقال عمر لشر ما تقارضتما الثناء قال ولما تورد الحارث بن قيس الجهضمى لعبيد الله بن زياد منزل مسعود بن عمرو العتكى عن غير اذن فاراد

(١) نسبة الى النبط وهم جيل ينزل بين العراقين والحبوة الفراية والنمرة هى الشملة التى فيها خطوط والتامورة بسكون الهمز هى عريسة الاسد

مسعود اخراجه من منزله قال عبد الله قد أجارتني بنت عمك عليك وعقدها العقد الذي يلزمك وهذا ثوبها على وطعامها في مذاخري (١) وقد التف على منزلك وشهد له الحارث بذلك قال مر الشعبي بناس من الموالي يتذاكرون النحو فقال لئن اصلحتموه انكم لاول من أفسده قال وتكلم عبد الملك بن عمير وأعرابي حاضر فقيل له كيف ترى هذا الكلام قال لو كان الكلام يؤتدم به لكان هذا وقال العذر طرف من البخل وقال أيضا الخرس خير من الخلابة وقال ابو عمر الضرير البكم خير من البذاء قال وقدم الهيثم بن الاسود بن العريان على عبد الملك بن مروان فقال كيف تجدك قال أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب ان يسود واسود مني ما كنت أحب ان يبيض واشتد مني ما كنت أحب ان يلين ولان مني ما كنت أحب ان يشتد ثم أنشد

اسمع أنبئك بآيات الكبر * نوم العشاء وسعال بالسحر
وقلة النوم اذا الليل اعتكر * وقلة الطعم اذا الزاد حضر
وسرعة الطرف وتحميج النظر * وتركي الحسناء في قبل الطهر
وحذر ازداده الى حذر * والناس يبلون كما يبلى الشجر

وقال اكثم بن صيفي الكرم حسن الفطنة واللؤم سوء الفطنة وقال اكثم تباعدوا في الديار تقاربوا في المودة وقال آخر لبنيه تباذلوا تحابوا قال ودخل عيسى بن طلحة بن عبيد الله على عروة بن الزبير وقد قطعت رجله فقال له عيسى والله ما كنا نعدك للصراع ولقد أبقى الله لنا اكثرك ابقى لنا سمعك وبصرك ولسانك وعقلك ويديك واحدى رجليك فقال له عروة والله يا عيسى ما عزاني أحد بمثل ما عزيتني به قال وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل قال وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اقرؤا القرآن تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله ولن يبلغ حق ذي حق ان يطاع في معصية الله ولن يقرب من أجل ولن يباعد من رزق ان يقوم رجل بحق او يذكر بعظيم وقال اعرابي لهشام بن عبد الملك أتت علينا ثلاثة أعوام فعام أكل الشحم وعام أكل اللحم وعام نتقى العظم وعندكم أموال فان كانت لله فادفعوها الى عباد الله وان كانت لعباد الله فادفعوها اليهم وان كانت لكم فتصدقوا فان الله يجزي المتصدقين قال فهل من حاجة غير ذلك قال ماضربت اليك أكباد الابل أدرع الهجير وأخوض الدجى لخاص دون عام قال شداد الحارثي ويكنى أبا عبيد الله قلت لامة سوداء بالبادية لمن أنت يا سوداء قالت لسيد الحضر يا أصلع قال قلت أولست بسوداء قالت أولست بأصلع قال قلت ما اغضبك من الحق قالت الحق أغضبك لا تسب ترهب ولان تتركه امثل وقال الاصمعي قال عيسى بن عمر قال ذو الرمة قاتل الله أمة آل فلان ما كان أفصحها سألتها كيف كان المطر عندكم قالت غثنا ما شئنا وأنا

(١) الاجواف والامعاء

رايت عبدا أسود لبني أسيد قدم عليهم من شق اليمامة فبعثوه ناطورا وكان وحشيا محرما لطول تغربه كان في الابل وكان لا يلاقي الا الاكرة (١) فكان لا يفهم عنهم ولا يستطيع افهامهم فلما رآني سكن الي وسمعته يقول لعن الله بلادا ليس فيها عرب قاتل الله الشاعر حيث يقول *حر الثرى مستعرب التراب* أبا عثمان ان هذه العريب في جميع الناس كمقدار القرحة في جميع جلد الفرس فلولا ان الله رق عليهم فجعلهم في حاشية لطمست هذه العجمان آثارهم أترى الاعيار (٢) اذا رأت العتاق لا ترى لها فضلا والله ما أمر الله نبيه بقتالهم الا لضنه بهم ولا ترك قبول الجزية منهم الا تنزيها لهم قال الاحنف أسرع الناس الى الفتنة أقلهم حياء من الفرار قال ولما مات اسماء بن خارجة الفزاري فبلغ الحجاج موته قال هل سمعتم بالذي عاش ما شاء ثم مات حين شاء وقال سلم بن قتيبة دأب المعروف أشد من ابتدائه أبو هلال عن قتادة قال قال أبو الاسود اذا أردت ان تكذب صاحبك فلقنه وقال أبو الاسود اذا أردت ان تعظم فمت وقال أبو الاسود اذا أردت ان تفحم عالما فاحضره جاهلا قال قيل لاعرابي ما يدعوك الى نومة الضحى قال مبردة في الصيف مسخنة في الشتاء وقال اعرابي آخر نومة الضحى مجزة مبخرة وجاء في الحديث الولد مجبنة مبخلة قال ونظر أعرابي الى قوم يلتمسون هلال رمضان فقال أما والله لئن آثرتموه لتمسكن منه بذنابى عيش أغبر وقال أسماء بن خارجة اذا قدمت المصيبة تركت التعزية وقال اذا قدم الاخاء قبح الثناء وقال اسحاق بن حسان لا تشمت الامراء ولا الاصحاب القدماء وسئل اعرابي عن راع له فقال هو السارح الآخر الرائح الباكر الحالب العاصر الحاذق الكاسر قال وقال عتبة بن أبي سفيان لعبد الصمد مؤدب ولده ليكن أول ما تبدأ به من اصلاح بني اصلاح نفسك فان أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث اشرفه ولا تخرجهم من علم الى غيره حتى يحكموه فان ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم وتهددهم بي وأدبهم دوني وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء وجنبهم محادثة النساء وروهم سير الحكماء واستزدني بزيادتك اياهم أزدك واياك ان تتكل على عذر مني لك فقد اتكلت على كفاية منك وزد في تأديبهم أزدك في بري ان شاء الله تعالى محمد بن حرب الهلالي قال كتب ابراهيم بن أبي يحيى الاسلمي الى المهدي يعزيه على ابنته أما بعد فان أحق من عرف حق الله عليه فيما أخذ منه من عظم حق الله عليه فيما أبقى له واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك وان الباقي بعدك هو المأجور فيك وان أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه وقال سهل بن هارون التهنئة على آجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة وقال صالح بن عبد القدوس

(١) هم الحراثون (٢) هو جمع عير وهو الحمار والعتاق الخيل الاصائل

ان يكن ما به أصبت جليلا * فذهاب العزاء فيه أجل
كل آت لاشك آت وذو الجهـ * ـل معنى والهم والحزن فضل

وقال لقمان لابنه يابنى اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق قال وكان يقال أربع لا ينبغى لاحد أن يأنف منهن وان كان شريفا أو أميرا قيامه من مجلسه لابيه وخدمته لضيفه وقيامه على فرسه وخدمته للعالم وقال بعض الحكماء اذا رغبت فى المكارم فاجتنب المحارم وكان يقال لا تغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير وكتب آخر أما بعد فقد كنت لنا كلك فاجعل لنا بعضك ولا ترض الا بالكل منا لك * ووصف بعض البلغاء اللسان فقال اللسان اداة يظهر بها حسن البيان وظاهر يخبر عن الضمير وشاهد ينبئك عن غائب وحاكم يفصل به الخطاب وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف يعرف به الحقائق ومعز ينفى به الحزن ومؤنس تذهب به الوحشة وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعو الى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يستأصل الضغينة وملهم يونق الاسماع وقال بعض الاوائل انما الناس أحاديث فان استطعت أن تكون أحسنهم حديثا فافعل ولما وصل عبد العزيز بن زرارة الى معاوية قال يا أمير المؤمنين لم أزل أستدل بالمعروف عليك وامتطى النهار اليك فاذا ألوى بى الليل فقبض البصر وعفى الاثر أقام بدنى وسافر أملى والنفس تلوم ولاجتهاد يعذر واذ بلغتك فقطنى(١) قال وقال لقمان ثلاثة لا يعرفون الا فى ثلاثة مواطن لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا فى الحرب ولا تعرف أخاك الا عند حاجتك اليه وقال أبو العتاهية

أنت ما استغنيت عن صا * حبك الدهر اخوه * فاذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه

وقال على بن الحسين لابنه يابنى اصبر على النائبة ولا تتعرض للحقوق ولا تجب أخاك الى شئ ضرره عليك أعظم من منفعته له وقال الاحنف من لم يصبر على كلمة سمع كلمات قال رب غيظ تجرعته مخافة ما هو أشد منه وقال من كثر كلامه كثر سقطه ومن طال صمته كثرت سلامته وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل(٢) وقال محمد ابن حرب الهلالى عن أبى الوليد الليثى قال خطب صعصعة بن معاوية الى عامر بن الظرب العدوانى ابنته عمرة وهى أم عامر بن صعصعة فقال يا صعصعة انك أتيتنى تشترى منى كبدى وارحم ولدى عندى أبغضتك أو زودتك والحسيب كفء الحسيب والزوج الصالح أب بعد أب وقد أنكحتك خشية ان لا أجد مثلك أفر من السر الى العلانية أنصح ابنا وأودع ضعيفا قويا يا معشر عدوان خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رهبة ولا رغبة أقسم لو قسم الحظوظ على قدر الجدود ماترك الاول للآخر ما يعيش به قال وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أوصيكم بخمس لو ضربتم اليها آباط الابل لكن لها أهلا لا يرجون أحدكم الا ربه

(١) أى يكفينى ذلك عن كل اجتهاد (٢) أى التنقل من دين الى آخر

ولا

ولا يخافون الا ذنبه ولا يستحى أحد اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم واذا لم يعلم الشئ أن يتعلمه واعلموا أن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا قطع الرأس ذهب الجسد وكذلك اذا ذهب الصبر ذهب الايمان قال وقال الاصمعى أثنى رجل على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فافرط فقال على وكان يتهمه انا دون ما تقول وفوق ما فى نفسك وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قيمة كل انسان ما يحسن وقال له مالك الاشتر كيف وجد أمير المؤمنين امرأته قال كالخير من النساء الا أنها قباء(١) قال وهل يريد الرجل من النساء غير ذلك يا أمير المؤمنين قال لا حتى تدفئ الضجيع وتروى الرضيع قال ووقف رجل على عامر الشعبى فلم يدع قبيحا الا رماه به فقال له عامر ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى وقال ابراهيم النخعى لسليمان الاعمش وأراد أن يماشيه فقال ان الناس اذا رأونا معا قالوا أعور وأعمش قال وما عليك أن يأثموا ونؤجر قال ابراهيم وما عليك ان يسلموا ونسلم قال أبو الحسن كان هشام بن حسان اذا ذكر يزيد بن المهلب قال انه كانت السفن لتجرى فى جوده قال مكتوب فى الحكمة التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين والوحدة خير من قرين السوء قال وكان مالك بن دينار يقول ما أشد فطام الكبير وينشد قول الشاعر

وتروض عرسك بعد ما هرمت * ومن العناء رياضة الهرم

وقال صالح المرى كن الى الاستماع أسرع منك الى القول ومن خطأ الكلام أشد حذرا من خطأ السكوت وقال الحسن بن هانئ

خل جنبيك لرام * وامض عنه بسلام * مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام
انما السالم من ألـ * ـجم فاه بلجام * ربما استفتحت بالمز * ح مغاليق الحمام(٢)

قال أبو عبيدة وأبو الحسن تكلم جماعة من الخطباء عند مسلمة بن عبد الملك فاسهبوا فى القول ثم افترع المنطق رجل من أخريات الناس لا يخرج من حسن الا الى أحسن منه فقال مسلمة ما شبهت كلام هذا بعقب كلام هؤلاء الا بسحابة لبدت عجاجة قال أبو الحسن علم اعرابى بنيه الخراءة فقال اتبعوا الخلاء وابعدوا من الملاء واعلوا الضراء واستقبلوا الريح وافجوا (٣) فجاج النعامة وامتسحوا باشملكم ويروى عن الحسن انه قال لما حضرت قيس بن عاصم الوفاة دعا بنيه فقال يابنى احفظوا عنى فلا أحد أنصح لكم منى اذا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم باستصلاح المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم واياكم ومسألة الناس فانها آخر كسب الرجل سئل دغفل النسابة عن بنى عامر بن صعصعة قال أعناق ظباء وأعجاز نساء قيل فتميم قال حجر أخشن ان دنوت منه آذاك وان تركته أعفاك قيل فاليمن قال سيد وانوك قال وكانوا

(١) هى دقيقة الخصر ضامرة البطن وهى ممدوحة لغير القصد الذى ذكره (٢) هو كناية قضاء الموت وقدره
(٣) الافجاج التوسعة

يقولون لا تستشير وامعلما ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء عفان بن شبة قال كنت ردیف أبی فلقيه جرير على بغل فحياه أبي وألطفه فقلت له ابعدما قال لنا ما قال قال يابنى أفوسع جرحى قال ودعا جرير رجلا من شعراء بنى كلاب الى مهاجاته فقال الكلابى ان نسائى بامتهن ولم تدع الشعراء فى نسائك مترقعا وقال جرير أنا لا ابتدى ولكنى أعتدى وكان الحسن فى جنازة فيها نوائح ومعه رجل فهم الرجل بالرجوع فقال الحسن ان كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا أسرع ذلك فى دينك قال أبو عبيدة لقى المخبل القريعى الزبرقان فقال كيف كنت بعدى أبا شذرة قال كما يسرك محيلا مجربا قال وكان عبد الملك ابن مروان يقول جمع أبو زرعة يعنى روح بن زنباع طاعة أهل الشام ودهاء أهل العراق وفقه أهل الحجاز وذكر لعمر بن الخطاب اتلاف شباب من قريش أموالهم فقال عمر خرقة احدهم أشد على من عيلته وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حرفة يعاش بها خير من مسألة الناس وقال زياد لو أن لى ألف ألف درهم ولى بعير أجرب لقمت عليه قيام من لا يملك غيره ولو أن عندى عشرة دراهم لا أملك غيرها ولزمنى حق لوضعتها فيه وقال عمرو بن العاص البطنة (١) تذهب الفطنة وقال معاوية بن أبى سفيان ما رأيت رجلا مستهترا بالباءة الا تبينت ذلك فى منته (٢) قال الاصمعى قال أبو سليمان الفقعسى لاعرابى من طيئ أبامرأتك حمل قال لا وذو بيته فى السماء ما أدرى والله ما لها ذنب تشال به وما آتيها الا وهى ضبعة (٣) قال أبو الحسن المداينى اتخذ يزيد بن المهلب بستانا بخراسان فى داره فلما ولى قتيبة خراسان جعل ذلك لابله فقال له مرزبان مروان هذا كان بستانا ليزيد وقد اتخذته لابلك فقال قتيبة ان أبى كان اشتربان يعنى رئيس الجمالين وأبو يزيد كان بستان بان قال وقال الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان يوما لو كان رجل من ذهب لكنته قال وكيف ذلك قال لم تلدنى أمة بينى وبين آدم ما خلا هاجر فقال له لولا هاجر لكنت كلبا من الكلاب قال ومات ابن لعبيد الله بن الحسن فعزاه صالح المرى فقال ان كانت مصيبتك فى ابنك أحدثت لك عظة فى نفسك فصيبتك فى نفسك أعظم من مصيبتك فى ميتك قال وعزى عمرو بن عبيد أخاه على ابن مات له فقال ذهب أبوك وهو أصلك وذهب ابنك وهو فرعك فما حال الباقى بعد ذهاب أصله وفرعه قال وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول احذفوا الحديث كما يحذفه مسلم ابن قتيبة قال وقال رجل من بنى تميم لصاحب له اصحب من يتناسى معروفه عندك ويتذكر حقوقك عليه وعذل عاذل شعيب بن زياد على شرب النبيذ فقال لا أتركه حتى يكون شر عملى وقال المأمون اشرب به ما استبشعته حتى اذا سهل عليك فاتركه وقال النبى صلى الله تعالى عليه وسلم اذا كتب أحدكم فليترب كتابه فان التراب مبارك وهو أنجح للحاجة ونظر صلى الله تعالى عليه وسلم الى رجل فى الشمس فقال تحول الى الظل فانه مبارك وقال

(١) الامتلاء من الطعام (٢) هى القوة (٣) أى تشتهى الرجال

المغيرة بن شعبة لا يزال الناس بخير ما تعجبوا من العجب وكان يقال ترك الضحك من العجب أعجب من الضحك من غير العجب قال وقدم سعيد بن العاصى على معاوية فقال كيف تركت أبا عبد الملك قال منفذ الامرك ضابطا العملك فقال معاوية انما هو كصاحب الخبزة كفى انضاجها فأكلها فقال سعيد كلا انه بين قوم يتهادون فيما بينهم كلاما كوقع النبل سهما لك وسهما عليك قال فما باعد بينك وبينه قال خفته على شرفى وخافنى على مثله قال فأى شئ كان له عندك فى ذلك قال اسوءه حاضرا وأسره غائبا قال يا أبا عثمان تركتنا فى هذه الحروب قال نعم تحملت الثقل وكفيت الحزم وكنت قريبا لو دعيت لاجبت ولو أمرت لاطعت قال معاوية يا أهل الشام هؤلاء قومى وهذا كلامهم قال وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمرو العتكى فلما أثنى الوفد على الحجاج عند عبد الملك والحجاج حاضر قال زياد يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفك الذى لا ينبو وسهمك الذى لا يطيش وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك أحد أخف على قلبه منه وقال شبيب بن شيبة لمسلم بن قتيبة والله ما أدرى أى يوميك أشرف أيوم ظفرك أم يوم عفوك قال وقال غلام لابيه وقد قال لست لى ابنا والله لانا اشبه بك منك بأبيك ولانت أشد تحصينا لامى من أبيك لامك قال وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذى الجناحين الى رجل من اخوانه أما بعد فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ابتدأتنى بلطف من غير خبرة ثم أعقبتنى جفاء من غير ذنب فأطمعنى أولك فى اخائك وآيسنى آخرك فى وفائك فلا أنا فى اليوم مجمع لك اطراحا ولا أنا فى غد وانتظاره منك على ثقة فسبحان من لو شاء كشف بايضاح الرأى فى أمرك عن عزيمة الشك فيك فاجتمعنا على ائتلاف أو افترقنا على اختلاف والسلام وكتب الى أبى مسلم صاحب الدعوة أيضا من الحبس من الاسير فى يديه بلا ذنب اليه ولا خلاف عليه ما بعد فاتاك الله حفظ الوصية ومنحك نصيحة الرعية وألهمك عدل القضية فانك مستودع ودائع ومولى الصنائع فاحفظ ودائعك بحسن صنائعك فالودائع عارية والصنائع مرعية وما النعم عليك وعلينا فيك بمنزور نداها ولا ببلوغ مداها فنبه للتفكير قلبك واتق الله ربك وأعط من نفسك من هو تحتك ما تحب ان يعطيك من هو فوقك من العدل والرأفة والامن من المخافة فقد أنعم الله عليك بان فوض أمرنا اليك فاعرف لنا لين شكر المودة واغتفار مس الشدة والرضا بما رضيت والقناعة بما هويت فان علينا من سمك الحديد وثقله أذى شديد مع معالجة الاغلال وقلة رحمة العمال الذين تسهيلهم الغلظة وتيسيرهم الفظاظة وايرادهم علينا الغموم وتوجيههم الينا الهموم زيارتهم الحراسة وبشارتهم الاياسة (١) فاليك بعد الله نرفع كربة الشكوى ونشكو شدة البلوى فمتى تمل الينا طرفا وتولنا منك عطفا تجد عندنا نصحا صريحا وودا صحيحا لا يضيع مثلك مثله ولا ينفى مثلك أهله

(١) هى مصدر آيسه اذا قنطه

فارع حومة من ادركت بحرمته واعرف بحجة من فلجت (١) بحجته فان الناس من حوضك رواء ونحن منه ظماء يمشون فى الابراد ونحن نحجل فى الاقياد بعد الخير والسعة والخفض والدعة والله المستعان وعليه التكلان صريح الاخيار منجى الابرار الناس من دولتنا فى رخاء ونحن منها فى بلاء حين أمن الخائفون ورجع الهاربون رزقنا الله منك التحنن وظاهر علينا من التمنن وانك أمين مستودع ورائد مصطنع والسلام ورحمة الله قال هشام بن الكلبى حدثنا خالد بن سعيد عن أبيه قال شكت بنو تغلب السنة الى معاوية فقال كيف تشكون الحاجة مع ارتجاع البكارة واختلاف المهارة وقال ابن الكلبى كتب معاوية الى قيس بن سعد أما بعد فانك يهودى ابن يهودى ان ظفر أحب الفريقين اليك عزلك واستبدل بك وان ظفر أبغضهما اليك قتلك ونكل بك وقد كان أبوك وتر قوسه ورمى غير غرضه فأكثر الحز وأخطأ المفصل فخذله قومه وأدركه يومه ثم مات طريدا بحوران والسلام فكتب اليه قيس بن سعد أما بعد فانما أنت وثن بن وثن دخلت فى الاسلام كرها وخرجت طوعا لم يقدم ايمانك ولم يحدث نفاقك وقد كان أبى وتر قوسه ورمى غرضه وشغب عليه من لم يبلغ كعبه ولم يشق غباره ونحن أنصار الدين الذى خرجت منه واعداء الدين الذى دخلت فيه والسلام وقال أبو عبيدة وأبو اليقظان وأبو الحسن قدم وفد أهل العراق على معاوية وفيهم الاحنف فخرج الاذن فقال ان أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم أحد الا لنفسه فلما وصلوا اليه قال الاحنف لولا عزيمة أمير المؤمنين لاخبرته ان دافة (٢) دفت ونازلة نزلت ونائبة نابت ونابتة نبتت كلهم بهم حاجة الى معروف أمير المؤمنين وبره قال حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الغائب والشاهد قال وقال غيلان بن خرشة للاحنف ما فيه بقاء العرب قال اذا تقلدوا السيوف وشدوا العمائم وركبوا الخيل ولم تأخذهم حمية الاوغاد قال وما حمية الاوغاد قال ان يعدوا التواهب فيما بينهم ضيما وقال عمر العمائم تيجان العرب وقيل لاعرابى مالك لا تضع العمامة عن رأسك قال ان شيأ فيه السمع والبصر لحقيق بالصون وقال على رضى الله تعالى عنه جمال الرجل فى كمته (٣) وجمال المرأة فى خفها وقال الاحنف استجيدوا النعال وانها خلاخيل الرجال قال وجرى ذكر رجل عند الاحنف فاغتابوه فقال الاحنف ما لكم وماله يأكل رزقه وتحمل الارض ثقله ويكفى قرنه مسلمة بن محارب قال قال زياد لحرقة بنت النعمان ما كانت لذة أبيك قالت ادمان الشراب ومحادثة الرجال قال وقال سليمان بن عبد الملك قد ركبنا الفاره وتبطنا الحسناء ولبسنا اللين حتى استخشناه وأكلنا الطيب حتى اجمناه فما أنا اليوم الى شئ أحوج منى الى جليس يضع عنى مؤنة التحفظ وأشاروا على عبيد الله بالحقنة فتفحشها فقالوا انما يتولاها منك الطبيب فقال أنا بالصاحب آنس وقال معاوية بن أبى سفيان للنخار ابن أوس العذرى ابغنى محدثا قال أومعى يا أمير

(١) أى غلبت وظهرت (٢) هى الجيش يدفون نحو العدو (٣) هى بالضم القلنسوة

المؤمنين قال نعم استريح منه اليك ومنك اليه قال وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لابى مريم الحنفى والله لا أحبك حتى تحب الارض الدم المسفوح قال فتمنعنى لذلك حقا قال لا قال لا ضير انما يأسف على الحب النساء وقال عمر لرجل هم بطلاق امرأته لم تطلقها قال لا أحبها قال أو كل البيوت بنيت على الحب فاين الرعاية والتذمم قال وأتى عبد الملك ابن مروان برجل فقال زبيرى عميرى والله لا يحبك قلبى أبدا قال يا أمير المؤمنين انما يبكى على الحب المرأة ولكن عدل وانصاف عبد الله بن المبارك عن هشام بن عروة قال نازع مروان ابن الزبير عند معاوية فرأى ابن الزبير ان ضلع معاوية مع مروان فقال ابن الزبير يا أمير المؤمنين ان لك حقا وطاعة علينا وان لك بسطة وحرمة فينا فاطع الله نطعك فانه لا طاعة لك علينا الا فى حق الله ولا تطرق اطراق الافعوان فى أصول السخبر (١) أبو عبيدة قال قيل لشيخ مرة ما بقى منك قال يسبقنى من بين يدى ويلحقنى من خلفى وانسى الحديث واذكر القديم وانعس فى الملأ واسهر فى الخلاء واذا قمت قربت الارض منى واذا قعدت تباعدت عنى الاصمعى قال قلت لاعرابى معه ضاجعة من شاء لمن هذه قال هى لله عندى قال ولما قتل عبد الملك بن مروان مصعبا ودخل بالكوفة قال لهيثم بن الاسود النخعى كيف رأيت الله صنع قال قد صنع الله خيرا فخفف الوطأة وأقل التثريب قال وقال ابن عباس اذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله قال وكانوا يستحبون ان لا يجيبوا فى كل ما سئلوا عنه قال وقال ابن عمر من قال عند ما لا يدرى لا أدرى فقد أحرز نصف العلم قال وقال ابن عباس ان لكل داخل دهشة فآنسوه بالتحية واعتذر رجل الى مسلم بن قتيبة فقال مسلم لا يدعونك أمر قد تخلصت منه الى الدخول فى أمر لعلك لا تخلص منه قال وكان يقال دعوا المعاذر فان أكثرها مفاجر قال وقال ابراهيم النخعى لعبد الله بن عوف تجنب الاعتذار فان الاعتذار يخالطه الكذب قال واعتذر رجل الى أحمد بن أبى خالد فقال لابى عباد ما تقول فى هذا قال يوهب له جرمه ويضرب على عذره أربعمائة وقد قال الاول عذره أعظم من ذنبه قال وقيل لابن عباس ولد عمر بن أبى ربيعة فى الليلة التى مات فيها عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسمى باسمه فقال ابن عباس أى حق رفع وأى باطل وضع وقال عبد الله ابن جعفر لابنته يا بنية اياك والغيرة فانها مفتاح الطلاق واياك والمعاتبة فانها تورث الضغينة وعليك بالزينة والطيب واعلمى ان أزين الزينة الكحل وأطيب الطيب الماء قال ولما نازع ابن الزبير مروان عند معاوية قال ابن الزبير يا معاوية لا تدع مروان يرمى جماهير قريش بمشاقصه ويضرب صفاتهم (٢) بمعاوله ولولا مكانك لكان أخف على رقابنا من فراشة (٣) وأقل فى نفوسنا من خشاشة (٤) ولئن ملك أعنة خيل تنقاد له ليركبن منك

(١) هو شجر يشبه الاذخر (٢) هو جمع صفاة وهى الحجر الاملس (٣) هى الحيوان الذى يرمى نفسه فى النار
(٤) هى أحد حشرات دواب الارض

طمقا تخافه قال معاوية ان يطلب هذا الامر فقد طمع فيه من هو دونه وان يتركه يتركه لمن هو فوقه وما أراكم بمنتهين حتى يبعث الله اليكم من لا يعطف عليكم بقرابة ولا يذكركم عند ملمة يسومكم خسفا ويوردكم تلفا فقال ابن الزبير اذن والله نطلق عقال الحرب بكتائب تمور كرجل الجراد(١) حافاتها الاسل لها دوى كدوى الريح تتبع غطريفا من قريش لم تكن أمه براعية ثلة قال معاوية أنا ابن هند أطلقت عقال الحرب فأكلت ذروة السنام وشربت عنفوان المكرع وليس للآكل الا الفلذة ولا للشارب الا الرنق(٢) بكر بن الاسود قال قال الحسن ابن على لحبيب بن مسلمة رب مسير لك فى غير طاعة الله قال أما مسيرى الى أبيك فلا قال بلى ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة فلعمرى لئن كان قام بك فى دنياك لقد قعد بك فى دينك ولو انك ان فعلت شرا قلت خيرا كنت كما قال الله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ ولكنك كما قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال أبو الحسن سمعت أعرابيا فى المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة ثلاث وخمسين ومائة وهو يقول أما بعد فانا ابناء سبيل وانضاء طريق وفل سنة تصدقوا علينا فانه لا قليل من الاجر ولا غنى عن الله ولا عمل بعد الموت أما والله انا لنقوم هذا المقام وفى الصدر حزازة وفى القلب غصة وقال الاحنف بخراسان يا بنى تميم تحابوا تجتمع كلمتكم وتباذلوا تعتدل أموركم وابدؤا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم ولا تغلوا يسلم لكم جهادكم ومن كلام الاحنف السائر فى أيدى الناس الزم الصحة يلزمك العمل وقال خالد بن صفوان وسئل عن الكوفة والبصرة نحن منابتنا قصب وأنهارنا عجب وسماؤنا رطب وأرضنا ذهب وقال الاحنف نحن أبعد منكم سرية وأعظم منكم تجربة وأكثر منكم ذرية واغذى منكم برية وقال ابو بكر الهذلى نحن أكثر منكم ساجا وعاجا وديباجا وخراجا ونهرا عجاجا قال كتب صاحب لابى بكر الهذلى الى رجل يعزيه عن أخيه أوصيك بتقوى الله وحده فانه خلقك وحده ويبعثك يوم القيامة وحده والعجب كيف يعزى ميت ميتا عن ميت والسلام قال وقال رجل لابن عباس أيما أحب اليك رجل قليل الذنوب قليل العمل أو رجل كثير الذنوب كثير العمل قال ما أعدل بالسلامة شيأ وقال آخر حماقة صاحبى على أشد ضررا منها عليه شعبة أبو بسطام قال قال عبد الرحمن بن أبى ليلى لا أمارى أخى فاما أن أكذبه وأما أن أغضبه قال واحتد على ابن أبى ليلى رجل من جلسائه فقال ابن أبى ليلى له اهد الينا من هذا ما شئت فلما مات ابن أبى ليلى وعمرو بن عبيد رحمهما الله قال أبو جعفر المنصور ما بقى أحد يستحى منه قال ولما مات عبد الله بن عامر قال معاوية رحم الله أبا عبد الرحمن بمن يفاخر مسلمة بن محارب قال قال زياد ما قرأت كتاب رجل قط الا عرفت عقله فيه أبو معشر قال لما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عبد الملك بن مروان عمرو بن سعيد الاشدق قام خطيبا فقال

(١) هى الجماعات منه (٢) هو الماء الكدر

ان أبا ذبان قتل لطيم الشيطان كذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ولما جاءه قتل أخيه مصعب بن الزبير قام خطيبا بعد خطبته الاولى فقال ان مصعبا قدم أيره وأخر خيره وتشاغل بنكاح فلانة وفلانة وترك حلبة أهل الشام حتى غشيته فى داره ولئن هلك مصعب ان فى آل الزبير خلفا منه قال ولما قدم ابن الزبير بفتح افريقية أمره عثمان فقام خطيبا فلما فرغ من كلامه قال عثمان أيها الناس انكحوا النساء على آبائهن واخوتهن فانى لم أر فى ولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أشبه به من هذا قال وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعرابيا يقول اللهم اغفر لام أوفى قال ومن أم أوفى قال امرأتى وانها لحمقاء مرغامة(١) أكول قامة لا تبقى لها خامة غير انها حسناء فلا تفرك(٢) وأم غلمان فلا تترك قال ودفعوا الى اعرابية علكا لتمضغه فلم تفعل فقيل لها فى ذلك فقالت ما فيه الا تعب الاضراس وخيبة الحنجرة قال وكان أبو مسلم استشار مالك بن الهيثم حين ورد عليه كتاب المنصور فى القدوم عليه بذلك فلم يشر عليه فلما قتل أبو مسلم أذكره المنصور ذلك فقال ان أخاك ابراهيم الامام حدث عن أبيه محمد بن على أنه قال لا يزال الرجل يزاد فى رأيه اذا نصح لمن استشاره فكنت له يومئذ كذلك وأنا اليوم لك كذلك وقال الحسن التقدير نصف الكسب والتودد نصف العقل وحسن طلب الحاجة نصف العلم قال رجل لعمرو بن عبيد انى لأرحمك مما يقول الناس فيك قال أفتسمعنى أقول فيهم شيأ قال لا قال اياهم فارحم قال ومدح نصيب أبا الجناء عبد الله بن جعفر فاجزل له من كل صنف فقيل له أتصنع هذا بمثل هذا العبد الاسود فقال أما والله لئن كان جلده أسود فان ثناءه لابيض وان شعره لعربى ولقد استحق بما قال أكثر مما نال وانما أخذ رواحل تنضى وثيابا تبلى ومالا يفنى وأعطى مديحا يروى وثناء يبقى قال ووقف اعرابى فى بعض المواسم فقال اللهم ان لك على حقوقا فتصدق بها على وللناس تبعات قبلى فتحملها عنى وقد أوجبت لكل ضيف قرى وأنا ضيفك فاجعل قراى فى هذه الليلة الجنة قال ووقف اعرابى فسأل قوما فقالوا له عليك بالصيارفة قال هناك والله قرارة اللؤم وقال مسلمة ثلاثة لا أعذرهم رجل أحفى شعره ثم أعفاه ورجل قصر ثيابه ثم أطالها ورجل كان عنده سرارى فتزوج حرة أبو اسحق قال قال حذيفة كن فى الفتنة كابن لبون لا ظهر فيركب ولا لبن فيحلب وقال الشاعر وليس هذا الباب فى الخبر الذى قبل هذا

ألم تر أن الناب تحلب علبة(٣) * ويترك ثلب لا ضراب ولا ظهر

عتبة بن هرون قال قلت لرؤبة كيف خلفت ما وراءك قال التراب يابس والمرعى عابس قال وقال معاوية بن أبى سفيان لابن عباس انى لاعلم انك واعظ نفسه ولكن المصدور اذا

(١) هى المغضبة لبعلها والقامة هى التى تأكل ما على الخوان والخامة خاصة الرجل من أهله (٢) أى لا تبغض
(٣) أى شديدة والثلب بالكسر الجمل تكسرت أنيابه هرما

لم ينفث جوى (١) قال وقيل لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أتقول الشعر مع النسك والفضل والفقه قال لابد للمصدور من أن ينفث قال أبو الذيال قال شويس انا والله العربي لا أرفع الجربان (٢) ولا ألبس التبان ولا أحسن الرطانة ولا نا أرسى من حجر وما قرفني الا الكرم أبو الحسن وغيره قال قال عمرو بن عتبة بن أبي سفيان للوليد بن يزيد بن عبد الملك وهو بالبخراء من أرض حمص يا أمير المؤمنين انك تستنطقني بالانس بك وا كف عن ذلك بالهيبة لك وأراك تأمن أشياء أخافها عليك أفاسكت مطيعا أم أقول مشفقا قال كل ذلك مقبول منك ولله فينا علم غيب نحن صائرون اليه ونعود فنقول قال فقتل بعد أيام قال كان أيوب السختياني يقول لا يعرف الرجل خطأ معلمه حتى يسمع الاختلاف قال بعضهم كنت أجالس ابن صعير في النسب فجلست اليه يوما فسألته عن شيء من الفقه فقال ألك بهذا حاجة عليك بذلك وأشار بذلك الى سعيد بن المسيب فجلست اليه لا أظن أن عالما غيره ثم تحولت الى عروة ففتقت به ثبج بحر قال وقلت لعثمان البري دلني على باب الفقه قال اسمع الاختلاف قال وقيل لاعرابي عند من تحب أن لا يكون طعامك قال عند أم صبي راضع أو ابن سبيل شاسع أو كبير جائع أو ذي رحم قاطع وقال بعضهم اذا اتسعت المقدرة نقصت الشهوة قال قلت فمن أسوأ الناس حالا قال من اتسعت معرفته وبعدت همته وقويت شهوته وضاقت مقدرته وذكر عند عائشة الشرف فقالت كل شرف دونه لؤم فاللؤم أولى به وكل لؤم دونه شرف فالشرف أولى به قال ودخل رجل على أبي جعفر فقال له اتق الله فانكر وجهه فقال يا أمير المؤمنين عليكم نزلت ولكم قيلت واليكم ردت وقال رجل عند مسلمة ما استرحنا من حائك كندة حتى جاءنا هذا المزوني فقال مسلمة أتقول هذا الرجل سار اليه فريقا قريش يعني نفسه والعباس بن الوليد ويزيد بن المهلب حاول عظيما ومات كريما عبد الله بن الحسن قال قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه خصصنا بخمس فصاحة وصباحة وسماحة ونجدة وحظوة يعني عند النساء علي بن مجاهد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وبغض من أساء اليها وقال الاصمعي كتب كتاب حكمة فبقيت منه بقية فقالوا ما نكتب فيه فقال اكتبوا يسئل عن كل صناعة أهلها وقال شبيب بن شيبة للمهدي ان الله لم يرض ان يجعلك دون أحد من خلقه فلا ترض لنفسك ان يكون أحد أخوف لله منك قال يحيى بن أكثم سياسة القضاء أشد من القضاء وقال ان من اهانة العلم أن تجاري فيه كل من جارك قال وحمل رقبة بن مصلقة من خراسان رجلا الى أمه خمسمائة درهم فأبى الرجل أن يدفعها اليها حتى تكون معها البينة على انها أمه فقالت لخادم لها اذهبي حتى تأتينا ببعض من يعرفنا فلما أتاها الرجل برزت وقالت الحمد لله أشكو الى الله الذي

(١) أي أصابه داء في صدره (٢) هي الصبغ الاحمر أو الخمر

أبرزني وشهر بالفاقة أهلي فلما سمع كلامها قال أشهد انك أمه فردي الخادم ولا حاجة بنا الى أن تجيء البينة قال وكان الحسن يقول في خطبة النكاح بحمد الله والثناء عليه أما بعد فان الله جمع بهذا النكاح الارحام المنقطعة والانساب المتفرقة وجعل ذلك في سنة من دينه ومنهاج واضح من أمره وقد خطب اليكم فلان وعليه من الله نعمة عامر بن سعد قال سمعت الزبير يعزي عبد الرحمن على بعض نسائه فقال وهو قائم على قبرها لا يصفر بعك ولا يوحش بيتك ولا يضيع أجرك رحم الله متوفاك وأحسن الخلافة عليك قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خير صناعات العرب أبيات يقدمها الرجل بين يدي صاحبه يستميل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم قال مصعب بن الزبير على طول خطبته عشية عرفة فقال أنا قائم وهم جلوس وانا تكلم وهو سكوت ويضجرون وقال موسى بن يحيى كان يحيى بن خالد يقول ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على مقدار عقل كاتبه والرسول على مقدار عقل مرسله والهدية على مقدار مهديها قال وذكر اعرابي أميرا يقضي بالعشوة ويطيل النشوة ويقبل الرشوة وقال يزيد بن الوليد ان النشوة تحل العقدة وتطلق الحبوة وقال اياكم والغناء فانه مفتاح الزنا وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اذا توجه أحدكم في وجه ثلاث مرات فلم يصب خيرا فليدعه قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لا تكونن كمن يعجز عن شكر ما أوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويأمر الناس بما لا يأتي يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم ويبغض المسيئين وهو منهم ويكره الموت لكثرة ذنوبه لا يدعها في طول حياته قال اعرابي خرجت حين انحدرت أيدي النجوم وشالت أرجلها فلم أزل أصدع الليل حتى انصدع لي الفجر قال وسألت اعرابيا عن مسافة ما بين بلدين فقال عمر ليلة وأديم يوم وقال آخر سواد ليلة أو بياض يوم وقال بعض الحكماء لا يضرك حب امرأة لا تعرفها وقال رجل لابي الدرداء فلان يقرئك السلام فقال هدية حسنة ومحمل خفيف قال وسرق مزبد نافجة مسك فقيل له ان كل من غل يأتي يوم القيامة يحمله على عنقه قال اذا والله احملها طيبة الريح خفيفة المحمل قال ومن أبخل البخل ترك رد السلام قال ابن عمر لعمري اني لارى حق رجع جواب الكتاب كرد السلام وجاء رجل الى سلمان فقال يا أبا عبد الله فلان يقرأ عليك السلام فقال أما انك لو لم تفعل لكانت أمانة في عنقك قال مثنى بن زهير لرجل احتفظ بكتابي حتى توصله الى أهلي فمن العجب ان الكتاب ملقى والسكران موقى وكان عبد الملك بن الحجاج يقول لانا للعاقل المدبر أرجى من الاحمق المقبل قال واياك ومصاحبة الاحمق فانه ربما أراد أن ينفعك فضرك وكتب الحجاج الى عامل له بفارس ابعث الى بعسل من عسل خلار (١) من النحل الابكار من الدستفشار الذي لم تمسه النار

(١) هو موضع فارس ينسب اليه العسل

وقال الشاعر وما المرء الاحيث يجعل نفسه * ففي صالح الاخلاق نفسك فاجعل قال ونظر أبو الحارث جمين الى برذون يستقى عليه الماء فقال وما المرء الاحيث يجعل نفسه لو أن هذا البرذون همنلج (١) مافعل به هذا عمران بن هداب قال قال مسلم بن قتيبة دأب المعروف أشد من ابتدائه وقال محمد بن واسع الاتقاء على العمل أشد من العمل وقال يحيى بن أكثم سياسة القضاء أشد من القضاء وقال محمد بن محمد الحرانى من التوقى ترك الافراط فى التوقى وقال أبو قرة الجوع للحمية أشد من العلة وقال الجماز الحمية احدى العلتين وقال القمى من احتمى فهو على يقين من تعجيل المكروه وفى شك مما يأمل من دوام الصحه وقال اعتبر عزمه بحمته وحزمه بمتاع بيته قال وذكر اعرابى رجلا فقال حمى المبتلى حنوط المعافى وقالوا أمران لا ينفكان من الكذب كثرة المواعيد وشدة الاعتذار وقيل لرجل من الحكماء ما جماع البلاغة قال معرفة السليم من المعتل وفصل ما بين المضمن والمطلق وفرق ما بين المشترك والمفرد وما يحتمل التأويل من المنصوص المقيد وقال سهل ابن هرون فى صدر كتاب له واجب على كل ذى مقالة ان يبتدى بالحمد قبل استفتاحها كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها وقال أبو البلاد

انا وجدنا الناس عودين طيبا * وعودا خبيثا لا يبض (٢) على العصر
تزين الفتى اخلاقه وتشينه * وتذكر اخلاق الفتى وهو لا يدرى

﴿وقال آخر فى هذا المعنى﴾

سابق الى الخيرات أهل العلى * فانما الناس أحاديث
كل امرئ فى شأنه كادح * فوارث منه وموروث

ولما قال حمل بن بدر لبنى عبس والاسنة فى ظهورهم والبوارق فوق رؤسهم نؤدى السبق وندى الصبيان وتخلون سربنا وتسودون العرب انتهره حذيفة وقال اياك والكلام المأثور وقال الشاعر اليوم خمر ويبدو فى غد خبر * والدهر من بين انعام وابآس قال وقال اعرابى ان المسافر ومتاعه لعلى قلت (٣) الاما وقى الله وقالوا السفر قطعة من العذاب وصاحب السوء قطعة من النار قال وجلس معاوية رضى الله تعالى عنه بالكوفة يبايع على البراءة من على بن أبى طالب كرم الله وجهه فجاءه رجل من بنى تميم فاراده على ذلك فقال يا أمير المؤمنين نطيع أحياكم ولا نبرأ من موتاكم فالتفت الى المغيرة فقال ان هذا رجل فاستوص به خيرا وقال الشاعر

قالت امامة يوم برقة واصل * يا ابن العذير لقد جعلت تغير
أصبحت بعد زمانك الماضى الذى * ذهبت شبيبته وغصنك أخضر
شيخا دعامتك العصا ومشيعا * لا تبتغى خيرا ولا تستخبر

(١) أى حتى ارتاض (٢) أى لا يخرج منه شئ عند العصر (٣) هو كفرح الهلاك

وكان

وكان الربيع بن خثيم لا يخبر ولا يستخبر وكان مطرف بن عبد الله يستخبر ويخبر قالوا فينبغى أن يكون أعقلهم وقال أبو عبيدة كان ابن سيرين لا يستخبر ولا يخبر وأنا أخبر وأستخبر وقال أبو عمرو بن العلاء لاهل الكوفة لكم حذلقة النبط وصلفهم ولنا دهاء فارس وأحلامهم وأنشدوا للحارث بن حلزة اليشكرى

لا أعرفنك ان أرسلت قافية * تلقى المعاذير ان لم تنفع العذر
ان السعيد له فى غيره عظة * وفى التجارب تحكيم ومعتبر

ومعنى المعاذير ههنا على غير معنى قول الله تبارك وتعالى فى القرآن بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ههنا الستور وقال أراد رجل الحج فسلم على شعبة بن الحجاج فقال له أما انك ان لم تعد الحلم ذلا والسفه أنفا سلم لك حجك قالوا كان على رضى الله تعالى عنه بالكوفة قد منع الناس من القعود على الطريق فكلموه فى ذلك فقال أدعكم على شريطة قالوا وما هى يا أمير المؤمنين قال غض الابصار ورد السلام وارشاد الضلال قالوا قد قبلنا فتركهم وكان نوفل بن أبى عقرب لا يجلس الا على باب داره وكان عامرا بالمارة فقيل له ان فى ذلك نشرة وصرف النفوس عن الامانى واعتبارا لمن اعتبر وعظة لمن فكر فقال ان فى ذلك حقا يعجز عنها ابن خيثمة قالوا وما هى قال غض الطرف ورد التحية وارشاد الضال وضم اللقطة والتعرض لطلاب الحوائج والنهى عن المنكر والشغل بفضول النظر الداعية الى فضول القول والعمل وعادة ان قطعتها اشتدت وحشتك وان وصلتها قطعتك عن أمور هى أولى بك قال فضيل ابن عياض لسفيان الثورى دلنى على جليس اطمئن اليه قال هيهات تلك ضالة لا توجد وقيل لبعض العلماء أى الامور أمتع قال مذاكرة العلماء وقيل لعبد الرحمن بن أبى بكرة أى الامور امتع قال الامانى وقال رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان فى أسارى ابن الاشعث ان الله قد أعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو وقال هزيم بن عدى ابن أبى طحمة ليزيد بن عبد الملك بعد ظفره بيزيد بن المهلب ما رأينا أحدا ظلم ظلمك ولا نصر نصرك ولا عفا عفوك قال وذم رجل رجلا فقال هو سيئ الروية قليل التقية كثير السعاية قليل النكاية قال معاوية لمعاوية بن خديج الكندى ما جرأك على قتل قريش قال ما أنصفتم وما تقتلون حلماءنا وتلوموننا على قتل سفهائكم وهو الذى قال لام الحكم بنت أبى سفيان والله لقد نكحت فما استكرمت وولدت فما أنجبت قال أبو بكر بن مسلمة عن أبى اسحق القيسى قال لما قدم قتيبة بن مسلم خراسان قال من كان فى يديه شئ من مال عبد الله ابن حازم فلينبذه وان كان فى فيه فليلفظه وان كان فى صدره فلينفثه فعجب الناس من حسن ما فصل وقسم قال ثم غبر بعد ذلك عيال عبد الله بن حازم وما بخراسان أحسن مالا منهم عنبسة القطان قال شهدت الحسن وقال له رجل بلغنا انك تقول لو كان على بالمدينة يأكل من حشفها لكان خيرا له مما صنع فقال الحسن يا لكع أما والله لقد فقدتموه سهما من

مرامى الله غير مسؤم لامرالله ولا مسر وقة لما قال الله أعطى للقرآن عزائمه فيما عليه وله فاحل حلاله وحرم حرامه حتى أورده ذلك ر ياض اموثقه وحدائق مغدقه ذاك ابن أبى طالب بالكمع يزيد بن عقال قال عبد الملك بن صالح يوصى ابنه وهو أمير سرية ونحن ببلاد الروم فقال له أنت تاجر الله لعباده فكن كالمضارب الكيس الذى ان وجد ربحا تجر والا احتفظ برأس المال ولا تطلب الغنيمة حتى تحوز السلامة وكن من احتيالك على عدوك أشد خوفا من احتيال عدوك عليك وقال بعض الحكماء لا تصطنعوا الى ثلاثة معروفا اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة والفاحش فانه يرى الذى صنعت اليه اغماه ولمخافة فحشه والاحمق فانه لا يعرف قدر ما أسديت اليه واذا اصطنعت الى الكرام فازدرع المعروف واحصد الشكر قال وواضع المعروف فى غير أهله كالمسرج فى الشمس والزارع فى السبخ ومثله البيت السائر فى الناس

ومن يصنع المعروف فى غير أهله * يلاق الذى لاقى مجير أم عامر

وقالوا من لم يعرف سوء ما يولى لم يعرف حسن ما يولى وقال الايادى صاحب الصرح الذى اتخذ سلما لمناجاة الرب وهو الذى كان يقول مرضعة وفاطمة القطيعة والفجيعة وصلة الرحم وحسن الكلام قال زعم ربكم ليجزين بالخير ثوابا وبالشر عقابا ان من فى الارض عبيد لمن فى السماء هلكت جرهم وربلت (١) أياد وكذلك الصلاح والفساد من رشد فاتبعوه ومن غوى فارفضوه كل شاة برجلها معلقة واياه عنى الشاعر بقوله

ونحن اياد عبيد الاله * ورهط مناجيه فى السلم

ونحن ولاة حجاب العتيق * زمان الرعاف على جرهم

* تعزية امرأة للمنصور على أبى العباس مقدمه من مكة قالت أعظم الله أجرك فلا مصيبة أجل من مصيبتك ولا عوض أعظم من خلافتك وقال عثمان بن خزيم للمنصور حين عفا عن أهل الشام فى اجلائهم مع عبد الله بن على عمه يا أمير المؤمنين لقد أعطيت فشكرت وابتليت فصبرت وقدرت فعفوت وقال آخر يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والتجاوز فضل والمتفضل قد جاوز حد المنصف فنحن نعيذ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين وقال آخر من انتقم فقد شفى غيظ نفسه وأخذ أقصى حقه واذا انتقمت فقد انتقصت واذا عفوت تطولت ومن أخذ حقه وشفى غيظه لم يجب شكره ولم يذكر فى العالمين فضله وكظم الغيظ حلم والحلم صبر والتشفى طرف من العجز ومن رضى أن لا يكون بين حاله وبين حال الظالم الا ستر رقيق وحجاب ضعيف فلم يجزم فى تفضيل الحلم وفى الاستيثاق من ترك دواعى الظلم ولم تر أهل النهى والمنسوبين الى الحجا والتقى مدحوا الحكام بشدة العقاب وقد ذكروهم بحسن الصفح وبكثرة الاغتفار

(١) أى كثر واوكثر أموالهم وأولادهم

وشدة

وشدة التغافل وبعد فالمعاقب مستعد لعداوة أولياء المذنب والمعافى مستدع لشكرهم آمن من مكافأتهم أيام قدرتهم ولان يثنى عليك باتساع الصدر خير من أن يثنى عليك بضيق الصدر على ان اقالتك عثرة عباد الله موجب لاقالتك عثرتك من رب عباد الله وعفوك عنهم موصول بعفو الله عنك وعقابك لهم موصول بعقاب الله لك قال والموت الفادح خير من اليأس الفاضح وقال الآخر لا أقل من الرجاء فقال الآخر بل اليأس المريح وقال عبد الله بن وهب الراسبى ازدحام الجواب مضلة للصواب وليس الرأى بالارتجال وليس الحزم بالاقتضاب فلا تدعونك السلامة من خطا موبق (١) أو غنيمة من صواب نادر الى معاودته والتماس الارباح من قبله ان الرأى ليس بنهبى وخمير الرأى (٢) خير من فطيره ورب شئ غابه خير من طريه وتأخيره خير من تقديمه ولما قدم بعبد الجبار ابن عبد الرحمن الى المنصور قال يا أمير المؤمنين قتلة كريمة قال تركتها وراءك يا ابن اللخناء ولما احتال أبو الازهر المهلب بن عبيثر المهرى لعبد الحميد بن ربعى بن خالد بن معداق وأسلمه الى حميد بن قحطبة وأسلمه حميد الى المنصور ولما صار الى المنصور قال لا عذر فاعتذر وقد أحاط بى الذنب وأنت أولى بما ترى قال لست أقتل أحدا من آل قحطبة بل أهب مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم قال ان لم يكن فى مصطنع فلا حاجة لى فى الحياة ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم قال اخرج فانك جاهل وأنت عتيقهم ما حييت قال زياد بن ظبيان التيمى لابنه عبيد الله بن زياد وزياد يومئذ يكيد بنفسه وعبيد الله غلام ألا أوصى بك الامير زيادا قال لا قال ولم قال اذا لم يكن للحى الا وصية الميت فالحى هو الميت ودخل عمرو بن سعيد على معاوية بعد موت أبيه وعمرو يومئذ غلام فقال له معاوية الى من أوصى بك أبوك يا غلام قال ان أبى أوصى الى ولم يوص بى قال وبأى شئ أوصاك قال أوصانى أن لا يفقد اخوانه منه الا وجهه قال معاوية لاصحابه ان ابن سعيد هذا الاشدق قال ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب فى شأن ابراهيم بن عبد الله وصار سفيان الى المنصور أمر الربيع فخلع سواده (٣) ووقف به على رؤس اليمانية فى المقصورة فى يوم الجمعة ثم قال يقول لكم أمير المؤمنين قد عرفتم ما كان من احسانى اليه وحسن بلائى عنده والذى حاول من الفتنة والغدر والبغى وشق العصا ومعاونة الاعداء وقد رأى أمير المؤمنين ان يهب مسيئكم لمحسنكم وغادركم لوفيكم قال يونس بن حبيب المفحم (٤) يأتيه دون ما يرضى ويطلب فوق ما يقوى وذكر بعض الحكماء أعاجيب البحر وتزيد البحريين فقال البحر كثير العجائب وأهله أصحاب الزوائد فأفسدوا بقليل الكذب كثير الصدق وأدخلوا ما لا يكون فى باب ما قد يكاد ان يكون فجعلوا تصديق الناس لهم فى غرائب

(١) مهلك (٢) أى الرأى المتأمل فيه ولو بعد زمن (٣) أى ملبوسه الاسود الذى كان شارة أهل الدولة حينئذ
(٤) أى المغلوب

الاحاديث سلما الى ادعاء المحال وقال بعض العرب حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن بنى اسرائيل ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج وجاء فى الحديث كفى بالمرء حصارا كوبه البحر وكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يصف له البحر فقال يا أمير المؤمنين البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير دود على عود وقال الحسن املاء الخير خير من الصمت والصمت خير من املاء الشر وقال بعضهم مروا الاحداث بالمراء والكهول بالفكر والشيوخ بالصمت عبد الله بن شداد قال أرى داعى الموت لا يقلع وأرى من مضى لا يرجع لا تزهدن فى معروف فان الدهر ذو صروف كم من راغب قد كان مرغوبا اليه وطالب أصبح مطلوبا اليه والزمان ذو الوان من يصحب الزمان يرى الهوان وان غلبت يوما على المال فلا تغلبن على الحيلة على حال وكن أحسن ما تكون فى الظاهر حالا أقل ما تكون فى الباطن مالا وقيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال ببذل الندى وكف الاذى ونصر المولى وقيل لشيخ أين شبابك قال من طال أمده وكثر ولده ودف (١) عدده وذهب جلده ذهب شبابه وقال زياد لا يعدمنك من الجاهل كثرة الالتفات وسرعة الجواب وقال عبد الرحمن بن أم عبد الحكم لولا ثلاث ما باليت متى مت تزاحف الاحرار الى طعامى وبذل الاشراف وجوههم الى فى أمر أجد اليه السبيل وقول المنادى الصلاة أيها الامير وقال ابن الاشعث لولا أربع خصال ما أعطيت بشرا طاعة لو ماتت أم عمران يعنى أمه ولو شاب رأسى ولو قرأت القرآن ولو لم يكن رأسى صغيرا وقال معاوية أعنت على على بثلاث خصال كان رجلا لا يظهر سره وكنت كتوما لسرى وكان فى أخبث جند وأشده خلافا وكنت فى أطوع جند وأقله خلافا وخلا باصحاب الجمل فقلت ان ظفر بهم اعتددت بهم عليه وهنا فى دينه (٢) وان ظفروا به كانوا أهون على شوكة منه وكنت أحب الى قريش منه فكم شئت جامع الى ومفرق عنه جهم بن حسان السليطى قال رجل للاحنف دلنى على حمد بلا مرزئة قال الخلق السجيح (٣) والكف عن القبيح ثم اعلموا ان أدوأ الداء اللسان البذى والخلق الردى وقال محمد بن حرب الهلالى قال بعض الحكماء لا يكونن منكم المحدث ولا ينصت له والداخل فى سر اثنين لم يدخلاه ولا آتى الدعوة لم يدع اليها ولا الجالس المجلس لا يستحقه ولا الطالب الفضل من أيدى اللئام ولا المتعرض للخير من عند عدوه ولا المتحمق فى الدالة (٤)

﴿ باب مزدوج الكلام ﴾

قالوا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى معاوية رضى الله تعالى عنه اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب وقال رجل من بنى أسد مات لشيخ منا ابن فاشتد جزعه عليه فقام اليه شيخ منا فقال اصبر أبا أمامة فانه فرط افرطته وخير قدمته وزخر ادخرته

(١) هو نسف الشئ واستئصاله (٢) أى أنسبه الى الوهن فى الدين بسبب قتله لهم (٣) أى السهل اللين
(٤) هى الشهرة

فقال محتسبا له ولد دفنته وثكل تعجلته وغيب وعدته والله لئن لم أجزع من النقص لا أفرح بالمزيد قال الاصمعى قال قال ابن قصير خير الخيل الذى اذا استدبرته جبى (١) واذا استقبلته اقعى واذا استعرضته استوى واذا مشى ردى (٢) واذا ردى دحا ونظر ابن قيصر الى خيل عبد الرحمن بن أم الحكم فاشار الى فرس منها فقال تجيء هذه سابقة قالوا وكيف قال رأيتها مشت فكتفت (٣) وخبت فوجفت (٤) وعدت فنسفت وذكرت امرأة زوجها فقالت ذهب زفره وأقبل بخره وفتر ذكره وكان مالك بن الاخطل قد بعثه أبوه يسمع شعر جرير والفرزدق فسأله أبوه عنهما فقال جرير يغرف من بحر والفرزدق ينحت من صخر فقال الذى يغرف من بحر اشعرهما ٭ قد ذكرنا من مقطعات الكلام وقصار الاحاديث بعد ما أسقطنا به مؤنة الخطب الطوال وسنذكر من الخطب المسندة الى أربابها مقدارا لا يستفرغ مجهود من قرأها ثم نعود بعد ذلك الى ما قصر منها وخف والى أبواب قد تدخل فى هذه الجملة وان لم يكن مثل هذه باعيانها والله الموفق ٭ قال أبو الحسن عن يحيى بن سعيد عن ابن خربوز البكرى عن خالد بن صفوان قال دخل عبد الله بن الاهتم على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى مع العامة فلم يفجأ عمر الا وهو ماثل بين يديه يتكلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله خلق الخلق غنيا عن طاعتهم آمنا لمعصيتهم والناس يومئذ فى المنازل والرأى مختلفون والعرب بشر تلك المنازل أهل الوبر وأهل المدر تحتاز دونهم طيبات الدنيا ورفاغة عيشها ميتهم فى النار وحيهم أعمى مع ما لا يحصى من المرغوب عنه والمزهود فيه فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمته بعث اليهم رسولا منهم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فلم يمنعهم ذلك أن جرحوه فى جسمه ولقبوه فى اسمه ومعه كتاب من الله لا يرحل الا بأمره ولا ينزل الا باذنه واضطروه الى بطن غار فلما أمر بالعزامة اصفر لامر الله لونه فافلج الله حجته وأعلى كلمته وأظهر دعوته ففارق الدنيا نقيا تقيا صلى الله تعالى عليه وسلم ٭ ثم قام بعده أبو بكر رضى الله تعالى عنه فسلك سنته وأخذ بسبيله وارتدت العرب فلم يقبل منهم بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا الذى كان قابلا منهم فانتضى السيوف من اغمادها وأوقد النيران من شعلها ثم ركب بأهل الحق أهل الباطل فلم يبرح يفصل أوصالهم ويسقى الارض دماءهم حتى أدخلهم فى الذى خرجوا عنه وقررهم بالذى نفروا منه وقد كان أصاب من مال الله بكرا يرتوى عليه وحبشية ترضع ولدا له فرأى ذلك غصة عند موته فى حلقه فادى ذلك الى الخليفة من بعده وبرئ اليهم منه وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنه ٭ ثم قام من بعده عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فمصر الامصار وخلط الشدة باللين فحسر عن ذراعيه وشمر عن ساقيه واعد للامور اقرانها

(١) هو بالتشديد بمعنى وضع يديه على ركبتيه وانكب على وجهه (٢) الردى رجم الفرس الارض بحوافرها
(٣) هو من باب فرح انفراج فى أعالى غراضيف الكتف (٤) هو ضرب من سير الخيل

وللحرب آلتها فلما أصابه قرن المغيرة بن شعبة أمر ابن عباس ليسأل الناس هل يثبتون قاتله فلما قيل له قرن المغيرة استهل بحمد الله ان لا يكون أصابه ذو حق فى الفىء فيستحل دمه بما استحل من حقه وقد كان أصاب من مال الله بضعا وثمانين ألفا فكسر بها رباعه وكره بها كفالة أهله وولده فادى ذلك الى الخليفة من بعده وفارق الدنيا تقيا نقيا على منهاج صاحبه رضى الله تعالى عنهما ثم انا والله ما اجتمعنا بعدهما الا على ظلع (١) ثم انك يا عمر ابن الدنيا ولدتك ملوكها والقمتك ثديها فلما وليتها القيتها حيث ألقاها الله فالحمد لله الذى جلا بك حوبتها وكشف بك كربتها امض ولا تلتفت فانه لا يغنى من الحق شيأ أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم وللمؤمنين والمؤمنات قال ولما أن قال ثم انا والله ما اجتمعنا بعدهما الا على ظلع سكت الناس كلهم الا هشاما فانه قال كذبت ﴿خطبة عمر بن عبد العزيز أبو الحسن﴾ قال حدثنا المغيرة ابن مطرف عن شعيب بن صفوان عن أبيه قال خطب عمر بن عبد العزيز بخناصرة خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله تعالى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدا وان لكم معادا يحكم الله فيه بينكم فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شىء وحرم الجنة التى عرضها السموات والارض واعلموا أن الامان غدا لمن خاف ربه وباع قليلا بكثير وفانيا بباق ألا ترون انكم فى اسلاب الهالكين وسيخلفها من بعدكم الباقون كذلك حتى تردوا الى خير الوارثين ثم أنتم فى كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله قد قضى نحبه وبلغ أجله ثم تغيبونه فى صدع من الارض ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب غنيا عما ترك فقيرا الى ما قدم وأيم الله انى لاقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندى فاستغفر الله لى ولكم وما تبلغنا حاجة يتسع لها ما عندنا الا سددناها ولا أحد منكم الا وددت ان يده مع يدى ويحمى الذين يلوننى حتى يستوى عيشنا وعيشكم وايم الله أن لو أردت غير هذا من عيش او غضارة لكان اللسان منى ناطقا ذلولا عالما باسبابه لكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة دل فيها على طاعته ونهى فيها عن معصيته ثم بكى فتلقى دموع عينيه بطرف ردائه ثم نزل فلم ير على تلك الاعواد حتى قبضه الله ﴿خطبة أخرى﴾ ذهب عنى اسنادها أما بعد فانك ناشئ فتنة وقائد ضلالة قد طال جثومها واشتدت غمومها وتلونت مصايد عدو الله فيها وما نصب من الشرك لاهل الغفلة عما فى عواقبها فلن يهد عمودها ولن ينزع أوتادها الا الذى بيده تلك الاشياء وهو الرحمن الرحيم ألا وان لله بقايا من عباده لم يتحيروا فى ظلمتها ولم يشايعوا أهلها على شبهتها مصابيح النور فى أفواههم تزهو وألسنتهم بحجج الكتاب تنطق ركبوا نهج السبيل وقاموا على العلم الاعظم هم خصماء الشيطان الرجيم وبهم يصلح الله البلاد ويدفع عن العباد فطوبى لهم وللمستصبحين بنورهم اسأل الله

(١) أى اعوجاج يقال ظلع البعير اذا غمز فى مشيه

ان

أن يجعلنا منهم ﴿خطبة أبى حمزة الخارجى﴾ دخل أبو حمزة الخارجى مكة وهو أحد نساك الاباضية وخطبائهم واسمه يحيى بن المختار فصعد منبرها متوكئا على قوس له عربية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان لا يتأخر ولا يتقدم الا باذن الله وأمره ووحيه انزل الله له كتابا بين له فيه ما يأتى وما يتقى فلم يكن فى شك من دينه ولا شبهة فى أمره ثم قبضه الله اليه وقد علم المسلمين معالم دينهم وولى أبا بكر صلاتهم فولاه المسلمون أمر دنياهم حين ولاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أمر دينهم فقاتل أهل الردة وعمل بالكتاب والسنة فمضى لسبيله رضى الله تعالى عنه ثم ولى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فسار بسيرة صاحبه وعمل بالكتاب والسنة وجبى الفىء وفرض الاعطية وجمع الناس فى شهر رمضان وجلد فى الخمر ثمانين وغزا العدو فى بلادهم ومضى لسبيله رضى الله تعالى عنه ثم ولى عثمان بن عفان فسار ست سنين بسيرة صاحبيه وكان دونهما ثم سار فى الست الاواخر بما أحبط به الاوائل ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه ثم ولى على بن أبى طالب فلم يبلغ من الحق قصدا ولم يرفع له منارا ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه ثم ولى معاوية بن أبى سفيان لعين رسول الله وابن لعينه اتخذ عباد الله خولا (١) ومال الله دولا ودينه دغلا ثم مضى لسبيله فالعنوه لعنه الله ثم ولى يزيد بن معاوية يزيد الخمور ويزيد القرود ويزيد الفهود الفاسق فى بطنه المأبون فى فرجه ثم اقتصهم خليفة خليفة فلما انتهى الى عمر بن عبد العزيز أعرض عنه ولم يذكره ثم قال ثم ولى يزيد بن عبد الملك الفاسق فى بطنه المأبون فى فرجه الذى لم يؤنس منه رشد وقد قال الله تعالى فى أموال اليتامى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم فامر أمة محمد أعظم يأكل الحرام ويشرب الخمر ويلبس الحلة قومت بالف دينار قد ضربت فيها الابشار وهتكت فيها الاستار وأخذت من غير حلها حبابة عن يمينه وسلامة عن يساره تغنيانه حتى اذا أخذ الشراب منه كل مأخذ قد ثوبه ثم التفت الى أحدهما فقال ألا أطير نعم فطر الى لعنة الله وحريق ناره وأليم عذابه وأما بنو أمية ففرقة ضلالة وبطشهم بطش جبرية يأخذون بالظنة ويقضون بالهوى ويقتلون على الغضب ويحكمون بالشفاعة ويأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها فى غير أهلها وقد بين الله أهلها فجعلهم ثمانية أصناف فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فاقبل صنف تاسع ليس منها فأخذ كلها تلكم الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله وأما هذه الشيع فشيع ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله لم يفارقوا الناس ببصر نافذ فى الدين ولا بعلم نافذ فى القرآن ينقمون المعصية على أهلها ويعملون اذا ولوها يصرون على الفتنة ولا يعرفون المخرج منها جفاة عن القرآن اتباع كهان يؤملون

(١) هو جمع خولى وهو الراعى الحسن القيام على المال

الدول فى بعث الموتى و يعتقدون الرجعة الى الدنيا قاتلهم الله أنى يؤفكون ثم أقبل على أهل الحجاز فقال يا أهل الحجاز أتعيروننى بأصحابى وتزعمون انهم شباب وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الا شبابا أما والله انى لعالم بتتابعكم فيما يضركم فى معادكم ولولا اشتغالى بغيركم عنكم ما تركت الاخذ فوق أيديكم شباب والله مكتهلون فى شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل أرجلهم انضاء (١) عبادة واطلاح (٢) سهر فنظر الله اليهم فى جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مر أحدهم بذكر آية من ذكر الجنة بكى شوقا اليها واذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين اذنيه موصول كلالهم بكلالهم كلال الليل بكلال النهار قد أكلت الارض ركبهم وأيديهم وأنوفهم وجباههم واستقلوا ذلك فى جنب الله حتى اذا رأوا السهام قد فوقت والرماح قد أشرعت والسيوف قد انتضيت ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد الله ومضى الشاب منهم قدما حتى اختلف رجلاه على عنق فرسه وتخضبت بالدماء محاسن وجهه فأسرعت اليه سباع الارض وانحطت اليه طير السماء فكم من عين فى مناقير طير طال ما بكى صاحبها فى جوف الليل من خوف الله وكم من كف زالت عن معصمها طال ما اعتمد عليها صاحبها فى جوف الليل بالسجود لله ثم قال أوه أوه أوه ثم بكى ثم نزل ﴿خطبة قطرى بن الفجاءة﴾ صعد قطرى ابن الفجاءة منبر الازارقة وهو أحد بنى مازن بن عمرو بن تميم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانى أحذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وراقت بالقليل وتحببت بالعاجلة وحليت بالآمال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة خوانة غدارة وحائلة زائلة ونافدة بائدة أكالة غوالة بدلة نقالة لا تعدو اذا هى تناهت الى أمنية أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكون كما قال الله تعالى كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا مع ان امرأ لم يكن منها فى حبرة الا أعقبته بعدها عبرة ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله غيثة رخاء الا هطلت عليه مزنة بلاء وحرى اذا أصبحت له منتصرة ان تمسى له خاذلة متنكرة وان جانب منها اعذوذب واحلولى أمر عليه جانب وأوبى وان آتت امرأ من غضارتها ورفاهتها نعما أرهقته من نوائبها تعبا ولم يمس امرؤ منها فى جناح أمن الا أصبح منها على قوادم خوف غرارة غرور ما فيها فانية فان ما عليها لا خير فى شئ من زادها الا التقوى من أقل منها استكثر مما يؤمنه ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه ويطيل حزنه ويبكى عينيه كم واثق بها قد فجعته وذى طمأنينة اليها قد صرعته وذى اختيال فيها قد خدعته وكم من ذى أبهة بها قد صيرته حقيرا وذى نخوة قد ردته ذليلا وكم من ذى تاج قد كبته لليدين

(١) هى جمع نضو وهو الخفيف اللحم من التعب (٢) هو جمع طلح وهو التعب

والفم

والفم سلطانها دول وعيشها رنق (١) وعذبها أجاج وحلوها صبر وغذاؤها سمام وأسبابها رمام قطافها سلع حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ومنيعها بعرض اهتضام مليكها مسلوب وعزيزها مغلوب وسليمها منكوب وجامعها محروب مع ان وراء ذلك سكرات الموت وهول المطلع والوقوف بين يدى الحكم العدل ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى ألستم فى مساكن من كان أطول منكم أعمارا وأوضح منكم آثارا وأعد عديدا وأكثف جنودا وأعند عتودا تعبدوا للدنيا أى تعبد وآثروها أى ايثار وظعنوا عنها بالكره والصغار فهل بلغكم ان الدنيا سمحت لهم نفسا بفدية أو أغنت عنهم فيما قد أهلكتهم بخطب بل قد أرهقتهم بالقوادح وضعضعتهم بالنوائب وعقرتهم بالمصائب وقد رأيتم تنكرها لمن زان لها وأخلد اليها حين ظعنوا عنها الفراق الابد الى آخر المسند هل زودتهم الا الشقاء وأحلتهم الا الضنك أو نورت لهم الا الظلمة أو أعقبتهم الا الندامة أفهذه تؤثرون أم على هذه تحرصون أم عليها تطمئنون يقول الله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون فبئست الدار لمن أقام فيها فاعلموا وأنتم تعلمون انكم تاركوها الابد فانما هى كما وصفها الله باللعب واللهو وقد قال الله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون وذكر الذين قالوا من أشد منا قوة ثم قال حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا وانزلوا فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الضريح اجنان ومن التراب أكفان ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما ان أخصبوا لم يفرحوا وان أقحطوا لم يقنطوا جمع وهم آحاد وجيرة وهم ابعاد متناءون (٢) لا يزورون ولا يزارون حلماء قد ذهبت أضغانهم وجهلاء قد ماتت أحقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم وكما قال الله تعالى فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين استبدلوا بظهر الارض بطنا وبالسعة ضيقا وبالاهل غربة وبالنور ظلمة فجاؤها كما فارقوها حفاة عراة فرادى غير ان ظعنوا بأعمالهم الى الحياة الدائمة والى خلود الابد يقول الله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين فاحذروا ما حذركم الله وانتفعوا بمواعظه واعتصموا بحبله عصمنا الله واياكم بطاعته ورزقنا واياكم أداء حقه

﴿خطبة محمد بن سليمان﴾ يوم الجمعة وكان لا يغيرها الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون من يعتصم بالله ورسوله فقد اعتصم بالعروة الوثقى وسعد فى الاولى والآخرة ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا بعيدا وخسر خسرانا مبينا أسأل الله أن يجعلنا واياكم ممن يطيعه ويطيع رسوله

(١) أى كدر (٢) أى متلاصقون فى النادى وهو متحدث القوم

ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه فانما نحن له وبه أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعة الله وأرضى لكم ما عند الله فان تقوى الله أفضل ما تحاث الناس عليه وتداعوا اليه وتواصوا به فاتقوا الله ما استطعتم ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ﴿خطبة عبيد الله بن زياد﴾ صعد المنبر بعد موت يزيد بن معاوية وحيث بلغه ان سلمة بن ذؤيب الرياحى قد جمع الجموع يريد خلعه فقال يا أهل البصرة انسبونى فوالله ما مهاجر ابى الا اليكم وما مولدى الا فيكم وما أنا الا رجل منكم والله لقد وليكم أبى وما مقاتلتكم الا أربعون ألفا فبلغ بها ثمانين ألفا وما ذريتكم الا ثمانون ألفا وقد بلغ بها عشرين ومائة ألف وأنتم أوسع الناس بلادا وأكثره جنودا وأبعد مقادا وأغنى الناس عن الناس أنظر وارجلا تولونه أمركم يكف سفهاءكم ويجبى لكم فيئكم ويقسمه فيما بينكم فانما أنا رجل منكم فلما أبوا غيره قال انى أخاف أن يكون الذى يدعوكم الى تأميرى حداثة عهدكم بأمرى ﴿خطبة معاوية﴾ الهيثم بن عدى عن أبى بكر ابن عياش عن أشياخه قال حضرت معاوية الوفاة ويزيد غائب دعا معاوية مسلم بن عقبة المرى والضحاك بن قيس الفهرى فقال أبلغا عنى يزيد وقولا له أنظر الى أهل الحجاز فهم أصلك وعترتك فمن أتاك منهم فأكرمه ومن قعد عنك فتعهده وانظر أهل العراق فان سألوك عزل عامل لهم فى كل يوم فاعزله عنهم فان عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ثم لا تدرى على ما أنت عليه منهم ثم انظر الى أهل الشام فاجعلهم الشعار (١) دون الدثار فان رابك من عدوك ريب فارمهم بهم فان أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام الى بلادهم ولا يقيموا فى غير بلادهم فيتأدبوا بغير أدبهم لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر وعبد الله ابن الزبير وحسين بن على فاما عبد الله بن عمر فرجل قد وقذه (٢) الورع وأما الحسين فانى أرجو ان يكفيه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه وأما ابن الزبير فانه خب ضب وفى غير هذه الرواية فان ظفرت بابن الزبير فقطعه اربا اربا فمات معاوية فقام الضحاك بن قيس خطيبا فقال ان أمير المؤمنين معاوية كان أنف العرب وهذه أكفانه ونحن مدرجوه فيها ومخلون بينه وبين ربه فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضره فصلى عليه الضحاك بن قيس ثم قدم يزيد ولده فلم يقدم أحد على تعزيته حتى دخل عليه عبد الله بن همام السلولى فأنشأ يقول

اصبر يزيد فقد فارقت ذا كرم * واشكر حباء الذى بالملك أصفاك

لا رزء أصبح فى الاقوام قد علموا * كما رزئت ولا عقبى كعقباك

أصبحت راعى أهل الدين كلهم * فانت ترعاهم والله يرعاك

وفى معاوية الباقى لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاك

فانفتح الخطباء للكلام بعد ذلك ﴿خطبة قتيبة بن مسلم الباهلى﴾ قام بخراسان حين خلع فقال أتدرون من تبايعون انما تبايعون يزيد بن ثوران يعنى هنقة القيسى كانى بامير

(١) الشعار هو الثوب الذى يلى الجسد والدثار الثوب الذى فوقه (٢) أى سكنه وغلبه

من حاوحكم (١) قد أتاكم يحكم فى أموالكم وفروجكم وابشاركم ثم قال الاعراب وما الاعراب فلعنة الله على الاعراب جمعتكم كما يجمع قزع (٢) الخريف من منابت الشيح والقيصوم ومنابت الفلقل (٣) وجزيرة ابركاوان تركبون البقر وتأكلون العضب فحملتكم على الخيل وألبستكم السلاح حتى منع الله بكم البلاد وأفاء بكم الفىء قالوا مرنا بأمرك قال غروا غيرى * قال وخطب مرة أخرى فقال يا أهل العراق ألست أعلم الناس بكم أما هذا الحى من أهل العالية فنعم الصدقة وأما هذا الحى من بكر بن وائل فعلجة بظراء لا تمنع رجليها وأما هذا الحى من عبد قيس فما ضرب العير بذنبه وأما هذا الحى من الازد فعلوج خلق الله وانباطه وايم الله لو ملكت أمر الناس لنقشت أيديهم فاما هذا الحى من تميم فانهم كانوا يسمون الغدر فى الجاهلية كيسان (وخطب مرة أخرى) فقال يا أهل خراسان قد جربتم الولاة قبلى أتاكم أمية فكان كاسمه أمية الرأى وأمية الدين فكتب الى خليفته ان خراج خراسان وسجستان لو كان فى مطبخه لم يكفه ثم أتاكم بعده أبو سعيد فدوخ بكم البلاد لا تدرون أفى طاعة أنتم أم فى معصية ثم لم يجب فيئا ولم ينك عدوا ثم أتاكم بنوه بعده مثل اطباء الكلبة منهم ابن الرجمة حصان يضرب فى عانه ولقد كان أبوه يخافه على أمهات أولاده ثم قد أصبحتم وقد فتح الله عليكم البلاد وأمن لكم السبل حتى ان الظعينة لتخرج من مرو الى سمرقند فى غير جواز ﴿خطبة الاحنف بن قيس﴾ قال بعد حمد الله والثناء عليه وصلى على نبيه يا معشر الازد وربيعة أنتم اخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الصهر واشقاؤنا فى النسب وجيراننا فى الدار ويدنا على العدو والله لازد البصرة أحب الينا من تميم الكوفة ولازد الكوفة أحب الينا من تميم الشام فان استشرف شنآنكم وأبى حسد صدوركم ففى أموالنا وسعة أحلامنا لنا ولكم سعة ﴿خطبة جامع المحاربى﴾ ومن محارب جامع كان شيخا صالحا خطيبا لسنا وهو الذى قال للحجاج حين بنى مدينة واسط بنيتها فى غير بلدك وأورثتها غير ولدك وكذلك من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد عن الاستخارة وشكا الحجاج سوء طاعة أهل العراق وتنقم مذهبهم وتسخط طريقتهم فقال له جامع اما انهم لو أحبوك لاطاعوك على انهم ما شنؤك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك فدع ما يبعدهم منك الى ما يقربهم اليك والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك وليكن ايقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد وعدك قال الحجاج انى والله ما أرى ان أرد بنى اللكيعة الى طاعتى الا بالسيف فقال أيها الامير ان السيف اذا لاقى السيف ذهب الخيار فقال الحجاج الخيار يومئذ لله قال أجل ولكن لا تدرى لمن يجعله الله فغضب الحجاج وقال ياهناه انك من محارب فقال جامع

وللحرب سمينا وكان محاربا * اذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا

(١) حاوحكم قبيلة وهى حكم بن سعد العشيرة فى مذحج وليست عندهم بشريف (٢) هو محرك قطع من السحاب
(٣) هو كزبرج نبت له حب أسود

والبيت الخضرى فقال الحجاج والله لهممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك فقال جامع ان صدقناك أغضبناك وان غششناك أغضبنا الله فغضب الامير أهون علينا من غضب الله قال أجل وسكن وشغل الحجاج ببعض الامر وانسل جامع فمر بين صفوف خيل الشام حتى جاوز الى خيل أهل العراق وكان الحجاج لا يخالطهم فأبصر كبكبة فيها جماعة من بكر العراق وتميم العراق وازد العراق وقيس العراق فلما رأوه اشرأبوا اليه وبلغهم خروجه فقالوا له ما عندك دافع الله لنا عن نفسك فقال ويحكم عموه بالخلع كما يعمكم بالعداوة ودعوا التعادى ما عادا كم فاذا ظفرتم به تراجعتم وتعاقبتم أيها التميمى هو أعدى لك من الازدى وأيها القيسى هو أعدى لك من التغلبى وهل ظفر بمن ناواه منكم الا بمن بقى معه منكم وهرب جامع من فوره ذلك الى الشام فاستجار بزفر بن الحرث (وخطب الحجاج) فقال اللهم أرنى الغى غيا فأجتنبه وأرنى الهدى هدى فأتبعه ولا تكلنى الى نفسى فاضل ضلالا بعيدا والله ما أحب ان مامضى من الدنيا بعمامتى هذه ولما بقى أشبه بما مضى من الماء بالماء (وخطبة له) الهيثم بن عدى قال أنبأنى ابن عياش عن أبيه قال خرج الحجاج يوما من القصر بالكوفة فسمع تكبيرا فى السوق فراعه ذلك فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق ومساوى الاخلاق وبنى اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الاماء والفقع بالقرقر (١) انى سمعت تكبيرا لا يراد الله به وانما يراد به الشيطان وانما مثلى ومثلكم ما قال عمرو بن براق الهمدانى

وكنت اذا قوم غزونى غزوتهم * فهل أنا فى ذيال همدان ظالم

متى تجمع القلب الذكى وصارما * وأنفا حميا تجتنبك المظالم

أما والله لا تقرع عصا عصا الا جعلتها كأمس الدابر ﴿خطبة عمرو بن كلثوم﴾ أما بعد فانه لا يخبر عن فضل المرء أصدق من تركه تزكية نفسه ولا يعبر عنه فى تزكية أصحابه أصدق من اعتماده اياهم برغبته وائتمانه اياهم على حرمته ﴿خطبة يزيد بن الوليد﴾ ولما قتل يزيد بن الوليد ابن عمه الوليد بن عبد الملك بن مروان قام خطيبا بعد ان حمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس والله ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا حرصا على الدنيا ولا رغبة فى الملك وما بى اطراء نفسى وانى لظلوم لها ولقد خسرت ان لم يرحمنى ربى ولكنى خرجت غضبا لله ودينه وداعيا الى الله وسنة نبيه لما هدمت معالم الهدى وأطفئ نور التقوى وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة والراكب لكل بدعة مع انه والله ما كان يؤمن بيوم الحساب ولا يصدق بالثواب والعقاب وانه لابن عمى فى النسب وكفىء فى الحسب فلما رأيت ذلك استخرت الله فى أمره وسألته ان لا يكلنى الى نفسى ودعوت الى ذلك من أجابنى من أهل ولايتى

(١) هو مثل يضرب للذليل اذ الفقع هو الكمأة البيضاء الرخوة والقرقر الارض المطمئنة فكانه يقول هو لا يمتنع على من اجتناه

حتى

حتى أراح الله منه العباد وطهر منه البلاد بحول الله وقوته لا بحولى وقوتى أيها الناس ان لكم على ان لا أضع حجرا على حجر ولا لبنة على لبنة ولا أكرى نهرا ولا أكنز مالا ولا أعطيه زوجا ولا ولدا ولا أنقل مالا من بلد الى بلد حتى أسد فقر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم فان فضل فضل نقلته الى البلد الذى يليه ممن هو أحوج اليه منه وان لا أجمركم (١) فى ثغوركم فأفتنكم وافتن أهاليكم ولا أغلق بابى دونكم فيأكل قويكم ضعيفكم ولا أحمل على أهل جزيتكم ما أجليهم به عن بلادهم واقطع نسلهم ولكم عندى اعطياتكم فى كل سنة وارزاقكم فى كل شهر حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كأدناهم فاذا أنا وفيت لكم فعليكم السمع والطاعة وحسن الموازرة والمكانفة وان أنا لم أوف لكم فلكم ان تخلعونى الا ان تستتيبونى فان أنا تبت قبلتم منى وان عرفتم أحدا يقوم مقامى ممن يعرف بالصلاح يعطيكم من نفسه مثل ما أعطيتكم فاردتم ان تبايعوه فانا أول من بايعه ودخل فى طاعته أيها الناس لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق أقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم فلما بويع مروان بن محمد نبشه وصلبه وكان يقرؤن فى الكتب يا مبذر الكنوز يا سجادا بالاسحار وكانت ولايتك رحمة وعليهم حجة اخذوك فصلبوك ﴿خطبة يوسف بن عمر﴾ قام خطيبا فقال اتقوا الله عباد الله فكم من مؤمل أملا لا يبلغه وجامع مالا لا يأكله ومانع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه أصابه حراما وأورثه عدوا فاحتمل اصره وباء بوزره وورد على ربه آسفا لاهفا قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين * كلام هلال بن وكيع وزيد بن جبلة والاحنف بن قيس عند عمر بشار بن عبد الحميد عن أبى ريحانة قال وفد هلال بن وكيع والاحنف بن قيس وزيد بن جبلة على عمر فقال هلال بن وكيع يا أمير المؤمنين انا لباب من خلفنا وغرة من ورائنا من أهل مصرنا فانك ان تصرفنا بالزيادة فى اعطياتنا والفرائض لعيالاتنا يزد ذلك الشريف تأميلا وتكن لذوى الاحساب أبا وصولا وانا ان تكن مع ما نمت (٢) به من فضائلك وندلى من أسبابك كالجد الذى لا يحل ولا يرحل نرجع بأنف مصلومة وجدود عاثرة فمحنا وأهالينا بسجل من سجالك المترعة * وقام زيد بن جبلة فقال يا أمير المؤمنين سود الشريف وأكرم الحسيب وازرع عندنا من أياديك ما نسد به الخصاصة ونطرد به الفاقة فانا بقف من الارض يابس الاكناف مقشعر الذروة لا شجر فيه ولا زرع وانا من العرب اليوم اذ أتيناك بمرأى ومسمع فقام الاحنف فقال يا أمير المؤمنين ان مفاتيح الخير بيد الله والحرص قائد الحرمان فاتق الله فيما لا يغنى عنك يوم القيامة قيلا ولا قالا واجعل بينك وبين رعيتك من العدل والانصاف شيأ يكفيك وفادة الوفود واستماحة الممتاح فان كل امرئ انما يجمع فى وعائه الا الاقل ممن

(١) يقال جرمه بمعنى قطعه (٢) المت المد والتوسع وقوله كالجد خبر تكن وقوله نرجع جواب ان أى ان لم تزد فى اعطياتنا مع ما نعوم به من مدحك نكون كالغنى صلم أنفه ى شق وعثر جده أى ذهب وقوله فمحنا أى اعطنا

عسى ان تقتحمه الاعين وتخونهم الالسن فلا يوفد اليك يا أمير المؤمنين ﴿خطبة الحجاج﴾
بعد دير الجماجم خطب أهل العراق بعد دير الجماجم فقال يا أهل العراق ان الشيطان
قد استبطنكم فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والاطراف والاعضاء والشغاف ثم
أفضى الى الأمخاخ والاصماخ ثم ارتفع فعشش ثم باض وفرخ فحشاكم نفاقا وشقاقا وأشعركم
خلافا أخذتموه دليلا تتبعونه وقائدا تطيعونه ومؤامرا تستشيرونه فكيف تنفعكم تجربة
وتعظكم وقعة أو يحجزكم اسلام أو ينفعكم بيان ألستم أصحابي بالاهواز حيث رمتم المكر
وسعيتم بالغدر واستجمعتم الكفر وظننتم أن الله يخذل دينه وخلافته وأنا أرميكم بطرفي
وأنتم تتسللون لواذا وتنهزمون سراعا ثم يوم الزاوية وما يوم الزاوية بها كان فشلكم وتنازعكم
وتخاذلكم وبراءة الله منكم ونكوص وليكم عنكم اذ وليتم كالابل الشوارد الى أوطانها
النوازع الى اعطانها لا يسأل المرء عن أخيه ولا يلوى الشيخ على بنيه حتى عضكم السلاح
وقصمكم الرماح ثم يوم دير الجماجم وما يوم دير الجماجم بها كانت المعارك والملاحم بضرب يزيل
الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله يا أهل العراق الكفرات بعد الفجرات
والغدرات بعد الختلات والنزوة بعد النزوات ان بعثتكم الى ثغوركم غللتم وخنتم وان
أمنتم أرجفتم وان خفتم نافقتم لا تذكرون حسنة ولا تشكرون نعمة هل استخفكم ناكث
أو استغواكم غاو أو استنفركم عاص أو استنصركم ظالم أو استعضدكم خالع الا تبعتموه وآويتموه
ونصرتموه ورحبتموه يا أهل العراق هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو زفر زافر الا كنتم
أتباعه وأنصاره يا أهل العراق ألم تنهكم المواعظ ألم تزجركم الوقائع ثم التفت الى أهل
الشام فقال يا أهل الشام انما أنا لكم كالظليم (١) الرامح عن فراخه ينفى عنها المدر ويباعد
عنها الحجر ويكنها من المطر ويحميها من الضباب ويحرسها من الذباب يا أهل الشام أنتم
الجنة والرداء وأنتم العدة والحذاء وقال رجل لحذيفة أخشى أن أكون منافقا فقال لو
كنت منافقا لم تخش ذلك وقال آخر اعلم ان المصيبة واحدة ان صبرت وان لم تصبر فهما
مصيبتان ومصيبتك بأجرك أعظم من مصيبتك بميتك وقال صالح بن عبد القدوس

ان يكن ما به أصبت جليلا * فذهاب العزاء فيه أجل

وقال آخر تعز عن الشئ اذا منعته لقلة ما يصحبك اذا أعطيته وما خفف الحساب وقلله خير
مما كثره وثقله وقال حدثنا ابو بكر الهذلى واسمه سلمى قال اذا جمع الطعام أربعا فقد
كمل اذا كان حلالا وكثرت الايدى عليه وسمى الله فى أوله وحمد فى آخره ﴿خطبة زياد﴾
وخطب زياد فقال استوصوا بثلاثة منكم خيرا الشريف والعالم والشيخ فوالله لا يأتينى
شيخ بشاب قد استخف به الا أوجعته ولا يأتينى عالم بجاهل استخف به الا نكلت به
ولا يأتينى شريف بوضيع استخف به الا انتقمت له منه على بن سليم قال قال حاتم طى

(١) هو ذكر النعام

لعدى ابنه أى بنى ان رأيت ان الشر يتركك ان تركته فاتركه قال وقال عدى بن حاتم
لابن له قم بالباب فامنع من لا تعرف وأذن لمن تعرف قال لا والله لا يكون أول شئ وليته من
الدنيا منع قوم من طعامك قال وقال مدينى لعبد الملك بن مروان ودخل عليه بنوه أراك
الله فى بنيك ما أرى أباك فيك وأرى بنيك فيك ما أراك فى أبيك وقال ابن شبرمة ذهب
العلم الا عبارات فى أوعية سوء الهيثم بن عدى عن ابن عياش عن أبيه قال خرج الحجاج
الى الفارسان واذا هو باعرابى فى زرع فقال له ممن أنت قال من أهل عمان قال فمن
أى القبائل قال من الازد قال علمك بالزرع قال انى لاعلم من ذلك علما قال فاى
الزرع خيره قال ما غلظ قصبه وأعتم نبته وعظمت جثته وطالت سنبلته قال فاى العنب
خير قال ما غلظ عموده واخضر عوده وعظم عنقوده قال فما خير التمر قال ما غلظ الحاؤه
ودق نواه ورق سحاؤه ﴿باب من اللغز فى الجواب﴾
قالوا كان الحطيئة يرعى غنما وفى يده عصا فمر به رجل فقال يا راعى الغنم ما عندك قال
عجراء من سلم يعنى عصاه قال انى ضيف قال للضيفان أعددتها وقال ابن سليم ان قيس
ابن سعد بن عبادة قال اللهم ارزقنى حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال قال
خالد بن الوليد لاهل الحيرة أخرجوا الى رجلا من عقلائكم فاخرجوا اليه عبد المسيح بن
عمرو بن قيس بن حيان بن نفيلة الغسانى وهو الذى بنى القصر وهو يومئذ ابن خمسين
وثلثمائة سنة فقال له خالد من أين أقصى اثرك قال من صلب أبى قال فمن أين خرجت
قال من بطن أمى قال فعلام أنت قال على الارض قال ففيم أنت قال فى ثيابى قال
ما سنك قال عظم قال أتعقل لا عقلت قال اى والله وأقيد قال ابن كم أنت قال ابن
رجل واحد قال كم أتى عليك من الدهر قال لو أتى على شئ لقتلنى قال ما تزيدنى
مسألتك الا غما قال ما اجبتك الا عن مسألتك قال أعرب أنتم أم نبط قال عرب استنبطنا
ونبط استعربنا قال فحرب أنتم أم سلم قال سلم قال فما بال هذه الحصون قال بنيناها
للسفيه حتى يجئ الحليم فينهاه قال كم أتت عليك سنه قال خمسون وثلثمائة قال
ما أدركت قال أدركت سفن البحر ترفأ الينا فى هذا الجرف ورأيت المرأة من أهل الحيرة
تأخذ مكتلها على رأسها ولا تتزود الا رغيفا واحدا فلا تزال فى قرى مخصبة متواترة حتى ترد
الشام ثم قد أصبحت خرابا يبابا وذلك دأب الله فى العباد والبلاد قال قال وأتى أزهر بن
عبد الحارث رجل من بنى يربوع فقال الا أدخل قال وراءك أوسع لك فقال ان الشمس
أحرقت رجلى قال بل عليهما تبردا قال يا آل يربوع قال ذليلا دعوت يا بنى حريص أطعمتكم
عاما أول حلة فأكلتم حلتكم وأغرتم على حلة الضيفان قال وقال الحجاج لرجل من الخوارج
أجمعت القرآن قال أمتفرقا كان فأجمعه قال أتقرأه ظاهرا قال بل اقرؤه وأنا أنظر
اليه قال أتحفظه قال أخشيت فراره فاحفظه قال ما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك

قال لعنه الله ولعنك معه قال انك مقتول فكيف تلقى الله قال ألقاه بعملى وتلقاه بدمى وقال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وأنفق فضول كسبك لآخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالا وعلى أعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلواتك فان الصلاة أفضل من الصوم وكن كالاب لليتيم وكالزوج للارملة ولا تحاب القريب ولا تجالس السفيه ولا تخالط ذا الوجهين ألبتة وسمع الاحنف رجلا يطرى يزيد عند معاوية فلما خرج من عنده استغفر فى ذمهما فقال الاحنف مه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها وقال سعيد بن أبى عروبة لان يكون لى نصف وجه ونصف لسان على ما فيهما من قبح المنظر وعجز المخبر أحب الى من أن اكون ذا وجهين وذا لسانين وذا قولين مختلفين وقال أيوب السختيانى النمام ذو الوجهين أحسن الاستماع وخالف فى الابلاغ حفص بن صالح الازرى عن عامر الشعبى قال كتب عمر الى معاوية أما بعد فانى كتبت اليك بكتاب فى القضاء لم آلك ونفسى فيه خيرا الزم خمس خصال يسلم لك دينك وتأخذ فيه بأفضل حظك اذا تقدم اليك الخصمان فعليك بالبينة العادلة واليمين القاطعة وأدن الضعيف حتى يشتد قلبه وينبسط لسانه وتعهد الغريب فانك ان لم تتعهده ترك حقه ورجع الى أهله وانما ضيع حقه من لم يرفق به واس بينهم فى لحظك وطرفك وعليك بالصلح بين الناس مالم يستبن لك فصل القضاء أبو يوسف عن العرزمى عمن حدثه عن شريح أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كتب اليه لا تشار ولا تمار ولا تبع ولا تبتع فى مجلس القضاء ولا تقض بين اثنين وأنت غضبان وقال عمر بن عبد العزيز اذا كان فى القاضى خمس خصال فقد كمل علم ما كان قبله ونزاهة عن الطمع وحلم على الخصم واقتداء بالائمة ومشاورة أهل الرأى قال الهلالى لما ولى يزيد بن معاوية سلم بن زياد على خراسان قال له ان أباك كفى أخاه عظيما وقد استكفيتك صغيرا فلا تتكلن على عذر منى لك فقد اتكلت على كفاية منك واياك منى قبل أن أقول اياى منك فان الظن اذا أخلف منك أخلف منى فيك وأنت فى أدنى حظك فاطلب أقصاه وقد أتعبك أبوك فلا تريحن نفسك وكن لنفسك تكن لك واذكر فى يومك أحاديث غدك تسعد ان شاء الله تعالى ومما قالوا فى التشديق وفى ذكر الاشداق

قال المازنى
من كان يزعم أن بشرا ماصق * فالله يجزيه وربك أعلم
ينبيك ناظره وقلة لحمه * وتشادق فيه ولون أسحم
ان الصريح المحض فيه دلالة * والعرق منكشف لمن يتوسم
أما لسانك واحتباؤك قاعدا * فزرارة العدسى عندك أعجم
انى لارجو ان يكون مقالهم * زورا وشانيك الحسود المرغم

﴿وفى مثل ذلك يقول مورق العبدى﴾

قد علم الغربى والمشرق * انك فى القوم صميم مصلق
عودك نبع وهشيم بورق * وأنت جدب وربيع مغدق
وأنت ليل ونهار مشرق * لولا عجوز قحمة ودردق
وصاحب جم الحديث مونق * كيف الفوات والطلوب مورق
شيخ مغيظ وأسنان يبرق * وحنجر رحب وصوت مصلق
وشدق ضرغام وناب يحرق * وشاعر باقى الرسوم مغلق

﴿باب فى صفة الرائد﴾

للغيث وفى نعته للارض قال أبو المجيب وصف رائد أرضا جدبة فقال اغبرت جادتها وذرع مرتعها وقضم شجرها ورقت كرشها وخور عظمها والتقى سرحاها وتميز أهلها ودخل قلوبهم الوهل وأموالهم الهزل قال الجادة الطريق الى الماء والجمع جواد والتقى سرحاها يقول اذا أكل كل سارح ما يليه التقيا عند الماء واذا لم يكن للجمال مرعى الا الشجر وحده رقت اكراشه وقوله تميز أهلها تفرقوا فى طلب الكلأ ومرتع مذرع اذا كان بعيدا من الماء ومرتع قاصر اذا كان قريبا من الماء ويقولون كلأ قاصر للقريب ويقولون ماء مطنب وماء مطلب اذا ألجأهم الى طلبه من بعده ووصف اعرابى أرضا أحمدها فقال خلع شيحها وأبقل رمثها وخضب عرفجها واتسق نبتها واخضرت قريانها واخوصت بطنانها واحلست أكامها واعتم نبت جراثيمها وأجرت بقلتها وذرقتها وخبازتها واحودت خواصر ابلها وشكرت حلوبتها وسمنت قتوبتها وعمد ثراها وعقدت تناهيها وأماهت ثمارها ووثق الناس بصائرها قال ويقال خلع الشيح اذا أورق الخالع من العضاه الذى لا يسقط ورقه أبدا وكذلك السدر لا يتجرد وكل شجر له شوك فهو عضاه والواحد عضه الا القتاد ولا يعبل الا الارطى ويقال كلح الشجر اذا اخوصت بطنانها اذا نبت فيه قضبان رقاق وخضب عرفجها يقول اسود واخوص الشجر وهو الذى لا شوك له ومن العضاه قشره وقصده فاذا يبست فهو عود اتسق نبتها أى تتام أجرت بقلتها أى نبت فيها مثل الجراء جمع جرو والعلفة ثمرة الطلح والحبلة للسلم واحورت خواصر ابلها تشد احناها على خواصرها كى لا تحبط والحبط انتفاخ بطنها من مرعى ترعاه قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ايضر الغبط قال نعم كما يضر الخبط وشكرت يقول غزرت وقوله عمد ثراها وذلك اذا قبضت منه على شئ فتعقد واجتمع من ندوته يقال عمد الثرى يعمد عمدا وهو ثرى عمد فالعمد أن يجاوز الثرى المنكب وهو أن تقيس السماء بالمرفق فيقول بلغت وضح الكف ثم الرسغ ثم العظمة ثم المرفق ثم ينصف العضد ثم يبلغ المنكب فاذا بلغ المنكب قيل عمد الثرى فيقال ان ذلك حيا سنين والتناهى واحدتها تنهية وهو مستقر السيل وعقدها أن يمر السيل مقبلا حتى اذا انتهى منتهاه دار بالابطح حتى تلتقى طرفا السيل والصائرة الكلأ والماء قالوا

قاتل الحجاج ابن الاشعث فى المربد فخطب ابن الاشعث الناس فقال أيها الناس انه لم يبق
من عدوكم الا كما يبقى من ذنب الوزغة تضرب بها يمينا وشمالا فما تلبث الأن تموت فمر به
رجل من بنى قشير فقال قبح الله هذا ورأيه يأمر أصحابه بقلة الاحتراس ويعدهم الاضاليل
ويمنيهم الباطل وناس كثير يرون ان ابن الاشعث هو المحسن دون القشيرى قال بشار

وجد كعصب البرد جمات صاحبى * الى ملك للصالحات قرين

وقال آخر وبكر كنوار الرياض حديثها * تروق بوجه واضح وقوام

أبو الحسن كان معاوية يأذن للاحنف أول من يأذن له فأذن له يوما ثم أذن لمحمد بن
الاشعث حتى جلس بين معاوية والاحنف فقال له معاوية لقد أحسست من نفسك ذلا انى
لم آذن له قبلك الا ليكونوا الى فى المجلس دونك وانا كما نملك أموركم نملك تأديبكم فاريدوا ما يراد
بكم فانه أبقى لنعمتكم وأحسن لادبكم وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصيل الخزاعى يا أصيل
كيف تركت مكة قال تركتها وقد أحجن ثمامها وأمشر سلمها واعذق اذخرها فقال عليه
السلام دع القلوب تقر قال وسأل أبو زياد الكلابى الصقيل العقيلى حين قدم من البادية
عن طريقه فقال انصرفت من الحج فاصعدت الى الربذة فى مقاط الحرة فوجدت بها صلالا
من الربيع من خضمة نجص وصليان وقرمل حتى لو شئت لانخت ابلى فى أذن القفعاء فلم أزل
فى مرعى لا أحسن منه شيأ حتى بلغت أهلى وقال سلام الكلابى رأيت ببطن فلج منظرا
من الكلأ لا أنساه ووجدت الصفراء والحمراء يضربان نحور الابل تحتهما قفعاء وحربث
قد أطاع وامسك بأفواه المال أى لا تقدر أن ترفع رؤسها وتركت الحوران ناقعة فى الاجارع
وذم أرضا فقال وجدنا أرضا ماحلة مثل جلد الاجرب تصى محباتها ولا يسكت ذبيها ولا
يقيد راكبها وقال النضرقات لابى الخضير ما أعجب ما رأيت من الخصب قال كنت
أشرب رثأة تجرها الشفتان جرا وقارصا ممارصا اذا تجشأت جدع أنفى ورأيت
الكماة تدرسها الابل بمناسمها والوضر يشمه الكلب فيعطس قال الاصمعى قال المنتجع
ابن نبهان قال رجل من أهل البادية كنت أرى الكلب يمر بالخصفة عليها الخلاصة
فيشمها ويمضى عنها محمد بن كناسة قال أخبرنى بعض فصحاء اعراب طيئ قال بعث
قوم رائدا فقالوا ما وراءك قال عشب وتعاشيب وكماة متفرقة شيب تقلعها باخفافها النيب
قالوا لم تصنع شيأ هذا كذب وارسلوا آخر فقالوا ما وراءك قال عشب ثأد مأد مولى وعهد
متدارك جعد كافخاذ نساء بنى سعد تشبع منه الناب وهى تعد وقال لان النبت اذا كان
قليلا وقعت عليه الابل واذا كان كثيرا أمكنها الاكل وهى تعد وقالوا بعث رجل
أولاده يرتادون فى خصب فقال أحدهم رأيت بقلا وماء غيلا يسيل سيلا وخوصة تميل
ميلا يحسبها الرائد ليلا وقال الثانى رأيت ديمة على ديمة فى عهد هاغير قديمة وكلأ تشبع
منها الناب قبل العظيمة وقال أبو محجب قيل لا وفى بن عبيد أئت وادى كذا وكذا فارتده لنا

وجدت به خشبا هرمى وعشبا شرمى قال والهرمى الذى ليس له دخان اذا أوقد من يبسه
وقدمه والشرمى العشب الضخم يقال هذا عشب شرم وقال هرم بن زيد الكلبى اذا أحيا
الناس قيل قد أكلأت الارض وآخر نفشت العنز لاختها ولحس الكلاب الوضر وقال
آخر نفاش العنزان ينتفش شعرها وتنصب روقيها فى أحد شقيها لتنطح صاحبتها وانما
ذلك من الاشر حين ازدهت وأعجبتها أنفسها ولحس الكلاب الوضر لما يفضلون منه لانهم
فى الجدب لا يدعون للكلاب شيأ يلحسه قال أبو محجب اذا أجدب الرائد قال وجدت أرضا
أرمى عشمى فاما العشمى فالتى يرى فيها الشجر الاعشم وانما يعشم من الهبوة ويقال للشيخ
انما هو عشمة فاما الارمى فالتى أرمت فليس فيها أصل شجرة قال أبو عبيدة قال بعض
الاعراب تركت جرادا عرادا كانها نعامة باركة يريد التفاف نبتها وهى من نبت بلاد تميم
وقيل لاعرابى ما وراءك قال خلفت أرضا تظالم معزاها يقول سمنت وأشرت فتظالمت
وتقول العرب ليس أظلم من حية وتقول العرب ليس أظلم من ورل وأظلم من ذئب كما تقول
أغدر من ذئب وكما تقول اكسب من ذئب قال الاسدى

لعمرك لوانى أخاصم حية * الى فقعس ما أنصفتنى فقعس
اذا قلت مات الداء بينى وبينهم * أتى حاطب منهم لآخر يقبس
فمالكم طلسا الى كانكم * ذئاب الغضا والذئب بالليل أطلس

وقال الفزارى ولو أخاصم أفعى نابها لثق * أو الاساود من صم الاهاضيب
ولو أخاصم ذئبا فى اكيلته * لجاءنى جمعهم يسعى مع الذيب

يقول بلغ من الظلم قومنا انا لو خاصمنا الذئاب والحيات وبها يضربون المثل فى الظلم
لقضوا لهما علينا وقالت العرب اذا شبعت الدقيقة لحست الجليلة هذا فى قلة العشب
وانما تلحسه الناقة لقلته وقصره وحدثنا أبو زياد الكلابى قال بعث قوم رائدا لهم بعد
سنين تتابعت عليهم فلما رجع اليهم قالوا له ما وراءك قال رأيت بقلا يشبع منه الجمل
البروك وتشكت منه النساء وهم الرجل باخيه قال أما قوله الجمل البروك يقول لو قام قائما
لم يتمكن منه لقصره وأما قوله وتشكت منه النساء فانه مأخوذ من الشكوة والشكاة
أصغر الوطاب يقول لم يكثر اللبن بعد فيمخض فى الوطاب وقوله وهم الرجل باخيه أى هم
ان يدعوه الى منزله كما يصنعون فى أيام الخصب وقال غيره الخصب يدعو الى طلب الطوايل
وغزو الجيران والى ان يأكل القوى من هو أضعف منه وقالوا فى الكلأ كلأ تشبع منه
الابل معقلة وكلأ حابس فيه كمرسل يقول من كثرته سواء عليك حبستها أو أرسلتها وتقول
كلأ يبجع منه كبد المصرم وأنشد الباهلى

ثم مطرنا مطرة رويه * فنبت البقل ولا رعيه

وأنشد الاصمعى جنبك الجيوش أبا زنيب * وجاد على مسارحك السحاب

يجوز ان يكون دعاء عليه وأن يكون دعاء له وقال الآخر

أمرعت الارض لوان مالا * لوان نوقا لك أوجمالا * أوثلة من غنم امالا

وقال ابن الاعرابى سأل الحجاج رجلا قدم من الحجاز عن المطر فقال تتابعت علينا الاسمية
حتى منعت السفار وظالمت المعزى واحتلبت الدرة بالجره لقيط قال دخل رجل على الحجاج
فسأله عن المطر فقال ما أصابنى من مطر ولكنى سمعت رائدا يقول هلم أظعنكم الى محلة
تطفأ فيها النيران وتتنافس فيها المعزى وتبقى بها الجره حتى تنزل الدره أبوزيد قال
تخاصمت امرأتان الى ابنة الخس فى مراعى أبويهما فقالت الاولى ابل أبى ترعى الاسيلح
قالت ابنة الخس رغوة وصريح وسنام اطريح قالت الاخرى مرعى ابل أبى الخله قالت
ابنة الخس سريعة الدرة والجرة وقال الاخوص بن جعفر بعدما كبر وعمى وبنوه
يسوقون به أى شئ ترتعى الابل قالوا عرف الثمام والضغه قال سوقوا ثم انها عادت فارتعت
بمكان آخر فقال أى شئ ترتعى الابل قالوا العضاه والغضه قال عودعو يدشبع بعيد
وقال سوقوا حتى اذا بلغوا بلدا آخر قال أى شئ ترتعى الابل قالوا نصيا وصليانا قال
مكفية لرعائها مطولة لذراها ارعوا واشبعوا ثم سألهم فقال أى شئ ترتعى الابل قالوا
الرمث قال خلقت منه وخلق منها قال أبو صاعد وزعم الناس ان أول ما خلقت الابل من
الرمث وعلامة ذلك انك لا ترى دابة تريده الا الابل قال وقيل لرؤبة ما وراءك قال الثرى
يابس والمرعى عابس قال وقالت امرأة من الاعراب أصبحنا ما يرقد لنا فرس وما ينام لنا
حرس قالوا كان أبو النجيب كثيرا ما يقول لا أرى امرأة تصبر عينيها ولا شر يفاينها بعيرا
ولا امرأة تلبس نطاق يمنة * وخطب بلال بن أبى بردة بالبصرة فعرف انهم قد استحسنوا
كلامه فقال لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا ان تقبلوا أحسن ما تسمعون منا قال وقال عمر
ابن عبد العزيز ما قوم أشبه بالسلف من الاعراب لولا جفاء فيهم وقال غيلان أبو مروان
اذا أردت ان تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الاعراب قال رجل من بنى سليم وسأله الحجاج عن المطر
فقال أصابتنا سحائب ثلاث سحابة بحوران بقطر صغار وقطر كبار فكان الصغار للكبار
لحمة ثم أصابتنا الثانية بسواء فلبدت الدماث ورحضت العزاز وأسالت التلاع وحرقت
الرجع وصدعت الكماة عن أماكنها ثم أصابتنا الثالثة بالقريتين فلاثت الاخاد
وافعمت كل واد وأقبلنا فى ماء يجر الضبع ويستخرجها من وجارها وقال رجل من بنى
أسد لمحمد بن مروان وسأله عن المطر فقال ظهر الاعصار وكثر الغبار وأكل ما أشرف من
الجنبه وأيقنا انه عام سنه قال أبو الحسن بن العتاب عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابران
الاسكندر كان لا يدخل مدينة الا هدمها وقتل أهلها حتى مر بمدينة كان مؤدبه فيها
فخرج اليه فالطفه الاسكندر واعظمه فقال له أيها الملك ان أحق من زين لك أمرك وأتاك
على كل ما هويت لانا وان أهل هذه المدينة قد طمعوا فيك لمكانى منك وأحب

ان لا تشفعنى فيهم وان تخالفنى فى كل ماسألتك لهم فاعطاه من ذلك مالا يقدر على الرجوع
عنه فلما توثق منه قال فان حاجتى ان تدخلها وتخربها وتقتل أهلها قال ليس الى ذلك
سبيل ولا بد من مخالفتك وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أفضل العبادة
الصمت وانتظار الفرج وقال يزيد بن المهلب وقد طال عليه حبس الحجاج والهفاه على
فرج فى جبهة أسد وطابة بمائة ألف قال الاصمعى دخل درست بن رباط الفقهى على بلال
ابن أبى بردة وهو فى الحبس فعلم بلال انه شامت به فقال بلال ما يسرنى بنصيبى من الكره
حمر النعم فقال درست فقد أكثر الله لك منه قال الهيثم بن عدى كان سجان يوسف بن عمر
يرفع الى يوسف بن عمر أسماء الموتى فقال له عبد الله بن أبى بردة بن أبى موسى الاشعرى
اقبض هذه العشرة الآلاف درهم وارفع اسمى فى الموتى قال فرفع اسمه فى الموتى فقال
يوسف بن عمر حثنى به فرفع اليه فاعلمه فقال ويحك اتق الله فى فانى أخاف القتل قال
وأنا أيضا أخاف ما تخاف ثم قال قتلك أهون من قتلى ولا بد من قتلك فوضع على وجهه
مخدة فذهبت نفسه مع المال وأما عبد الله بن المقفع فان صاحب الاستخراج لما ألح عليه
فى العذاب قال لصاحب الاستخراج أعندك مال وأنا أربحك ربحا ترضاه وقد عرفت وفائى
وسخائى وكتمانى فعينى مقدار هذا النجم فأجابه الى ذلك فلما صار عليه مال ترفق به مخافة
ان يموت تحت العذاب فيتوى ماله وقال رجل لعمرو الغزال مررت بك البارحة وأنت
تقرأ قال لو أخبرتنى أى آية كنت فيها الاخبرتك كم بقى من الليل وسمع مورج البصرى
رجلا يقول أمير المؤمنين يرد على المظلوم فرجع الى مصحفه فرد على براءة بسم الله الرحمن
الرحيم وكان عبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه يعطش وقيل له ان شربت الماء
مت فاقبل ذات يوم بعض العواد فقال كيف حال أمير المؤمنين قال أنا صالح الحمد لله ثم أنشأ
يقول ومستخبر عنا يريد بنا الردى * ومستخبرات والعيون سواجم

ويلكم اسقونى ماء ولو كان فيه تلف نفسى فشرب ثم مات وكان حبيب بن مسلمة الفهرى
رجلا غزاء للترك فخرج ذات مرة الى بعض غزواته فقالت له امرأته أين موعدك قال
سرادق الطاغية أو الجنة ان شاء الله تعالى قالت انى لارجو أسبقك الى أى الموضعين كنت
به فجاء فوجدها فى سرادق الطاغية تقاتل الترك ولما مدح الكميت بن زيد الاسدى
مخلد بن يزيد المهلب قال له ابن بيض انك يا أبا المستهل لكجالب التمر الى هجر قال نعم
ولكن تمرنا أجود من تمركم وكان السيد الحميرى مولعا بالشراب فمدح أميرا من أمراء الاهواز
ثم صار اليه بمديحه له فلم يصل اليه واغب الشراب فلما كان ذات يوم شرب ثم وصل اليه
فجاس من بعد فقربه وشم منه ريح الشراب فقال له ما كنت أظن أباهاشم يفعل هذا
ولكن يحتمل لمادح آل رسول الله أكثر من هذا يا مازحه ثم قال يا جاريه هلمى الدواة ثم
كتب الى بعض وكلائه ادفع الى أبى هاشم مائتى دورق مبتخجا قال السيد لقد كنت أظن

الامـيرأبلغ ممـاهو قال قال وأى شئ رأيت من العى قال جعـلك بين حرفين وأنت تجـترئ باحدهما امح هذه الخيشة بخنا ودع ميتا على حالها ففعل وحمـل الـكتاب فاخـذها غيـظا عبدالله بن قائد قال قالت امرأة الحصين بن المنذر للحصـين كيف سدت قومك وأنت بخيل وأنت ذميم قال لانى شديد الرأى شديد الاقدام قال وقال مسلمة بن عبـدالملك لهشام بن عبـدالملك كيف تطمع فى الخلافة وأنت بخيـل وأنت جبان قال لانى حليم وانى عفيف قال زبان ان بنى بدر براع جوف * كل خطيب منهم مؤف * أهوج لا ينفعه التثقيف

﴿وقال لبيد بن ربيعة﴾

وأبيض يجتاب الخروق على الوجا * خطيبا اذا التفت المجامع فيصلا

وقال فى تفضيل العلم والخطابة وفى مدح الانصاف وذم الشغب

ولقد بلوتك وابتليت خليقتى * ولقد كفاك معلمى تعليمى

وقال لبيد ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

يتآكلون مغالة وخيانة * ويعاب قائلهـم وان لم يشغب

﴿وقال زيد بن جندب﴾

ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الخطب

﴿وقال لقيط بن زرارة﴾

انى اذا عاقبت ذوعقاب * وان تشاغبنى فذو شغاب

وقال ابن أحمر وكم دالها من تيحان ممدع * مصاقى الندى ساربيماء مطعم

طوى البطن متلاف اذا هبت الصبا * على الامر غواص وفى الحى شيظم

وقال الآخر وأغر مخرق القميص ممدع * يدعو ليغـزو ظالما فيجاب

قدمد أرسان الجياد من الوجا * فكأنما ارسانها أطناب

وقال الآخر كريم يغض الطرف عند خيانة * ويدنو وأطراف الرياح روان

وكالسيف ان لاينته لان متنه * وحـداه ان خاشنته خشنان

وقال آخر يقطع طرفه عنى سويد * ولم أذكر بسيئة سويدا

توق حداد شوك الارض تسلم * وغير الاسد فاتخذن صيدا

وقال آخر لاتحسبن الموت موت البلى * فانما الموت سؤال الرجال

كلاهـما موت ولكن ذا * أشـد من ذاك لذل السؤال

﴿وللعسين بن مطير﴾

رأيت رجلا أودى بوافر لحمه * طلاب المعالى واكتساب المكارم

خفيف الحشا ضربا كان ثيابه * على قاطع من جوهر الهند صارم

فقلت لها لا تعجبـين فاننى * أرى سمن الفتيان احدى المشائم

وكان

وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اذا رأى عبدالله بن عباس فى الامر يعرض مع جلة أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول غص غواص

وقال ابن أحمر هل لامنى قوم لموقف سائل * أوفى مخاصمة اللجوج الاصيد

وقال لبيد بن ربيعة فى التطبيق على قوله

ياهرم بن الاكرمين منصبا * انك قد أوتيت حكما معجبا * فطبق المفصل واغنم طيبا

وقال آخر فلما ان بدا القعقاع لجت * على شرك تناقله نقالا

تعاورن الحديث وطبقنه * كما طبقت بالنعـل المثالا

وقال ابن أحمر لو كنت ذا علم علمت وكيف لى * بالعـلم بعـد تدبر الامر

وقال ليست بثوناة الحديث ولا * فنق مغالبـة عـلى الامر

وقال تضع الحديث على مواضعه * وكلامها من بعـده نزر

وقال وخصم مضل فى الضجاج تركته * وقد كان ذا شغب فولى موائبا

وذكر على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنـه ا كثل بن شماخ العكلى فقال الصبيح الفصيح وهو أول من اتخذ بيت مال لنفسـه فى داره عبدالله بن المبارك عن معمر عن الحسـن عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال سيكون بعـدى أمراء يعطون الحكمة على منابرهم وقلوبهم أنتن من الجيف جعفر بن سليمان الضبعى عن مالك بن دينار قال غدوت الى الجمعة فجلست قريبا من المنبر فصعد الحجاج المنبر ثم قال امرؤ زورعمـله امرؤ حاسب نفسه امرؤ فكر فيما يقرؤه فى صحيفته ويراه فى ميزانه امرؤ كان عند قلبه زاجرا وعند همه ذاكرا امرؤ أخذ بعنان قلبـه كما يأخذ الرجل بخطام جمله وان قاده الى طاعة الله قبله وتبعه فان قاده الى معصـية الله كفه وبعث عدى بن ارطاة الى المهالبـة أبا المليح الهذلى وعبـدالله بن عبدالله بن الاهتم والحسن البصرى فتكلم الحسـن فقال عبدالله والله ما تمنيت كلاما قط أحفظه الا كلام الحسـن يومئذ قال وتنقص ابن لعبدالله بن عروة بن الزبير عليا رضى الله تعالى عنه فقال له أبوه والله ما بنى الناس شيأ قط الا هـدمه الدين وما بنى الدين قط شيأ فاستطاعت الدنيا هدمه ألم تر الى على كيف يظهر بنو مروان من عيبه وذمه والله لكأنما يأخذون بناصيته رفعا الى السماء وما ترى ما يندبون به موتاهـم من التأبين والمديح والله لكأنما يكشفون به عن الجيف أبو الحسن قال قال عبدالله بن الحسن لابنه محمـد حين أراد الاستخفاء أى بنى انى مؤد اليك حق الله فى حسن تأديبك فأد الى حق الله فى حسـن الاستماع أى بنى كف الاذى وارفض البـذاء واستعن عن الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك نفسك فيها الى القول فان للقول ساعات يضر فيها خطؤه ولا ينفع صوابه احـذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر مشورة العاقل اذا كان غاشا فانه يوشك ان يورطك بمشورتهما فيسبق اليك مكر العاقل وتوريط الجاهل وكان يقال من لانت كلمته وجبت

محبته ومن طال صمته اجتاب من الهيبة ما ينفعه ومن الوحشة ما يضره

﴿باب ان يقول كل انسان على قدر طبعه وخلقه﴾

قال قتيبة بن مسلم للحصين بن المنذر ما السرور قال امرأة حسناء ودار قوراء وفرس فاره مرتبط بالفناء وقيل لضرار بن الحسين ما السرور قال لواء منشور وجلوس على السرير والسلام عليك أيها الامير وقيل لعبد الملك بن صالح ما السرور قال

كل الكرامة نلتها * الا التحية بالسلام

وقيل لعبد الله بن الاهتم ما السرور قال رفع الاولياء وحط الاعداء وطول البقاء مع القدرة على النماء وقيل للفضل بن سهل ما السرور قال توقيع جائز وأمر نافذ أبو الحسن المداينى قال قيل لانسان بحرى أى شئ تمنى قال شربة من ماء القنطاس والنوم فى ظل الشراع وريح اذنبدا اذا وقيل لطفيلى كم اثنتين فى اثنتين قال أربعة أرغفة وقال الفلاس القصاص كان أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة وستين درهما وقلت للملاح لى وذلك بعد العصر فى رمضان انظر كم بين عين الشمس وبين موضع غروبها من الارض قال أكثر من مرديين ونصف وقال آخر وقع علينا اللصوص فاول رجل دخل علينا السفينة كان فى طول هذا المردى وكانت فخذه أغلظ من هذا السكان واسود وجه صاحب السفينة حتى صار أشد سوادا من هذا القير وأردت الصعود مرة فى بعض القناطر وشيخ ملاح جالس وكان يوم مطر وزلق فزلق جارى فكاد يلقينى يجنبى لكنه تماسك فاقعى على عجزه فقال الشيخ الملاح لا اله الا الله ما أحسن ما جلس على كوثله ومررت بتل طين أحمر ومعى أبو الحسن النخاس فلما نظر الى الطين قال أى آداري يجىء من هذا الطين ومررنا بالخلد بعد خرابه فقال أى اصطبلات تجىء من هذا الموضع وقيل لبعضهم ما المروأة قال طهارة البدن والفعل الحسن وقيل لمحمد بن عمران ما المروأة قال أن لا تعمل فى السر شيأ تستحى منه فى العلانية وقيل للاحنف ما المروأة قال العفة والحرفة وقال طلحة بن عبيد الله المروأة الظاهرة الثياب الظاهرة وقيل لابى هريرة ما المروأة قال تقوى الله واصلاح الضيعة والغداء والعشاء بالافنية قال ونظر بكر بن الاشعر وكان سجانا مرة الى سور دار بجالة بن عبدة فقال لا اله الا الله أى سجن يجىء من هذا وقال انسان صيرفى باعنى فلان عشرين جريبا ودانقين ونصفا ذهبا قال ونظر عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه الى عير مقبلة فقال لابى ذر ما كنت تحب ان تحمل هذه فقال ابو ذر رجالا مثل عمر وقال للزهرى ما الزهد فى الدنيا قال أما انه ليس بشعث اللمة ولا تشف الهيئة ولكنه ظلف النفس عن الشهوة وقيل للزهرى ما الزهد فى الدنيا قال ان لا يغلب الحرام صبرك ولا الحلال شكرك ونظر زاهد الى فاكهة فى السوق فلما لم يجد ما يبتاعها عزى نفسه وقال يا فاكهة موعدى واياك الجنة قال مر المسيح صلوات الله وسلامه على

نبينا وعليه بحلق بنى اسرائيل فشتموه فكلما قالوا شرا قال المسيح خيرا فقال له شمعون الصفى أكلما قالوا شرا قلت خيرا قال المسيح صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه كل امرئ يعطى ما عنده وقال بعضهم قيل لامرئ القيس بن حجر ما أطيب عيش الدنيا قال بيضاء رعبوبة بالطيب مشبوبة بالشحم مكروبة وسئل عن الدنيا الاعشى فقال صهباء صافية تمزجها ساقية من صوب غادية وقيل مثل ذلك لطرفة فقال مطعم شهى وملبس دفى ومركب وطى وقال كان محمد بن راشد البجلى يتغدى وبين يديه شبوطة وخياط يقطع له ثيابا وراءه يلحظ الشبوطة فقال قد زعمت ان الثوب يحتاج الى خرقة فكم مقدارها قال ذراع فى عرض الشبوطة ودخل آخر على رجل يأكل اترجة بعسل فاراد أن يقول السلام عليكم فقال عسليكم ودخلت جارية رومية على راشد البستى لتبلغه عن مولاتها فبصرت بحمار قد أدلى فى الدار فقالت قالت مولاتى كيف أير حماركم فيما زعم أبو الحسن المداينى وأنشد ابن الاعرابى

واذا أظهرت أمرا حسنا * فليكن أحسن منه ما يسر
فمسر الخير موسوم به * ومسر الشر موسوم بشر

﴿وأنشد ابن الاعرابى﴾

أرى الناس يبنون الحصون وانما * غوائل آجال الرجال حصونها
وان من الاعمال دونا وصالحا * فصالحها يبقى ويهلك دونها

﴿وأنشد ابن الاعرابى﴾

حسب الفتى من عيشه * زاد يبلغه المحلا
خبز وماء بارد * والظل حين يريد ظلا

﴿وقال بعض الاعراب﴾

وما العيش الا شبعة وتشرق * وتمر كاخفاف الرباع وماء

محمد بن حرب الهلالى قال قلت لاعرابى انى لك لواد قال وان لك من قلبى لرائد قال وأتيت اعرابيا فى أهله مسلما عليه فلم أجده فقالت امرأته عشر الله خطاك أى جعلها عشرة أمثالها قال وكان مسلم بن قتيبة يقول لم يضع صواب القول حتى يضيع صواب العمل أبو الحسن قال قال الحجاج لمعلم ولده علم ولدى السباحة قبل الكتابة فانهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم أبو عقيل بن درست قال رأيت أبا هاشم الصوفى مقبلا من جهة النهر فقلت له فى أى شئ كنت اليوم قال فى تعليم ما ليس ينسى وليس لشئ من الحيوان عنه غنى قال قلت وما ذلك قال السباحة حدثنا على بن محمد وغيره قال كتب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى ساكنى الامصار أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ورووهم ما سار من المثل وحسن من الشعر وقال ابن التوأم علم ابنك الحساب قبل الكتاب فان الحساب اكسب من الكتاب ومؤنة تعلمه أيسر ووجوه منافعه اكثر وكان يقال لا تعلموا

بناتكم الكتاب ولا ترووهن الشعر وعلموهن القرآن ومن القرآن سورة النور وقال آخر بنو فلان يحبهم أن يكون فى نسائهم أباضيات ويؤخذون بحفظ سورة النور وكان ابن التوأم يقول من تمام ما يجب على الآباء من حفظ الابناء أن يعلمه الكتاب والحساب والسباحة * خطب رجل امرأة اعرابية فقالت له سل عنى بنى فلان وبنى فلان وبنى فلان فعدت قبائل قال وما علمهم بك قالت فى كلهم قد نكحت قال أرى بك جلنفعة قد حزمتك الحزائم قالت لا ولكنى جوالة بالرجل شمريس وقال الفرزدق لامرأته نوار كيف رأيت جريرا قالت رأيتك ظلمته اولا ثم شغرت عنه برجلك آخرا قال أنا أنى قالت نعم اما انه قد غلبك فى حلوه وشاركك فى مره قال وتغدى صعصعة بن صوحان عند معاوية يوما فتناول من بين يدى معاوية شيأ فقال يا ابن صوحان لقد انتجعت من بعيد قال من اجدب انتجع وبصر الفرزدق بجرير محرما فقال والله لقد افسدت على ابن المراغة حجه ثم جاءه مستقبلا له فهزه بمشقص كان معه ثم قال

انك لاق بالمشاعر من منى * فخارا فخبرنى عن أنت فاخر

فقال جرير لبيك اللهم لبيك ولم يجبه قال وادخل مالك بن اسماء سجن الكوفة فجلس الى رجل من بنى مرة فاتكأ المرى عليه يحدثه حتى أكثر وغمه ثم قال هل تدرى كم قتلنا منكم فى الجاهلية قال مالك اما فى الجاهلية فلا ولكنى اعرف من قتلتم منا فى الاسلام وقال المرى ومن قتلنا منكم فى الاسلام قال أنا قد قتلتنى غما قال ودخل رجل من محارب قيس على عبد الله بن زيد الهلالى وهو عامل على أرمينية وقد بات فى موضع غدير قريب منه ضفادع فقال عبد الله للمحاربى ما تركت لنا أشياخ محارب ننام فى هذه الليلة لشدة اصواتها قال المحاربى اصلح الله الامير انها اضلت برقعا لها فهى فى بغائه اراد الهلالى فى قول الاخطل

تنق بلا شئ شيوخ محارب * وما خلتها كانت تريش ولا تبرى
ضفادع فى ظلماء ليل تجاوبت * فدل عليها صوتها حية البحر

وأراد المحاربى قول الشاعر

لكل هلالى من اللؤم برقع * ولابن هلال برقع وقميص

وقال العتبى رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى * فاعرضن عنى بالخدود النواضر
وكن اذا أبصرننى أو سمعن بى * سعين فرقعن الكوى بالمحاجر
لئن حجبت عنى نواظر اعين * رمين باحداق المها والجآذر
فانى من قوم كرام أصولهم * لاقدامهم صيغت رؤس المنابر
خلائف فى الاسلام فى الشرك قادة * بهم واليهم فخر كل مفاخر
قال لبيد والشاعرون الناطقون اذاهم * سلكوا طريق مرقش ومهلهل
وقال آخر أم من لباب اذا ما اشتد حاجبه * ام من لخصم بعيد الغور مغوار

وقال حاجب بن دينار المازنى

نحن بنو الفحل الذى سال بوله * بكل بلاد لا يبول بها فحل
ابى الناس والاقلام ان يحسبوهم * اذا حصل الاخماس أو يحسب الرمل
فان غضبوا اشدوا المشارق منهم * ملوك وحكام كلامهم فصل

وقال اعرابى من بنى حنيفة وهو يمزح

مر الجراد على زرعى فقلت له * الزم طريقك لا تولع بافساد
فقام منهم خطيبا فوق سنبلة * انا على سفر لا بد من زاد

وقال آخر يهجو بعض الخطباء

بعان ولا عون وكان شحا * شديد اللقم صلقا ما خطيبا

ذهب الى قول الاحوص

ذهب الذين أحبهم فرطا * وبقيت كالمقمور فى خلف
من كل مطوى على عنق * مضطجع يكفى ولا يكفى

وقال الحسن بن هانئ اذا نابه أمر فاما كفيته * واما عليه بالكفى نشير
وقال آخر ذرينى لا اعيى بما حل ساحتى * اسود واكفى أو اطيع المسودا
وقال بشار وفى العبرات الغر صبر على الندى * اولئك حى من حزيمة أغلب
وألام من يمشى ضبيعة انهم * زعانف لم يخطب اليهم محجب

وكذلك قول أعشى بن ثعلبة

ما ضر غازى نزار ان يفارقه * كلب وجرم اذا ابناؤه اتفقوا
قالت قضاعة انا من ذوى يمن * الله يعلم ما بروا ولا صدقوا
يزداد لحم المناقى فى منازلنا * طيبا اذا عز فى أعدائنا المرق
وما خطبنا الى قوم بناتهم * الا بارعن فى حافاته الحرق

قوله خطبناه هنا من الخطبة وقولهم فى الشعر الاول من الخطبة وقال بلعاء بن قيس

أبت لنفسى الخسف لما رضوا به * ووليتهم شتمى وما كنت مفحما

وقال بلعاء بن قيس لسراقة بن مالك بن جعشم

الا ابلغ سراقة بن مالك * فبئس مقالة الرجل الخطيب
اترجو ان تؤد بطعن ليث * فهذا حين تبصر من قريب

وقال منصور الضبى

ليت الفتى بجر دامنا مكانهم * وليتهم من وراء الاخضر الجارى
قد قام سيدهم عمران يخطبهم * ما كان للخير عمران بامار

تقول العرب الخلة تدعو الى السلة وكانوا اذا أسروا أسيرا قال المادح أسره فى مزاحفة

ولم يأسره فى سلة وفى الحديث لا اسلال ولا اغلال قال وفى المثل الحاجة تفتح باب المعرفة ونذكره هنا أبيات شعر تصلح للرواية والمذاكرة قال سويد المراثد الحارثى أوغيره

بنى عمنا لا تذكروا الشعر بعدما * دفنتم بصحراء الغميم القوافيا
فلسنا كمن كنتم تصيبون سلة * فنقبل عقلا أو نحكم قاضيا
ولكن حكم السيف فيكم مسلط * فنرضى اذا ما أصبح السيف راضيا
فان قلتم انا ظلمنا فانكم * بدأتم ولكنا أسأنا التقاضيا
وقد ساءنى ما جرت الحرب بيننا * بنى عمنا لو كان أمرا مدانيا

وقال ضابئ بن حارث

ورب أمور لا تضيرك ضيرة * وللقلب من مخشاتهن وجيب

وقال حارثة بن بدر

وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة * من الروع أفرخ اكثر الروع باطله

وقال لبيد واكذب النفس اذا حدثتها * ان صدق النفس يزرى بالامل

وقال الشاعر وهو حبيب بن أوس الطائى

وطول مقام المرء فى الحى مخلق * لديباجتيه فاغترب تتجدد
فانى رأيت الشمس زيدت محبة * الى الناس ان ليست عليهم بسرمد

وقال آخر هو الشمس الان للشمس غيبة * وهذا الفتى الجرمى ليس يغيب
يروح ويغدو وليس يفتر ساعة * وان قيل ناء منك فهو قريب

وقال آخر خلا فالقولى من فسالة رأيه * كما قيل قبل اليوم خالف فتذكرا

﴿وقال حارث بن بدر﴾

اذا مامت سر بنى تميم * على الحدثان لا يلقون مثلى
عدو عدوهم أبدا عدوى * كذلك شكلهم أبدا وشكلى

وهذا شبيه بقول الاعشى

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

وقال عمر لمعاوية من أصبر الناس قال من كان رأيه رادا لهواه واختلفوا بحضرة الزهرى فى معنى قول القائل فلان زاهد فقال الزهرى الزاهد الذى لا يغلب الحرام صبره ولا الحلال شكره وقال ابن هبيرة وهو يؤدب بعض بنيه لا تكونن أول مشير واياك والرأى الفطير وتجنب ارتجال الكلام ولا تشر على مستبد ولا على وغد ولا على متلون ولا على لجوج وخف الله فى موافقة هوى المستشير فان التماس موافقته لؤم وسوء الاستماع منه خيانة وقال من كثر كلامه كثر سقطه ومن ساء خلقه قل صديقه وقال عمر للاحنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر مزاحه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل ورعه

ومن

ومن قل ورعه ذهب حياؤه ومن ذهب حياؤه مات ومات قلبه وقال المهلب يا بنى تباذلوا تحابوا وان بنى الام يختلفون فكيف بنو العلات ان البر ينسأ فى الاجل ويزيد فى العدد وان القطيعة تورث القلة وتعقب النار بعد الذل واتقوا زلة اللسان فان الرجل تزل رجله فينتعش ويزل لسانه فيهلك وعليكم فى الحرب بالمكيدة فانها أبلغ من النجدة وان القتال اذا وقع وقع القضاء فان ظفر فقد سعد وان ظفر به لم يقولوا افرط ولقى الحسين رضى الله تعالى عنه الفرزدق فسأله عن الناس فقال القلوب معك والسيوف عليك والنصر فى السماء وقال بعضهم حجب اعرابى على باب السلطان فقال أهين لهم نفسى لاكرمها بهم * ولا يكرم النفس الذى لا يهينها

وقال جرير قوم اذا حضر الملوك وفودهم * نتفت شواربهم على الابواب

وقال آخر نهيت جميع الحضر عن ذكر خطه * يدبرها فى رأيه ابن هشام
فلما وردت الباب أيقنت اننا * على الله والسلطان غير كرام

وقال آخر وافى الوفود فوافى من بنى جمل * بكر الجمالة فانى السن عرزوم

وقال تميم فديتك أن لا تسمعينى ملامة * ولا تنكى قرح الفؤاد فييجعا

هنا ناقص بالأصل

وقال آخر قليل التشكى للمصائب ذاكرا * من اليوم اعقاب الاحاديث فى غد

وقالوا أشد من الموت ما يتمنى له الموت وقال الفرزدق وهو يصف طعنة

يود لك الادنون لو مت قبلها * يرون بها اشراعا بك من القتل

قال وقيل للاحنف ما ابلغ من حزمك قال لا ألى ما كفيت ولا أضيع ما وليت وقال آخر لا تقيموا ببلاد ليس فيها نهر جار وسوق قائمة وقاض عدل وقالوا لا تبنى المدن الا على الماء والمرعى والمحتطب وقال مالك بن دينار لربما رأيت الحجاج يتكلم على منبره ويذكر حسن صنيعه الى أهل العراق وسوء صنيعهم اليه حتى انه ليخيل الى انه صادق مظلوم أبو عبد الله الثقفى عن عمه قال سمعت الحسن يقول لقد وقذتنى كلمة سمعتها من الحجاج قلت وان كلام الحجاج ليقذك قال نعم سمعته على هذه الاعواد يقول ان امرأ ذهبت ساعة من عمره فى غير ما خلق له لحرى ان تطول عليها حسرته وقال بعضهم كان يقال ما وجدنا أحدا أبلغ فى خير وشر من صاحب عبد الله بن سلمة قال دخل الزبرقان بن بدر على زياد وقد كف بصره فسلم تسليما جافيا فأدناه زياد فاجلسه معه وقال يا أبا عياش القوم يضحكون من جفائك قال وان ضحكوا فوالله ان منهم رجل الا يود أنى أبوه دون أبيه لغيه أو لرشده قال ونظر هشام بن عبد الملك الى قبر عثمان بن حيان المرى فقال جثوة من جثى النار قال وكان يقال صاحب السوء قطعة من النار والسفر قطعة من العذاب قال آخر وكان يقال عذابان لا يكترث لهما الداخل فيهما السفر الطويل والبناء الكثير وقال رجل من أهل المدينة من ثقل على صديقه خف على عدوه ومن أسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون وقال سهل ابن هرون ثلاثة يعودون الى أجن المجانين وان كانوا أعقل العقلاء الغضبان والغيران والسكران فقال له أبو عبدان المخلع الشاعر ما تقول فى المنعظ فضحك حتى استلقى ثم قال

وماشر الثلاثة أم عمرو * بصاحبك الذى لا تصبحينا

وقال أبو الدرداء أقرب مايكون العبد من غضب الله اذا غضب قال وقال ناس البخل قيد والغضب جنون والسكر مفتاح الشر وقال بعض البخلاء ماتصب الناس لشئ تعيبهم لنا هيبهم يلزموننا الذم فيما بيننا وبينهم مالهم يلزموننا التقصير فيما بيننا وبين أنفسنا قال وقال ابراهيم بن عبد الله بن حسن لابيه ماشعر كثير عندى كما يصفه الناس فقال له أبوه انك لن تضع كثيرا بهذا انما تضع بهذا نفسك قال أنشد رجل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قول طرفة

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودى

فقال عمر لولا ان أسير فى سبيل الله وأضع جبهتى لله وأجالس أقواما ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون أطايب التمر لم أبال ان أكون قد مت وقال عامر بن عبد قيس ما آسى من العراق الاعلى ثلاث على ظما الهواجر وتجاوب المؤذنين واخوان لى منهم الاسود بن كلثوم وقال آخر ما آسى من البصرة الاعلى ثلاث رطب السكر وليل الخزير وحديث أبى بكر وقال سهل بن هرون

ولكننى أبكى بعين سخينة * على حال تبكى له عين أمثالى

فراق خليل أوشجى يستشفنى * لحاجة أمر لا يقوم لها مالى

فيا كبدى حتى متى القلب موجع * بشكل حبيب أو تعذر افضالى

وما العيش الا ان تطول بنائل * والالقاء الاخ ذى الخلق العالى

وقال اعرابى لولا ثلاث هن عيش الدهر * الماء والنوم وأم عمرو * لما خشيت من مضيق القبر قال وقال الاحنف أربع من كن فيه كان كاملا ومن تعلق بخصلة منهن كان من صالحى قومه دين يرشده أو عقل يسدده أو حسب يصونه أوحياء يقناه وقال المؤمن بين أربع مؤمن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يجاهده وشيطان يفتنه وأربع ليس أقل منهن اليقين والعدل ودرهم حلال وأخ فى الله وقال الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما من أتانا لم يعدم خصلة من أربع آية محكمة أو قضية عادلة أو أخا مستفادا أو مجالسة العلماء وقالوا من أعطى أربعا لم يمنع أربعا من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب قال أبوذر الغفارى كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقالوا تعامل الناس بالدين حتى ذهب الدين وبالحياء حتى ذهب الحياء وبالمروأة حتى ذهبت المروأة وقد صاروا الى الرغبة والرهبة وأحربهما ان تذهبا وقال بعضهم دعا رجل على بن أبى طالب كرم الله وجهه الى طعام فقال نأتيك على أن لا تتكلف لنا ماليس عندك وقال الحصين بن المنذر

وكل خفيف الساق يسعى مشمرا * اذا فتح البواب بابك أصبعا

ونحن الجلوس الماكثون توقرا * حياء الى أن يفتح الباب أجمعا

وقال آخر

ونفسك اكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما

اعتذر ابن عوف الى ابراهيم النخعى فقال له اسكت معذورا فان الاعتذار يخالطه الكذب

أبو

أبو عمر الزعفرانى قال كان عمرو بن عبيد عند حفص بن سالم فلم يسأله أحد من حشمه فى ذلك اليوم شيأ الا قال لا فقال عمرو أقل من قول لا فانه ليس فى الجنة قول لا وأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا سأل ما يجده أعطى واذا سأل ما لا يجد قال يصنع الله قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أكثروا لهن من قول لا فان قول نعم يضرّ بهن على المسألة قال وانما خص عمر رضى الله تعالى عنه بذلك النساء وقال بعضهم ذم رجل الدنيا عند على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فقال على الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ومهبط وحى الله ومصلى ملائكته ومسجد أنبيائه ومتجر أوليائه ربحوا فيها الرحمة واكتسبوا فيها الجنة فن ذا الذى يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها وشبهت بسرورها السرور وببلائها البلاء ترغيبا وترهيبا فيا أيها الذام للدنيا المعلل نفسه متى خدعتك الدنيا أم متى استذمت اليك بمصارع آبائك فى البلى أم بمضاجع أمهاتك فى الثرى كم مرضت بيديك وكم عللت بكفيك تطلب له الشفاء وتستوصف له الاطباء غداة لا يغنى عنه دواؤك ولا ينفعه بكاؤك وقال عمر رضى الله تعالى عنه ما بال أحدكم ثانى وساده عند امرأة مغيبة ان المرأة لحم على وضم الا ماذب عنه وقال بعضهم مات ابن لبعض العظماء فعزاه بعضهم فقال عش أيها الملك العظيم سعيدا ولا أراك الله بعد مصيبتك ما ينسيكها وقال لما توفى معاوية جلس ابنه يزيد ودخل عليه عطاء بن أبى صيفى الثقفى فقال يا أمير المؤمنين أصبحت وقد رزئت خليفة الله وأعطيت خلافة الله وقد قضى معاوية نحبه فغفر الله ذنوبه وقد أعطيت بعده الرئاسة ووليت السياسة فاحتسب عند الله أعظم الرزية واشكره على أفضل العطية ولما توفى عبد الملك وجلس ابنه الوليد دخل عليه الناس وهم لا يدرون أيهنؤنه أم يعزونه فاقبل غيلان بن مسلمة الثقفى فسلم عليه ثم قال يا أمير المؤمنين أصبحت قد رزئت خير الآباء وسميت خير الاسماء وأعطيت أفضل الاشياء فعظم الله لك على الرزية الصبر وأعطاك فى ذلك نوافل الاجر وأعانك على حسن الولاية والشكر ثم قضى عبد الملك بخير القضية وأنزله باشرف المنازل المرضية وأعانك من بعده على الرعية فقال له الوليد من أنت فانتسب له قال فى كم أنت قال فى مائة دينار فقال فالحقه باهل الشرف ولما توفى المنصور دخل ابن عتبة مع الخطباء على المهدى فسلم قال آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله وبارك الله لامير المؤمنين فيما خلفه له أمير المؤمنين بعده فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ولا عقبى أفضل من وراثة مقام أمير المؤمنين فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية واحتسب عند الله أفضل الرزية وكتب ميمون بن مهران الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يعزيه عن ابنه عبد الملك فكتب اليه عمر كتبت الى تعزينى عن ابنى عبد الملك وهذا أمر لم أزل انتظره فلما وقع لم انكره وقال الشاعر

تعزيت عن أوفى بغيلان بعده * عزاء وجفن العين ملآن مترع

ولم تنسنى أوفى المصيبات بعده * ولكن نكاء القرح بالقرح أوجع

وقيل قدم ماعندك ولا تدخر عنا ماعندك وقال آخر كان شيخ يأتى ابن المقفع فالح عليه يسأله

الغداء عنده وفى ذلك يقول انك تظن انى اتكلف لك شيأ لا والله لا أقدم اليك الا ماعندى قال فلما أتاه اذا ليس فى منزله الا كسرة يابسة وملح جريش ووقف سائل بالباب فقال له بورك فيك فلما لم يذهب قال والله لئن خرجت اليك لادقن ساقيك فقال ابن المقفع للسائل انك لو تعرف من صدق وعيده مثل ما أعرف من صدق وعده لم تراده كلمة ولم تقف طرفة عين قال وكان يقال أول العلم الصمت والثانى الاستماع والثالث الحفظ والرابع العمل به والخامس نشره وقال آخر كان يقال لا وحشة أوحش من عجب ولا ظهير أعون من مشورة ولا فقر أشد من عدم العقل وقال مورق العجلى ضاحك معترف بذنبه خير من الباكى المدل على ربه وقال خير من العجب بالطاعة أن لا يأتى بطاعة وقال شبيب لابى جعفر ان الله لم يجعل فوقك أحدا فلا تجعلن فوق شكرك شكرا وقال آخر لابى جعفر فى أول ركبة ركبها ان الله قد رأى أن لا يجعل أحدا فوقك فر نفسك أهلا أن لا يكون أحد اطوع لله منك وسفه رجل على ابن له فقال ابنه والله لانا أشبه بك منك بابيك ولانت أشد تحصينا لامى من ابيك لامك وقال عمرو بن عبيد لابى جعفر ان الله قد وهب لك الدنيا باسرها فاشتر لنفسك منه بعضها وقال الاحنف ثلاث لا أناة فيهن عندى قيل وماهن يا أبا بحر قال المبادرة بالعمل الصالح واخراج ميتك وان تنكح الكفء أيمك وكان يقول لا فى تحكك فى ناحية بيتى أحب الى من ايم رددت عنها كفؤا وكان يقال ما بعد الصواب الا الخطأ وما بعد منعهن من الاكفاء الا بذلهن للسفلة والغوغاء وكان يقال لا تطلبوا الحاجة الى ثلاثة الى كذوب فانه يقربها وان كانت بعيدة ويباعدها وان كانت قريبة ولا الى الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك ولا الى رجل له الى صاحب الحاجة حاجة فانه يجعل حاجتك وقاية لحاجته وكان الاحنف يقول لا مروأة لكذوب ولا سودد لبخيل ولا ورع لسيئ الخلق وقال الشعبى عليك بالصدق حيث ترى انه يضرك فانه ينفعك واجتنب الكذب فى موضع ترى انه ينفعك فانه يضرك قالوا لا تصرف حاجتك الى من معيشته من رؤس المكاييل والسنة الموازين وقالوا انفرد الله عز وجل بالكمال ولم يبرئ أحدا من النقصان وقال قال عامر بن ظرب العدوانى يا معشر عدوان ان الخير ألوف عزوف وان يفارق صاحبه حتى يفارقه وانى لم أكن حليما حتى اتبعت الحلماء ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم قال وقال الاحنف لان ادعى من بعيد أحب الى من ان أقصى من قريب وكان يقول اياك وصدر المجلس وان صدرك صاحبه فانه مجلس قلعة قال وقال زياد ما أتيت مجلسا قط الا تركت منه مالو أخذته كان لى وترك مالى أحب الى من أخذ ما ليس لى وقال الاحنف ما كشفت أحدا عن حالى عنده الا وجدتها دون ما كنت أظن قال وأثنى رجل على على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فافرط وكان على له متهما فقال انا دون ماتقول وفوق ما فى نفسك قال وكان يقال خمس خصال تكون فى الجاهل الغضب فى غير غضب والكلام فى غير نفع والعطية فى غير موضع والثقة بكل أحد وان لا يعرف صديقه من عدوه وأتى اعرابى على رجل

فقال ان خيرك لسريح وان منعك لمريح وان رفدك لربيح وقال سعيد بن مسلم كنت واليا بارمينية فغبر أبو دهمان الغلابى على بابى أياما فلما وصل الى مثل بين يدى قائما بين السماطين وقال والله انى لاعرف أقواما لو علموا ان سف التراب يقيم من أود أصلابهم لجعلوه مسكة لارماقهم ايثارا للتنزه عن عيش رقيق الحواشى اما والله انى لبعيد الوثبة بطىء العطفة انه والله ما يثنينى عليك الا مثل ما يصرفنى عنك ولان أكون مقلا مقربا أحب الى من ان أكون مكثرا مبعدا والله ما نسأل عملا لا نضبطه ولا مالا الا نحن أكثر منه وهذا الامر الذى صار اليك فى يديك كان فى يد غيرك فامسوا والله حديثا ان خيرا فخير وان شرا فشر فتحبب الى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب فان حب عباد الله موصول بحب الله وبغضهم موصول ببغض الله لانهم شهداء الله على خلقه ورقباؤه على من اعوج عن سبيله ودخل عتبة ابن عمر بن عبد الرحمن بن حرث بن هشام على خالد بن عبد الله القسرى بعد حجاب شديد وكان عتبة سخيا فقال خالد يعرض به ان ههنا رجالا يدانون فى أموالهم فاذا فنيت ادانوا فى اعراضهم فعلم عتبة انه يعرض به فقال أصلح الله الامير ان رجالا من الرجال تكون أموالهم أكثر من مروآتهم فاولئك تبقى لهم أموالهم ورجالا تكون مروآتهم أكثر من أموالهم فاذا نفدت ادانوا على سعة ما عند الله فخجل خالد وقال انك لمنهم ما علمت قال وقيل لعبد الله بن يزيد بن أسد بن كورز هلا أجبت أمير المؤمنين اذ سألك عن مالك قال انه ان استكثره حسدنى وان استقله حقرنى أبو الحسن قال ووعظ عروة بنيه فقال تعلموا العلم فانكم ان تكونوا صغار قوم فعسى ان تكونوا كبار قوم آخرين ثم قال الناس بازمانهم أشبه منهم بآبائهم واذا رأيتم من رجل خلة فاحذروه واعلموا ان عنده لها أخوات قال وقال رجل لرجل هب لى درهما قال أتصغره لقد صغرت عظيما الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر الدية قال الاصمعى خرجت بالدارمى قرحة فى جوفه فبزق بزقة خضراء فقيل له قد برأت اذ بزقتها خضراء قال والله لو لم يبق فى الدنيا زمردة خضراء الا بزقتها ما نجوت مر الوليد بن عبد الملك بمعلم صبيان فرأى جارية فقال ويلك ما لهذه الجارية قال أعلمها القرآن قال فليكن الذى يعلمها أصغر منها اسحق ابن أيوب قال هرب الوليد بن عبد الملك من الطاعون فقال له رجل يا أمير المؤمنين ان الله يقول لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لا تمتعون الا قليلا قال ذلك القليل نريد وهرب رجل من الطاعون الى النجف أيام شريح فكتب اليه أما بعد فان الفرار لن يبعد أجلا ولن يكثر رزقا وان المقام لن يقرب أجلا ولن يقلل الرزق وان من بالنجف من ذى قدرة لقريب قال ودخل على الوليد فتى من بنى مخزوم فقال له زوجنى ابنتك فقال هل قرأت القرآن قال لا قال ادنوه منى فادنوه فضرب عمامته بقضيب كان فى يده وقرع راسه به قرعات ثم قال لرجل ضمه اليك فاذا قرأ فزوجناه ولما استعمل يزيد ابن أبى مسلم بعد الحجاج قال انا كمن سقط منه درهم فوجد دينارا وقال يزيد لابن أبى مسلم قال أبى للحجاج

انما أنت جالدة ما بين عينى وأنا أقول انك جالدة وجهى كله ومع هذا انه صعد المنبر فقال على بن أبى طالب اص ابن اص صب عليه شؤبوب عذاب فقال اعرابى كان تحت المنبر ما يقول أميركم هذا وفى قوله اص ابن اص أعجوبتان احداهما رميه على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه اص والاخرى انه بلغ من جهله ما لم يجهله أحد انه ضم اللام فى لص بكر بن عبد العزيز الدمشقى قال سمعت الوليد بن عبد الملك على المنبر حين ولى الخلافة وهو يقول اذا حدثتكم فكذبتكم فلا طاعة لى عليكم واذا وعدتكم فأخلفتكم فلا طاعة لى عليكم واذا أغزيتكم فجمرتكم فلا طاعة لى عليكم فيقول مثل هذا الكلام ثم يقول لابيه يا أمير المؤمنين اقتل أبى فديك وقال مرة أخرى يا غلام رد الفرسان الصادان عن الميدان قال وقال عبد الملك أضر بالوليد حبنا اله فلم نوجهه الى البادية قال ولحن الوليد على المنبر فقال الكروس لا والله ان رأيته على هذه الاعواد قط فامكننى ان أملأ عينى منه من كثرته فى عينى وجلالته فاذا لحن هذا اللحن الفاحش صار عندى كبعض أعوانه وصلى يوما الغداة فقرأ السورة التى تذكر فيها الحاقة فقرأ ياليتها كانت القاضية فبلغت عمر بن عبد العزيز فقال أما انه ان كان قالها انه لاحد الاحدين قالوا وكان الوليد ومحمد ابنا عبد الملك لحانين ولم يكن فى ولده أفصح من هشام ومسلمة قال وقال صاحب الحديث أخبرنى أبى عن اسحق ابن قبيصة قال كانت كتب الوليد تأتينا ملحونة وكذلك كتب محمد فقلت لمولى لمحمد ما بال كتبكم تأتينا ملحونة وأنتم أهل الخلافة فاخبره المولى بقولى فاذا كتاب قد ورد على أما بعد فقد أخبرنى فلان بما قلت وما أحسبك تشك ان قريشا أفصح من الاشعريين والسلام ومن بنى الصريم الصدى بن الخالق وفد به الحجاج على الوليد بن عبد الملك فقال له ممن أنت فقال له من بنى صريم قال له ما اسمك قال الصدى بن الخالق قال دعا فى عنقه خارجى خبيث هذا يدل على ان عامة بنى صريم كانوا خوارج وكان منهم البرك الصريمى واسمه الحجاج الذى ضرب معاوية بالسيف وله حديث والخزرج بن الصدى بن الخالق كان خطيبا وقال الشاعر فى بنى صريم

أصلى حيث تدركنى صلاتى * وبئس الدين دين بنى صريم
قساما يطعنون على معد * وكلهم على دين الخطيم

والخطيم باهلى قال الاصمعى وأبو الحسن دخل على الوليد بن عبد الملك شيخان فقال أحدهما نجدك تملك عشرين سنة وقال الآخر كذبت بل نجدك تملك ستين سنة قال فقال الوليد ما الذى قال هذا الانط بصغرى ولا ما قال هذا يغرنى لى والله لاجمعن المال جمع من يعيش أبدا ولافرقنه تفريق من يموت غدا وخطب الوليد فقال ان أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول ان الحجاج جلدة ما بين عينى الا وانه جلدة وجهى كله

﴿هنا تم الجزء الاول من كتاب البيان والتبيين ويليه الجزء الثانى أوله باب اللحن﴾

﴿تنبيه﴾ قد صار تفسير الكلمات اللغوية من هذا الجزء بقلم حضرة الفاضل النبيه حسن أفندى الفاكهانى لغاية ملزمة ٧ والباقى بمعرفة حضرة الفاضل الشيخ محمد الزهرى الغمراوى حفظهما الله

﴿فهرست الجزء الاول من البيان والتبيين للعلامة الامام أبى عثمان عمرو الجاحظ رحمه الله تعالى﴾

﴿تمت﴾

مطبوعات جديدة

﴿الكتب الموضحة أدناه تطلب من المكتبة المفيدة أمام الازهر﴾
(لصاحبها الشيخ محمود البيطار الحلبي)

مراسيل الامام أبي داود .
حلية البديع * وهي شرح بديعية البكرهجي
ديوان حسام الدين الاربلي المعروف بالحاجري
تحفة السفره لسيدي محي الدين بن العربي
الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل
المستطاع من الزاد في المناسك لابن العماد الحنفي
ديوان السيد الشريف الملقب بالرضي طبع بيروت
ديوان البرازالموصلي
نبذة في القواعد الشرعية لشيخ الاسلام محمد بيرم الاول * ويليه رسالة في
موضوعات الحديث للامام الصغاني
حسن النبا في جواز التحفظ من الوبا للشيخ محمد بيرم الثاني
شرح ايساغوجي للشيخ محمد بيرم الثالث
رسالة في أحكام الاشراف للعلم الشيخ محمد بيرم الخامس
تحفة الخواص في حل صيد بندق الرصاص له أيضا
النصوح الودود في الخلق المحمود * وهو نصيحة للشبان فيما يتسبب من
جلد عميره (الاستمناء باليد) من المضار وعلاج ما ينشأ عن الافراط
في هذا العمل تأليف أحمد افندي فهمي
نظم الآجرومية للمرحوم رفاعه بك رافع طبع المصري
شرح الشيخ عمر الشبراوي على ورد سحر لسيدي مصطفى البكري وبهامشه
شرحه على ورد الستار
حاشية الصبان على شرح آداب البحث وبهامشها تقرير الشيخ عبد الشربيني
حاشية سيف الغزي على ألغاز ابن هشام في النحو

الجـزء الاول

من كتاب البيان والتبيين تأليف الامام أبي
عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن
محبوب الكناني البصري
المتوفى بالبصرة في المحرم
سنة ٢٥٥
هجريه

الطبعة الاولى
(بالمطبعة العلميه سنة ١٣١٣)
(هجريه)

﴿محل بيعه بالمكتبة المفيدة الكائنة أمام الجامع الازهر بمصر﴾
﴿لصاحبها الشيخ محمود البيطار الحلبي﴾